

وزارة الثقافة

المخارص التراث العربي

(٧٣)

مِن

تَشْرِيفُ
الْأَدَبِ

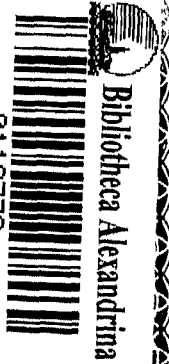
لِلوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَبِيِّ

الترقي سنة ٤٢١ هـ

السَّنَةِ الثَّلَاثِ

اخْتِياراً لِنَصْرِصِ وَقَدِّمَ لَهَا وَعَلِمَهُ عَلَيْهَا

مَنْظَرِ رَاجِحِي



البروفيسور الفاضل الأستاذ الدكتور

من نشر الدر
السفر الثالث

الهيئة العامة للثقافة الأمانة العامة
رقم التخصيص
رقم التسجيل

وِزَارَةُ الثَّقَافَةِ
الْمُخْتَارِ مِنَ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ
٧٣

مِنْ

بَيْتِ الدَّيْكَامِ
٧٣

لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْإِبْرَاقِيِّ

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السَّفَرِ الثَّلَاثِ

اختار له نصوص وقدم لها وعلقه عليها

منظر راجحي



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٧

من نشر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الأبي، اختار النصوص وقدم لها وعلق
عليها مظهر الحجى .- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧. - ٤ ج ٢٠ سم. -
(المختار من التراث العربى؛ ٧١-٧٤).

١- ٨١٨,٠٢ س ع د م ٢- العنوان ٣- أبو سعد الأبي
٤- الحجى ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانونى: ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

الباب الرابع

(«) من الجزء الرابع من « نثر الدر » وقد تقدمت الأبواب الثلاثة
في السمر الثاني من هذه الاختيارات .

نُكِّتٌ مِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ

قيلَ لبعضهم : أخرجُ هذا الغمَّ من قلبك . فقال :
ليس بإذني دَخَلَ

قال رجلٌ لشبيب بنِ شَيْبَةَ (١) : أنا والله أحبُّك
يا أبا معبَّد . قال : أشهدُ على صدقِك . قال : وكيفَ
ذاك ؟ قالَ : لأنَّكَ لستَ بجارٍ قَريبٍ ، ولا ابنِ عمٍّ
نسيبٍ ، ولا مُشْأَكِيلٍ في صِنَاعَةٍ .

وقالوا : صاحبُ السَّوءِ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ . ولذلك
لمَّا قالَ القائلُ : ما رأينا في كلِّ خَيْرٍ وشرٍّ خيراً من
صاحبٍ . قالَ الآخرُ : ولا رأينا في كلِّ خَيْرٍ وشرٍّ شراً
من صاحبٍ .

(١) شبيب بن شيبه المنقي البصري ، فصيح بليغ إخباري
توفي سنة ٥١٦٢ .

قال بعضهم : العالمُ يعرفُ الجاهلَ لأنَّه كان جاهلاً ،
والجاهلُ لا يعرفُ العالمَ لأنَّه لم يكنْ عالماً .

سُئِلَ بعضهم عن الغِنَى فقال : شرٌّ مَحْبُوبٌ .
وعن الفقرِ فقال : مُسَلِّكٌ ليس فيه مُحاسِبةٌ .

الفُرْصَةُ ما إذا حاولتَه فأخطأكَ نفعُهُ لم يصلْ إليك
ضُرَّةٌ .

بلوغُ أعلى المنازلِ بغيرِ استحقاقٍ مِنْ أَكْبَرِ أسبابِ
الهَلَكَةِ .

كفى نبيٍّ يَعِزُّ إِذَا قَلَّ ، والعقلُ كاسماً كان أكثرَ
كان أعزَّ وأعلى .

.. قال عامرُ بنُ عبدِ القيسِ (١) : الكلمةُ إِذَا خرجتْ
من القلبِ وقعتْ في القلبِ ، وَإِذَا خرجتْ من اللسانِ لم
تجاوزِ الأذانَ .

قالوا : مَسْتَلُّ الرَّجُلِ بَيْنَ لِحْيَتَيْهِ .

(١) عامر بن عبد قيس العبدي ، تابعي ، هو الذي علم أهل البصرة
القرآن وتوفي حوالي سنة ٥٥٥ هـ .

التَّشَبُّهُتِ نَصْفُ الْعَفْوِ .

قَالَ أَكْثَمُ : الْكَرْمُ مُحْسِنُ الْفِطْنَةِ . وَاللُّؤْمُ سُوءُ
التَّخَافُلِ .

قِيلَ : أَسْوَأُ النَّاسِ حَالًا مَنْ اتَّسَعَتْ مَعْرِفَتُهُ ، وَبَعُدَتْ
هَيْبَتُهُ ، وَضَاقَتْ مَقْدَرَتُهُ .

كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ الْحِجَّاجِ يَقُولُ : لَأَنَا لِلْعَاقِلِ
الْمُدْبِرِ أَرْجَى مِنِّْي لِلْأَحْمَقِ الْمُتَقَبِّلِ .

وَقَالُوا : أَمْرَانِ لَا يَنْفَكَّانِ مِنَ الْكُذْبِ : كَثْرَةُ
الْمَوَاعِيدِ وَشِدَّةُ الْاِعْتِنَارِ .

قَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ (١) : السَّفَرُ ثَلَاثُ عَتَبَاتٍ ؛
فَأَوْلُهَا : الْعِزْمُ ، وَالثَّانِيَةُ : الْعُدَّةُ ، وَالثَّلَاثَةُ : الرَّحِيلُ ،
وَأَشَدُّهُنَّ الْعِزْمُ .

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : الْعَافِيَةُ الْمَلِكُ الْخَفِيُّ .

وَقَالَ النَّمِضِيُّ بْنُ سَهْلٍ : لَيْسَتْ الْفُرْصَةُ إِلَّا مَا إِذَا
أَخْطَأَكَ نَفَعَهُ لَمْ يَنْلِكَ ضَرُّهُ .

(١) خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ أَحَدُ فَصْحَاءِ الْعَرَبِ ، تَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ ١٢٠ هـ .

قالوا : سوءُ حملِ الغني يورثُ مَقْتاً ، وسوءُ
حملِ الفاقةِ يَضَعُ شَرَفاً

وقال أكرمُ : مَنْ جَزَعَ على ما خرج من يده فليجزعْ
على ما لم يصلْ إليه

قال بعضهم : ظَمَرُ الكَرِيمِ عَفْوٌ ، وَعَفْوُ اللَّيْمِ
عَقُوبَةٌ .

كان يقال : لا ينبغي لأحدٍ أن يدعَ الحزمَ لظفرٍ ناله
عاجزٌ ، ولا يرغب في التضييع لنكبة دخلت على حازمٍ .
وكان يقال : ليس من حُسْنِ التوكُّلِ أن تُقالَ عَشْرَةٌ
ثمَّ يركبها ثانية .

قيل : لولا الإغضاءُ والنسيانُ ، ما تعاشرَ النَّاسُ
الكثرةَ الأضغان .

قالوا : ثلاثٌ يرغبن العدوَّ : كثرةُ العبيدِ ، وأدبُ
الوليدِ ، ومحبَّةُ الجيرانِ .

يُقالُ : سوءُ القالةِ في الإنسانِ إذا كان كاذباً نظيرُ
الموتِ ؛ لفسادِ دُفْيَاهِ ، وإذا كان صيداً فأشدُّ من الموتِ
لفسادِ آخرتِهِ .

قالوا : يُرضي الكرامَ الكلامُ ، ويُصادُ اللثامُ
بالمال ، ويُسبى النبيلُ بالإعظام ، ويُستباحُ السفانةُ
بالموان .

قالوا : أمران أنسُ بالنهار ومحشةُ بالليل : المالُ
والبستانُ .

قالوا : لا يزالُ المرءُ مستمراً ما لم يعثر ، فإذا عثر
مرّةً في الخبّار (١) ليجّ به العثار ولو كان في جَدَد (٢) .

قال بعضهم : ما شيببني السنون ، لكنّ شكري من
أحتاجُ أن أشكره .

قالوا : المتواضعُ كالوهدةٍ يجتمعُ فيها قطرُها
وقطرُ غيرها ، والمتكبرُ كالرَبوةٍ لا يقرُّ عليها قطرُها
ولا قطرُ غيرها .

يُقَال : إنّه لا يصبرُ ويصدقُ في اللثاء إلاّ ثلاثةُ :
مستبصرٌ في دينٍ ، أو غيّرُ أنُ على حرمةٍ ، أو متعضُّ^١
من ذلّ .

(١) الخبار : الأرض الناعمة .

(٢) الجدد : الأرضه المستوية .

قال بعضهم : في مجاوزتكَ مَنْ° يكفيناك فقرًا لا
مُسْتَهَيًى له حتى تنتهي عنه .

وكان يُقال : العفافُ زينةُ الفقيرِ ، والشُّكْرُ زينةُ
الغني .

اعتذارٌ مِنْ° مَنْعٍ خَيْرٌ من وَعَدٍ مَبْطُولٍ .

خيرُ المُرُاحِ لا يُنالُ ، وشرُّه لا يُقَالُ . وإنما
سُئِلَ مُزاحًا لانه أزيحَ عن الحقِّ .

اليأسُ من أعوانِ الصَّبرِ .

قيل لبعضِ الحكماءِ : أيُّ الأمورِ أعجلُ عُقوبةً
وأسرعُ لصاحبها صرعةً ؟ قال : ظالمٌ من لا ناصرَ له
إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ ، ومجاورةُ النعمِ بالتقصيرِ واستطالةُ
الغنيِّ على الفقيرِ .

يقال : من سَعَادَةِ المرءِ أن يضعَ معروفه عند مَنْ
يشكره .

قالوا : شيئان لا يُعرفُ ظغنهُما إلاَّ بعدَ فقدِهما :
العافيةُ والشبابُ .

نظر شابٌ إلى شيخٍ يقاربُ خُطاهُ فقال له : مَنْ
قَسِيدَكَ ؟ قال : الذي تركتهُ يفتلُ قَسِيدَكَ .

قيل لشيخٍ قد ذهبَ منه المأكَلُ والمشربُ والمنسكاحُ :
هل تشتهي أن تموتَ ؟ قال : لا . قيل : ولِمَ ذاكَ ؟ قال :
أحبُّ أن أعيشَ وأسمعَ الأعاجيبَ .

قيل لبعضهم : ما بالُ الشيخِ أحرصُ على الدنيا من
الشَّابِّ ؟ قال : لأنه قد ذاقَ من طعمِ الدنيا ما لم ينقسه
الشَّابُّ .

قالوا : الدِّينُ عَقْلُهُ الشَّرِيفُ ، ما استرقَّ الكَرِيمُ
أَفْظُ من الدِّينِ .

اختصمَ رجلانِ إلى سعيدِ بنِ المُسيَّبِ (١) في
النُّطقِ والصمتِ : أيُّهُما أفضلُ ؟ فقال : بماذا أُبَيِّنُ
لكما ؟ فقالا : بالكلامِ . فقال : إذاً الفضلُ له .

وقيل لبعضهم : السكوتُ أفضلُ أمِ النُّطقُ ؟ فقال :
السكوتُ حتى يُحتَاجَ إلى النطقِ .

(١) سعيد بن المسيب المخزومي المدني أحد الأعلام العلماء ، وفقهه
المدينة جمع بين الحديث والفقهِ ، والورع . توفي سنة ١٩٤ .

قيل : العقلُ يأمرُك بالأَنْفَعِ ، والمروءةُ تأمرُك
بالأَجْمَلِ .

قيل لبعضهم : ما جِماعُ العقلِ ؟ فقال : ما رأيتُه
مجتمعاً في أحدٍ فأصِفَه ، ومالا يوجدُ كاملاً فلا حدَّ له .
قال الزُّهْرِيُّ : إِذَا أَنْكَرْتَ عَقْلَكَ فَاقْدَحْهُ بِعَاقِلٍ .
وقيل : عظمتِ المَثْوُونَةُ في عاقلٍ متجاهلٍ ، وجاهلٍ
مُتَعَاقِلٍ .

وقيل : إنَّكَ تَحْفَظُ الأَحْمَقَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
إِلَّا مِنْ نَفْسِهِ .

قيل لبعضهم : العقلُ أَفْضَلُ أَمْ الجَدُّ ؟ فقال :
العقلُ مِنَ الجَدِّ .

قال بعضهم : ينبغي للعاقل أن يطلبَ طاعةَ غيره
وطاعةَ نفسه عليه ممتنعةٌ .

قيل لآخر : أتحبُّ أن تُهْدَى إليك عيوبُك ؟ فقال :
أمّا من ناصحٍ فننعمُ ، وأمّا من شامتٍ فلا .

قيل لآخر : هل شيءٌ أضرُّ من التَّوَانِي ؟ قال :
الاجتهادُ في غير موضعه .

وقيل : العجزُ عجزانِ عجزُ التَّقصيرِ . وقد أمكن الأمرُ ، والجِدُّ في طلبه وقد فات .

وقيل لآخر : أسأتَ الظنَّ . فقال : إن الدنيا لَمَنا امتلأت مكارهَ وجبَ على العاقلِ أن يملأها حذرًا .

تأمل حكيمٌ شَيْبَةً فقال : مرحباً بزهرةِ الحِنَّكةِ ،
ونمرةِ الهدى ، ومقدمَةِ العَفَّةِ ، ولباسِ التَّقوى .

قيل : لا يسود الرجلُ حتى لا يبالي في أيِّ ثوبه ظهرَ .

سمع حكيمٌ رجلاً يدعو لآخرٍ ويقول : لا أراك
اللهُ مكروها . فقال : دعوتَ له بالموتِ فإنَّ من عاش
لا بد له في الدنيا من مكروه .

قالوا : من صفاتِ العاقلِ ألاَّ يتحدثَ بما يُستطاعُ
تكذيبه .

قيل لبعضهم : متى يُحسَدُ الكذبُ ؟ فقال : إذا
قربَ بين المتقاطعين . قيل : فمتى يُدْمُ الصِّدْقُ : قال :
إذا كان غيبية .

صَحِبَ رجلٌ آخرَ سَيِّعِ الخَلْقِ فلما فارقه قال :
قد فارقتُه وخالقُه لا يُفارقُه .

المُزَاحُ فَحَلٌّ لا يُسْتَجُ إِلَّا الشَّرُّ .

المروعةُ التامةُ مُباينةُ العامةِ .

أسوأُ ما فيي الكريم أن يمنعك نداءه ، وأحسن ما في اللئيم أن يكفَّ عنك أذاه .

السَّفَلُ إذا تعلَّموا تَكَبَّرُوا ، وإذا تمولوا استطلوا ،
والعِلْيَةُ إذا تعلَّموا تواضعوا ، وإذا افتقرُوا صالوا .

ثلاثٌ لا يُستصالحُ فسادُهُنَّ بشيءٍ من الحَسِيلِ :
العداوةُ بين الأَقْرَبِ ، وتحاسُّدُ الأَكْفَاءِ ، وركاكةُ
الملوكِ (١) .

قيل لحكيم : أي شيء من أفعال العباد يُشبهه أفعال
اللهِ ؟ قال : الإحسانُ إلى الناسِ .

يُقَالُ : السَّخِيُّ شُجَاعُ القَلْبِ ، والبَخِيلُ شُجَاعُ
الوَجْهِ .

البَخِيلُ يَعِيشُ عَيْشَ الفُقَرَاءِ ، ويحاسبُ مُحَسَّبَةَ
الأغنياءِ .

(١) الركاكة : الضعف .

العزلةُ توفِّرُ العرضَ ، وتسترُ الفاقةَ ، وترفعُ
ثِقَلَ المكافأةِ .

ما احتنكَ أحدٌ قطُّ إلا أحبَّ الخلوَةَ .

خيرُ الناسِ مَنْ لم تجرِّبه ، كما أنَّ خيرَ الدرِّ ما لم
تَشْفِئِهِ .

قيل : أجلُّ ما ينزلُ من السماءِ التوفيقُ ، وأجلُّ
ما يصعدُ إلى السماءِ الإخلاصُ .

قيل : كلُّ مالٍ لا ينتقلُ بانتقالِكَ فهو كَفِيلٌ (١) .

وقيل : ما دارُ مَنْ يشتاقي إلى السفرِ بدارٍ سَلَامَةٍ .

قال حكيمٌ : مَنْ الذي بلغَ جَسِيمًا فلم يبَطِّرْ ،
وأتَّبَعَ الهوى فلم يعطِبْ ، وجاوزَ النَّسَاءَ فلم يفتنْ ،
وطلبَ إلى اللِّثَامِ فلم يهِنْ ، وواصلَ الأشرارَ فلم
يندامَ ، وصحبَ السُّلطانَ فدامتْ سلامتُه ؟ .

اثنان يهونُ عليهما كلُّ شيءٍ ؛ العالمُ الَّذي يعرفُ
العواقبَ ، والجاهلُ الَّذي يجهلُ ما هو فيه .

(١) كفيل : ضامن .

وقيل : شرٌّ من الموتِ ما إذا نزلَ تَمَنَّيْتُ لنزوله
الموتَ ، وخيرٌ من الحياةِ ما إذا فقدتَه أبغضتَ لفقدته
الحياةَ .

لِيَتَكُنَّ النَوَائِبُ مِنْكَ بِبَالٍ ؛ فَأَكْثَرُ الْمَكَارِهِ فِيْمَا
لَمْ يُحْتَسَبْ .

قال سفيانٌ : ما وضعَ أحدٌ يدهُ في قصعةٍ غيرهِ
إلاَّ ذلَّ له .

وقال أبو حمزة السَّكُونِيُّ : قال لي أبو عبيدٍ اللّهُ :
من أكلَ من ثريدِنا وطَمِنَنا رقبتهُ .

قال رجلٌ لمعروفٍ (١) : يا أبا محفوظ ، أتحرَّكُ
لطلبِ الرِّزْقِ أم أجلسُ ؟ قال : لا بلُ تحرَّكُ ؛ فإنَّه
أصلحُ لك . فقال : أمثلك يقولُ هذا يا أبا محفوظ ؟
فقال : ما أنا قلتُهُ ولا أمرتُ به ، ولكنَّ اللّهُ تعالى قاله
وأمرَ به حيثُ قال لمريمَ : « وَهَـزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ

(٢) معروف الكرخي صاحب الأحوال والكرامات أسلم على يد
علي بن موسى الرضا وتوفي سنة ٥٢٠ هـ .

الدَّخْلَةَ تَسَاقَطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا» (١) ولو شاء
أن يُنزلته عليها بلا هزٌ لفعلَ .

قال بعضهم : رأيت عِكْرَمَةَ بِبَابِ بِنَاخِ (٢) فقلتُ
له : ما جاء بك إلى ههنا ؟ فقال : بِنَاتِي .

قال وهبٌ : الدراهمُ خواتيمُ ربِّ العالمينَ بمعاشِ
بني آدمَ ؛ لا تُؤكلُ ولا تُشربُ ، وأينَ ذهبَتِ بِنَاتِمِ
ربك قُضِيَتْ حاجتُك .

قيل لبعضهم : لِمَ تُحِبُّ الدراهمَ وَهِيَ تُدْنِيكَ
من الدنيا ؟ فقال : هي وإنْ أدنتني من الدنيا فقد صانتني
عنها .

قيل لسُفْيَانَ بنِ عِيْسَى (٣) : ما أشدَّ حُبَّكَ
للدِّرهمِ ! فقال : ما أحبُّ أن يكونَ أحدٌ أشدَّ حُبًّا
لما ينفعُه مِنِّي .

(١) سورة مريم : ٢٥ .

(٢) من أجمل مدن خراسان ، قيل بناها الاسكندر ، افتتحت في
أيام عثمان .

(٣) سُفْيَانُ بنُ عِيْسَى الهلالي ، شيخ الحجاز وأحد أعلامه ، عابد
فقيه عالم توفي ١٩٨ هـ .

قيل لبعضهم : أين بلغت في العلوم ؟ قال : إلى
الوقوف على التصور ، عنها .

قال ابنُ السَّمَاكِ : الكمالُ في خَمْسٍ ؛ ألاَّ
يعيبَ الرَّجُلُ أحداً بعيبٍ فيه مثلهُ حتى يُصلِحَ ذلك العيبَ
من نفسه ، فإنَّه لا يفرغُ من إصلاحِ عيبٍ واحدٍ
حتى يهجمَ على آخر فتشغله عيوبُه عن عيبِ النَّاسِ ،
والثانيةُ ألاَّ يُطَّاقَ لسانه ويده حتى يعلمَ أفي طاعة
ذلك أو في معصية ، والثالثةُ الا يلتمسَ من النَّاسِ
إلاَّ مثلَ ما يُعطيهم من نفسه ، والرابعةُ أن يسألَ من
النَّاسِ باستشعارِ مُداراتهم ، وتوفيتهم حقوقهم ،
والخامسةُ أن يُنفقَ الفضلَ من ماله ويُمسكَ الفضلَ
من قَوْلِه .

قالوا : إذا أقبلت الدنيا أقبلت على حمارٍ قَطُوفٍ (١)
مَدِينِي ، وإذا أدبرت أدبرت على البُرَاقِ .

التَّوَدُّةُ حَسَنَةٌ في كلِّ شيءٍ إلا في المعروفِ
فإنَّها تُسَغِّصُه .

(١) القَطُوفُ : البَطِيءُ .

أصابَ متأملٌ "أو كادَ ، وأخطأ مستعجلٌ" أو كادَ .
قيل لبعضهم : كيف لا يجتمعُ المالُ والحكمةُ ؟
قال : لعزّة الكمالِ .

كان يقال : لكلِّ جديدٍ لذّةٌ إلاّ من الإخوانِ .
العجزُ عجزانٍ : التقصيرُ في طلبِ الأمرِ وقد أمكنَ ،
والجِدُّ في طلبه وقد فاتَ .

قال يزيدُ بنُ أسيدٍ : أسرَّ السرورُ قفلةً
على غفلةٍ .

قيل : سِنَّةٌ لا تُخطئهم الكتابةُ : فقيرٌ حديثُ عهدٍ
بالغنى ، ومُكثِرٌ يخافُ على ماله ، وطالِبٌ مرْتبَةً
فوقَ قُدْرتهِ ، والحسودُ والحقودُ وخليطُ أهلِ الأدبِ
وهو غيرُ أديبٍ .

قال خالدُ بنُ صفوانَ : مَنْ لم تكنْ له دابةٌ
كثُرَتْ ألوانُ دوابّه (١) .

قال عبدُ اللهِ بنُ أبي بكرٍ : لو كنتُ شاعراً
لبكيتُ على المروحةِ .

(١) لأنه يستمير أو يكتري كل يوم دابة .

وقال بعضهم : طلبتُ الرّاحةَ انفسِي فلم أجد شيئاً
أروحُ لها من تركِ مالا يعينها . وتَوَحَّشْتُ في البرِّيَّةِ
فلم أرَ وَحْشَةً أَشدَّ من قرينِ سوءٍ ، وشهدتُ الزحوفَ (١)
ولقيتُ الأقرانَ فلم أرَ قيرناً أغلبُ للرجل من امرأةٍ سوءٍ ،
ونظرتُ إلى كلِّ ما يُبدلُ العزيرَ ويكسرُه فلم أرَ شيئاً
أذلَّ له ولا أكسرَ من الفاقة .

قالوا : أوَّلُ أمرٍ العاقلِ آخرُ أمرِ الجاهلِ .

قال رجلٌ لعبد الحميد : أخوك أحبُّ إليك أم
صديقك ؟ قال : إنَّما أحبُّ أخي إذا كان صديقاً .

قالوا : أسوأ ما في الكريم أن يكفَّ عنك جنونه ،
وأحسنُ ما في اللئيم أن يكفَّ عنك شرَّه .

كان الكنديُّ يقول : المسترشدُ مُوتى والمحتسِرُ
مُلتقى (٢) . وكان يقول : العبدُ حر ما قنعَ والحُرُّ عبْدُ
ما طمعَ .

(١) الزحوف : الحروب .

(٢) ملقى : يمتحن لا يزال يلقاه مكروه .

قيل لمحمد بن الجهم (١) بعد ما أُخيدَ ماله :
أما تُفكّر في ذهاب نعمتك ؟ فقال : لا بدّ من الزوال ؛
فلا تذر نزول نعمتي وأبتى خيراً من أن أزل عنها وتبقى .
قال الشافعي : اغتندوا الفرصة فانها نحلس أو
عُصص .

أغاظَ سفيهٌ لحليم فقيل له : لِمَ لَمْ تغضب ؟ فقال :
إن كان صادقا فليس ينبغي أن أغضب ، وإن كان كاذبا
فبالحرى ألاّ أغضب .

قال بعضهم : ما أحسن حُسنُ الظنِّ إلا أن منه
العجز ، وما أفتح سوءَ الظنِّ إلا أن فيه الخزم .

لما قبض ابن عيينة صباة الخليفة قال : يا أصحاب
الحديث ؛ قد وجدتم مقالا فقولوا . متى رأيتُ أبا عيالٍ
أفاح ؟ وقال : كانت لنا هيرة ليس لها جِراء فكانت
لا تكشفُ القدور ، ولا تعيثُ في الدور ، فصارت لها جِراءٌ
فكشّرت عن القدور ، وأفسدت في الدور .

(١) محمد بن الجهم البرمكي ولي المهدي بعض الولايات .

قال بعضهم : إذا أنا فعلتُ ما أمرتُ به وكان خطأً
لم أذممتُ عليه ، وإذا فعلتُ ما لم أؤمر به وكان صواباً
لم أحمسهُ عليه .

قال آخرُ ما استتُسيطَ الصَّوابُ بمثل المشورة ،
ولا حُصِنَتِ النِّعمُ بمثل المواساة ، ولا اكتُسِبَتِ البغضةُ
بمثل الكِبْرِ .

قيل لرواحِ بنِ زَيْنِباعٍ : ما معنى الصِّديقِ ؟ قال :
هو لفظٌ بلا معنى . يعني لِعَوَزِهِ .

وقال آخر : السِّفرُ ميزانُ الأخلاقِ .

قال عليُّ بنُ عُبَيْدَةَ : العقلُ مَلِكٌ والخِصَالُ
رعيته ، فإذا ضَعُفَ عن القيامِ عليها وصلَّ الخلالُ لِيَلِيهَا .
قال : الكَلْدَابُ يُخَيِّفُ نَفْسَهُ وهو آمِنٌ .

قال بعضهم : لو لم أَدعِ الكذبَ تأثُّمًا لتركتهُ تَسْكَرَ مَا .
وقال آخرُ : لو لم أَدعِ الكذبَ تَعَفُّفًا لتركتهُ تَنْظَرُفًا .
وقال آخرُ : لو أَدعِ الكذبَ تَحُوبًا (١) لتركتهُ تَأْدُبًا .
وقال آخر : لو لم أَدعِ الكذبَ تَوَرُّعًا لتركتهُ تَصْنَعُ مَا .

(١) التَّحُوبُ : البعدُ عن الإثمِ .

قال بعضهم : الإفراطُ في الزيارة مملٌ كما أن التفریطَ فيها مُخِلٌ .

قال العتيبيُّ (١) : إذا تناهَى الغمُّ انقطعَ الدَّمْعُ .

وقال إبراهيمُ بنُ أدهم (٢) : أتأنا منذُ عشرينَ سنةً في طلبِ أخٍ إذا غضبَ لم يقلِّ إلاَّ الحقَّ فما أجدُ .

وقال غيره : إذا وليَّ صديقٌ لك ولايةً فأصبتَه على العشرِ من صداقته فليس بأخٍ سوءٍ .

قصيدُ ابنِ السَّمَكِ رجلاً في حاجةٍ لرجلٍ فتعسَّرَ ،
فقال له : اعِلم ، أنيَ أتَيْتُكَ في حاجةٍ ، وإنَّ الطالبَ
والمطلوبَ إليه عزيزانِ إن قُضِيَتْ ، وذليلانِ إن لم تقضِ ،
فاخترتُ لنفسك عزَّ البَدَلِ على ذلِّ المنعِ ، واخترتُ لي
عزَّ النُّججِ على ذلِّ الرَدِّ . فقضاها له .

وقصيدُ آخرٍ آخرَ مَرَّةً في حاجةٍ فتلوى ، فكاد ينكلُ
عن الكلامِ ، ثم سبقَ إلى مَعْنَى فخبَّره وقال للمستول :

(١) محمد بن عبيد الله بن عمرو الأموي ؛ أخباري أديب شاعر
توفي سنة ٥٢٢٩ .

(٢) إبراهيم بن أدهم الزاهد صاحب الكرامات والأحوال توفي
سنة ٨١٦٢ .

أخبرني حين غابوتُ إليك في حاجتي ، أحسنُ بك الظنَّ ،
وأصوغُ فيك الثناء ، وأتخيرُ لك الشكرَ ، وأمشي إليك
بقدمِ الإِجلالِ ، وأكلمُّك بلسانِ التواضعِ ، أصببتُ
أم أخطأتُ ؟ قال : فأفحِمَ الرَّجلُ وقال : بل أصببتُ .
وقضى حاجته وسأله المعادة .

قال أبو العتاهية : قلتُ لعليِّ بن الهيثم (١) : ما يجبُ
للمصديقُ ؟ قال : ثلاثٌ خيالٍ : كتمانُ حديثِ الخلوَّةِ ،
والمواساةُ عند الشدَّةِ ، وإقالةُ العثرةِ .

قيل : سوءُ حملِ الغني يورثُ المدحَ ، وسوءُ
حملِ الفقارةِ قد يَضَعُ الشرفَ .
قيل : الهوى شريكُ العسى .

قيلَ لصوفيٍّ : ما صناعتُك ؟ قال : حُسْنُ الظنِّ
باللهِ وسوءُ الظنِّ بالنَّاسِ .

ثلاثةٌ لم يُؤمنَ بها أحدٌ فسلم : صحبةُ السَّاطانِ ،
وإفشاءُ السرِّ إلى النساءِ وشربُ السمِّ للتَّجربةِ .

(١) علي بن الهيثم المعروف بجونفا كاتب شاعر ، كان أحد الكتاب
المستخدمين بديوان المأمون .

لكلّ شيءٍ محلٌّ ، ومحلُّ العقل مُجالسةُ النَّاسِ .
 أعجبُ الأشياءِ بديهةُ أَمْنٍ وردتْ في مقامِ خوفٍ .
 قال ابنُ المقفَّعِ : الحرصُ محرمَةٌ ، وأجلُّهُنَّ
 مقتسلةٌ ، فانظرْ فيمن رأيتَ أو سمعتَ : من قُتِلَ
 في الحربِ مُقبلاً أكثرُ أم قُتِلَ مُبرأً ، وانظرْ مَنْ
 يطلبُ بالإجمالِ والتكْرُمِ أحقُّ أن تسخوَّ نفسه له أم
 مَنْ يطلبُ بالشرِّهِ والحرصِ .

قال بكرٌ بنُ المعتزِ (١) : إذا كان العقلُ تسعةَ
 أجزاءٍ احتاجَ إلى جزءٍ من جهلٍ ليقتلِمَ على الأمورِ :
 فإنَّ العاقلَ أبداً مُتَوَانٍ متوقِّفٌ مترقِّبٌ متخوِّفٌ .

قال ابنُ المقفَّعِ : عملُ الرَّجُلِ بما يعلمُ أنَّه خطأٌ
 هوَى ، والهوَى آفةُ العفافِ ، وتركُه للعدلِ بما يعلمُ
 أنَّه صوابٌ تهاونٌ ، والتهاونُ آفةُ الدينِ . وإقدامه
 على ما لا يدري أصوابٌ هوَ أم خطأٌ لِسِجَاجٌ ، واللِسِجَاجُ
 آفةُ العقلِ .

سُئِلَ بعضهم : أيُّ الصِّدِّيقِ السِّكُوتُ عنه أمثلُ ؟
 قال : تزكيةُ المرءِ نفسه .

(١) بكر بن المعتز كان مقرباً للأمين ، قلده ديوان الخاتم ،
 ولأبي العتاهية شعر في مدحه .

وكان يقال : ثلاثةٌ يُؤثرون المال على أنفسهم :
تاجرُ البحرِ ، والعاملُ بالأجرِ ، والمرثي على الحُكْمِ .
قالوا : قبَّحَ اللهُ الدُّنيا ، فإنَّها إذا أُقبلتْ على الإنسانِ أعطته
محاسنَ غيره ، وإذا أدبرتْ عنه سلبته محاسنَ نفسه .
أعجزُ الناسِ من قَصَرَ في طلبِ صديقِهِ ، وأعجزُ
منه مَنْ وجده فَضِيحَةً .

قال رجل لأبي عبيد الله (١) : لَسْتِينِ أَصْبَحْتَ الدُّنْيَا
بِكَ مشغولةً لتمسينَّ منكَ فارغةً . فقال : أنفقْ ما يكونُ
التعبُ إذا وعد كَدَّ أبٌ حريصاً .

اجتمع علماءُ العربِ والعجمِ على أنَّه لا يُدركُ
نعيمٌ إلا ببؤسٍ ، ولا راحةٌ إلا بتعبٍ .

العاداتُ قاهراتٌ ، فمن اعتاد شيئاً في سرِّه ونخلواته
فضحَّته في علانيته وعند المألأ .

قيل : المنى تُخلِّقُ العقلَ ، وتُفسدُ الدينَ ،
وتُزري بالقناعة .

(١) معاوية بن عبيد الله كاتب المهدي ووزيره توفي سنة ٨١٧٠ هـ .

قال قتيبةُ الحُصَيْنُ : ما السرورُ ؟ قال : عقلٌ يُقيِّمُكَ ،
وعلمٌ يُزيِّنُكَ وولدٌ يسُرُّكَ ، ومالٌ يسَعُكَ ، وأمنٌ
يريحُكَ ، وعافيةٌ تجمعُ لكِ المسراتِ .

أسرَّ رجلٌ إلى صديقٍ له حديثاً فلما استقصاه قال
له : أفهيمتُ ؟ قال : بل نسيتُ .

وقيل لآخر : كيف كتمانك للسرِّ ؟ فقال : أجنحُدُ
المخبرَ وأحلفُ للمستخبرِ .

والعربُ تقول : من ارتاد لسرهٍ فقد أذاعه .

وقالوا : الأخُّ البارُّ متغيِّضُ الأسرارِ .

قيل لبعضهم : إن فلاناً لا يكتبُ ، قال : تلك
الزمانةُ الخفِيَّةُ (١) .

قال بعضهم : قديمُ الحرْمَةِ وحديثُ التوبةِ
يَمُحِقَانِ ما بينهما من الإساءةِ .

قالوا : ركوبُ الخيلِ عزٌّ ، وركوبُ البراذينِ (٢)
ذِلَّةٌ ، وركوبُ البغلِ مهْرمةٌ ، وركوبُ الحميرِ ذلٌّ .

(١) الزمانة : مرض يدوم .

(٢) البراذين : جمع برذون وهو الجواد الهجين غير العربي .

قالوا : أربعٌ يسودن العبد : الصدقُ والأدبُ
والفقهُ والأمانةُ .

قال الزُّهريُّ : الكريمُ لا تُحكّمه التَّجاربُ .

قالوا : العقلُ يظهرُ بالمعاملة ، وشيِّمُ الرجالِ
تُعرفُ بالولاية .

قال رجلٌ من قریش لشيخٍ : علِّمْنِي الحِلْمَ .
فقال : هو الذَّلُّ ، أفصبرُ عليه ؟ .

ويقال : ماقلَّ سُمُهَاءُ قومٍ إلا ذلُّوا .

وعزَّى رجلٌ الرشيدَ فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
كَانَ لَكَ الْأَجْرُ لِابْنِكَ وَكَانَ الْعِزَاءُ لَكَ لِأَعْنِكَ .

كان يقال : لك ابنك ربحانك سبعا ، وخذامك
سبعا ، ثم عدوا أو صديقاً .

قيل لبعض الحكماء : ما الشيءُ الذي لا يَحْسُنُ أن
يُقَالَ وإن كان حقاً ؟ فقال : مدحُ الإنسانِ نفسه .

جلس بعضُ الزُّهَّادِ إلى تاجرٍ ليشتري منه شيئاً ،
فمرَّ به رجلٌ يَعرِفُه ، فقال للتاجرِ : هذا فلانُ الزَّاهِدُ

فأرخص^٥ ماتبعه^٦ منه . فغضب الزاهد^٧ وقام وقال :
إنما جننا لنشري بدراهمنا لابمداهينا .

قيل لبعضهم : ما الشيء الذي لا يستغني عنه في
حال من الأحوال ؟ فقال : التوفيق^٨ .

قيل لبعض من يطاب الأعمال : ما تصنع ؟ قال :
أخدم الرجاء ، حتى ينزل القضاء .

قال بعضهم : أوسع ما يكون الكريم مغفرة^٩ ،
إذا ضاقت بالذنب المعدرة^{١٠} .

قال آخر^{١١} : أمتع الجلساء الذي إذا عجبته عجب ،
وإذا فكته طرب ، وإذا أمسكت تحدث ، وإذا فكرت
لم يأسمك .

قيل لبعضهم : متى يحمد انغنى^{١٢} ؟ قال : إذا
اتصل بكرم . قيل : فمتى تدم القطننة^{١٣} ؟ قال :
إذا اقترنت بلؤم^{١٤} .

قال مالك^{١٥} بن دينار^{١٦} (١) : من طاب العلم لنفسه
فالقليل يكفي ، ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة^{١٧} .

(١) مالك بن دينار البصري الزاهد الراوية . توفي سنة ٥١٢٧ .

قال رجلٌ لآخر : إني أتيتك في حاجةٍ فإن شئت
قضيتها وكنتا جميعا كريمين ، وإن شئت منعتهما وكنتا
جميعا لئيمين .

قال بعضُ النُّسَّاكِ : قد أعياني أنْ أنزلَ على رجلٍ
يعلمُ أني لا آكلُ من رِزْقِهِ شيئا .

قيل : مثلُ شُرْبِ الدَّوَاءِ مثلُ الصَّابُونِ
لِلثَّوْبِ يُسَقِّمُهُ وَلَكِنْ يُخْلِقُهُ .

كان يقال : النظرُ يحتاجُ إلى القَبُولِ ، والحسبُ إلى
الأدبِ ، والسُّرُورُ إلى الأَمَنِ ، والتَّقَرُّبُ إلى المودَةِ ،
والمعرفةُ إلى التجارِبِ ، والشَّرْفُ إلى التواضِعِ والنَّجْدَةُ
إلى الجِدَّةِ ۝

قال بعضهم : أعناقُ الأمور تشابه في الغيوبِ ، فربَّ
مَحْسُوبٍ في مكروهٍ ومكروهٍ في محبوبٍ . وكم من
مغبوطٍ بنعمةٍ هي داؤه ، ومرحومٍ من داءٍ فيه شفاؤه .

وقيل : ربَّ خيرٍ في شرٍّ ، ونفعٍ في ضررٍ .

قال ابنُ المقفَّعِ : الحسدُ خُلِقَ دنيًّا ، ومن دناءته
أنه يُوكَلُّ بِالْأَقْرَبِ فَأَلْقَبِ .

قال قَتَادَةُ (١) : او كان أحدٌ مكتفياً من العالم
لاكتفى نبيُّ الله موسى عليه السلامُ إذ قال : « هلْ
أتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَنِي رَشِداً (٢) » .
قال دَغْفَلُ بْنُ حَنْظَلَةَ (٣) : إنَّ للعالم أربعاً :
آفةٌ ونكدٌ وإضاعةٌ واستجاعةٌ فأفْتُهُ النَّسيانُ ، ونكدُهُ
الكذبُ ، وإضاعتهُ وضعُهُ في غير موضعه ، واستجاعته
أنك لا تشيعُ منه .

قال بعضهم : عيادةُ النوكى الجلوسُ فوق القدر ،
والمجيء في غير وقت .

قال أكَثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : « أحبُّ أن أُكْفَى كُلَّ
أمرٍ الدُّنيا . قالوا : وإن أسمنتُ وألبنتُ ؟ قال :
نعم . أكرهُ عادةَ العجز . »

قال أبو عثمانَ : كتبَ شيخٌ من أهل الرِّيِّ على بابِ
داره : جزى اللهُ مَنْ لا يعرفُنَا ولا نعرفُه خيراً ، فأما

(١) قَتَادَةُ بن دَعَامَةَ السُّدُوسِي ، حافظ ثقة ، وعالم جليل ، توفي
سنة ١١٧ هـ .

(٢) سورة الكهف : ٦٦ .

(٣) دَغْفَلُ بن حَنْظَلَةَ الشَّيبَانِي السُّدُوسِي ، نسابة العرب .

أصدقائونا الخاصةُ فلا جزاهم الله خيراً ، فإننا لم نذوّتِ
قطُّ إلا منهم .

قيل لرجلٍ من أهلِ البصرةِ : مالكَ لا يَنمى
مالكُ ؟ قال : لأني اتخذتُ العيالَ قبلَ المالِ ، واتخذ
الناسُ المالَ قبلَ العيالِ .

كان خالدُ بنُ صفوانَ يكره المَزاحَ ويقول :
يصيبُ أحدهمُ أخاهُ ويصُكُّهُ بأشدَّ من الحديدِ ، وأصلبَ
من الجَسَدِ ، ويفرغُ عليه أحرَّ من المِرْجَلِ . ثم يقول
إنَّما ما زَحَّتهُ .

كان يقال : لا ينبغي لعاقِلٍ أن يشاورَ واحداً من
خمسةٍ : القَطَّانَ والغَزَّالَ والمعَلِّمَ وراعيَ الضَّأنِ
ولا الرَجُلَ الكثيرَ المحادثةِ للنساءِ .

قال رجلٌ لابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ : ما تركَ
لكَ أبوكَ ؟ قال : تركَ لي مالاً كثيراً . فقال : لا أعلمُكَ
شيئاً هو خيرٌ لكَ مما تركَ أبوكَ ؟ إنه لا مالَ لعاجزٍ ،
ولا ضياعَ على حازمٍ ، والرَّقِيقُ جَمالٌ وليس بمالٍ ،
فعليكَ من المالِ بما يعمُوكُ ولا تعولُهُ .

وقيل لخريم الناعم (١) : ما النعمة ؟ فقال : الأمن ؛
فإنه ليس لخائف عيش ؛ والغنى ؛ فإنه ليس لفقير
عيش . والصحة ، فإنه ليس لسقيم عيش قيل : ثم
ماذا ؟ قال : لا مزيد بعدها .

قيل : خير الكلام ما أغنى اختصاره عن إكثاره .

أراد رجل الحج . فأتى شعبة بن الحجاج (٢)
فودعه فقال له شعبة : أما إنك إن لم تر الحليم ذلاً ،
والسفة أنفنا سليم حجك .

روي عن بعض الأئمة أنه قال : الإنصاف راحة ،
والإلحاح قحّة ، والشحّ شناعة ، والتواني إضاعة ،
والصحة بضاعة ، والحيانة وضاعة ، والحرص مفقرة ،
والدّناءة محقرة ، والبخل غل ، والفقر ذل ،
والسخاء قربة ، واللؤم غربة ، والدّثة استيكانة ،
والعجز مهانة ، والأدب رياسة ، والحزم كياسة ،

(١) هو خريم بن عامر بن الحارث المري لقب بالناعم .

(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد أبو بسطام ، شيخ البصرة ، والمحدث
الأشهر موصوف بالعلم والزهد والرحمة والقناعة ، كان رأساً في العربية
والشعر بجانب معرفته بالحديث . توفي سنة ٥١٦٠ هـ .

والعُجْبَ هلاكٌ ، والصبرُ ملاكٌ ، والعجلةُ زلزلٌ ،
والإبطاءُ مَلَلٌ .

ثلاثةُ أشياء لاثباتُ لها : المالُ في يدٍ من يبدُرُ ،
وسحابةُ الصيْفِ ، وغضبُ العاشقِ .

قيل للشبلي (١) : ما الفرقُ بينَ رقِّ العبوديةِ ورقِّ
المحبةِ ؟ فقال : كم بين عبدٍ إذا أُعتقَ صارَ حرّاً ،
وبين عبدٍ كلما أُعتقَ ازدادَ رقّاً ؟ .

قالوا : الزاهدُ في الدينارِ والدرهمِ أعزُّ من الدينارِ
والدرهمِ .

وقيل لمحمد بن واسع : كيف أنت ؟ قال : كيف
أكون ، وأنا إذا كنتُ في الصلاةِ فدخلَ إنسانٌ غنيّاً
أوسعُّ له بخلافِ ما أوسعُّ للفقيرِ .

سئل بعضهم : أيُّما أحمدُ في الصبيِّ الحياءُ أم
الخوفُ ؟ فقال : الحياءُ لأنَّ الحياءَ يدلُّ على عقلٍ والخوفُ
يدلُّ على جبنٍ .

(١) الشبلي قيل اسمه دلف بن جحدر وقيل : جعفر بن يونس ،
زاهد متصوف ، له مقامات وأحوال توفي سنة ٣٣٤ .

قالوا : ربَّ حَرْبٍ جُنَيْتَ بلفظةٍ ، وربَّ وُدٍّ
عُرْسٍ بلحظةٍ .

شكا رجلٌ إلى بشرِ بنِ الحارثِ (١) كثرةَ العيالِ
فقال له : فَرَّغَكَ فلم تشكره ، فعاقبك بالشغلِ .

كان يُقال : إذا تزوجَ الرَّجُلُ فقد رَكِبَ البحرَ ،
فإن وُلِدَ له فقد كُسِرَ به .

قالوا : أصبرُ النَّاسِ التَّدي لا يَفْشي سرَّهُ إلى صديقه
مخافةً أن يقعَ بينهما شيءٌ فيفْشِيه .

قالوا : ثمانيةٌ إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم :
الآتي طعاماً لم يُدْعَ إليه والمُتَأَمِّرُ على ربِّ البيتِ في
بيته ، وطالبُ المعروفِ من غيرِ أهله ، وراحي الفضلِ من
الثام ، والدّاخِلُ بين اثنين لم يُدْخِلاه ، والمُسْتَخْفُ
بالسلطانِ ، والجالسُ مجلساً ليسَ له بأهلٍ ، والمقبلُ
بجديته على مَنْ لا يسمعه .

قالوا : ثمرةُ القناعةِ الرَّاحَةُ ، وثمرَةُ التَّواضعِ
المحبَّةُ ، وثمرَةُ الصبرِ الظَّمْرُ .

(١) بشر بن الحارث المروزي المشهور ببشر الخافي ، زاهد له
مناقب ولد سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٥٢٢٧ .

قال بعضهم : نحن في دهرِ الإحسانُ فيه من الإنسانِ زِلَّةٌ ، والجَميلُ غريبٌ ، والخيرُ بدعةٌ ، والشفقةُ مَلَقٌ . والدعاءُ صلَّةٌ ، والثناءُ خِداعٌ ، والأدبُ مَسْأَلَةٌ ، والعلمُ شَبَكَةٌ ، والدينُ تُلْبِيسٌ ، والإخلاصُ رِياءٌ ، والحِكْمَةُ سَفَهٌ ، والقولُ هَدْرٌ ، والإطراقُ ترهيبٌ ، والسكوتُ نفاقٌ ، والبذلُ مكافأةٌ ، والمنعُ حَزْمٌ ، والإنفاقُ تَبذِيرٌ .

جلس رجلٌ إلى سهلِ بنِ هارونَ فجعلَ يُسَمِّعُه كلاماً سخيفاً من صنوفِ الهزلِ ، فقال له : تنحَّ عني ؛ فإنَّه لا شيءٌ أَميلٌ إلى ضِدِّه من العقلِ .

قيل لبعضِ العلماءِ : أيُّ عِلَقٍ (١) أنفَسُ ؟ فقال : عقلٌ صُرِفَ إليه حظٌ .

قالوا : الاعتبارُ يفيدُكَ الرَّشادَ ؛ وكفَّاكَ أدباً لنفسِكَ ما كرهتَ من غيرِكَ . الجَنَزَعُ من أعوانِ الزَّمانِ . الجودُ حارسُ الأعراسِ . العفوُ زكاةُ القلبِ . اللطافةُ في الحاجةِ أجدى من الوسيلةِ . مَن أشرفَ أفعالِ الكريمِ غَفَلَتَهُ عَمَّا يَعْلَمُ .

(١) العلق : النفيس من كل شيء .

احتمالُ نخوةِ الشَّرَفِ أَشدُّ من احتمالِ بَطَرِ
الغَنِيِّ وذِلَّةِ الفَقْرِ مانعةٌ من الصَّبْرِ .

قيل لبعضهم : مَنْ أَبْعَدُ النَّاسِ سَفَرًا ؟ قال :
من كان في طلبِ صديقٍ يرضاه .

قال يونسُ بنُ عبيد (١) : أعياني شيثان : درهمٌ
حلالٌ وأخٌ في الله . . .

استشارةُ الأعداءِ من باب الخذلانِ .

قالوا : إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ هلاكًا أهلكه برأيه ،
وما استغنى أحدٌ عن المشورةِ إلا هلكَ .

قال أكرمُ بنُ صيفيٍّ : الحرُّ لا يكون صريعَ بطنه
ولا فرجِه .

قيل : سيئُ خيصالٍ تُعرَفُ في الجاهلِ : الغَضَبُ
من غيرِ شيءٍ ، والكلامُ في غيرِ نفعٍ ، والعَطِيَّةُ في
غيرِ موضعٍ ، ولا يعرفُ صديقهُ من عدوه . وإفشاءُ
السِّرِّ ، والثقةُ بكلِّ أحدٍ .

(١) يونس بن عبيد بن دينار حدث عن أنس ، وتوفي سنة ٥١٣٩ هـ .

قال محمد بن واسع: إني لأغيبُ الرجلَ ليس له شيءٌ وهو راضٍ عن الله .

قالوا : سوء العادةِ كمينٌ لا يؤمنُ .

التجنيبي وافدُ القَطِيعَةِ .

مِنِكَ مَنْ نَهَاكَ ، وليس منك مَنْ أَعْرَاكَ .

يا عجباً من غفلةِ الحُسَّادِ عن سلامةِ الأجسادِ .

من سعادةِ المرءِ أن يطولَ عُمُرُهُ ويرى في عدوِّه ما يسره .

تُورِثُ الضغائنُ كما تورثُ الأموالُ .

كم من عزيزٍ أذله خُرْفُهُ ، وعزيزٍ أذله خُلُقُهُ .

لا يصالحُ النَّاسُ لأحدٍ ولا يستقيمُ إلاّ من فَرَقٍ أو حاجةٍ ؛ فإذا استغنى أو ذهب الهَيْئَةُ عادَ إلى جَوهره .

قيل لبعضهم : ما أبقى الأشياءُ في أنفُسِ النَّاسِ ؟

قال : أمّا في أنفُسِ العلماءِ فالنَّدَامَةُ على الذنوبِ ، وأمّا في أنفُسِ السُّفهاءِ فالحَقْدُ .

إذا انفضى مُلْكُ القومِ جُبيبوا في آرائهم .

الضعيفُ المحترسُ من العدو القويّ أقربُ إلى السّلامةِ
من القويّ المغترّ بالعدوِّ الضعيفِ .

الحزنُ سوءُ استكانةٍ والغضبُ لؤمُ قدرةٍ .
كلُّ ما يُؤْكَلُ يُنْتِنُ ، وكلُّ ما يُوهَبُ يَأْرَجُ (١) .
لا يصعبُ على القويِّ حملُ ، ولا على اللّيبِ عملُ ،
ولا على المتواضعِ أحدُ .

الطرشُ في الكِرامِ ، والهَوَجُ والشجاعةُ في الطوالِ ،
والكَيْسُ في القصارِ والملاحةُ في الحوْلِ ، والنسبُ
في الرّبعةِ ، والدِّكَاةُ في الحُرْسِ ، والكَيْبُرُ في العُورِ ،
والبَهْتُ في العميانِ .

بالكُفّةِ يُكْتَسَبُ الأصدقاءُ وبكلِّ شيءٍ يُمكنُ
اكتسابُ الأعداءِ .

أفقرُ النَّاسِ أكثرُهم كسباً من حرامٍ ؛ لأنّه استدانَ
بالظلمِ ما لا بدَّ له من ردّه ، وأنفدَ في اكتسابه أيّامَ
عُمُرهِ ، ومنعَه في حياته من حقّه ، وكان خازناً لغيره ،

(١) يارج : يفوح طيبه .

واحتملَ الدينَ على ظهره ، وطُوبَ به في حين
فَقَرِه .

الأمُّ النَّاسِ من سعى بإنسانٍ ضعيفٍ إلى سلطانٍ جائِر .
أعسرُ الخيلِ تصويرُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ عند
العاقلِ المُميِّزِ .

الريبةُ ذلٌّ حاضرٌ ، والغَيْبَةُ نُومٌ باطنٌ .
القلبُ الفارغُ يبحثُ عن السَّوءِ ، واليدُ الفارغةُ
تنازعُ إلى الإثمِ .

لا يتصرَّفُ القضاءُ إلاَّ خالقُ القضاءِ .

لا كثيرٌ مع إسرافٍ ، ولا قليلٌ مع احترافٍ ،
ولا ذنبٌ مع اعترافٍ .

من كلِّ شيءٍ يقدرُ أن يُحفظَ الجاهلُ إلاَّ من
نفسه .

المتعبدُ على غيرِ فقهٍ كحمارِ الرَّحى يدور ولا يبرحُ .
المحرومُ من طالَ نَصَبُهُ ، وكان لغيره مكسبُهُ .
كيفَ يحبُّ الدنيا من تغرُّه ، وتسوؤه أكثرَ ممَّا تسرُّه .

مع العجلة الحِظَانَارُ ، وربّما خَطِيءُ المخاطرُ
بالقضاء .

شرُّ أخلاقِ الرجالِ البخلُ والجُبْنُ وهما خيرُ
أخلاقِ النساءِ .

إذا جاءتْ زمانُ الخذلانِ انعكستِ العقولُ .

سَعَة السمحاءِ أحدُ الخِصْبَيْنِ ، وكثرةُ المالِ عند
البخلاءِ أصعبُ الجَدْبَيْنِ .

من سوءِ الأدبِ مؤانسةُ من احتشمك ، وكشفُ
خلّةٍ من ستّرها عندك ، والنزوعُ إلى مشورةٍ لم
تُدعَ إليها .

قال إبراهيمُ التيميُّ (١) : نِعَمَ القومُ السُّؤالُ ؛
يدققون أبوابكم ويقولون : هل تُوجّهون إلى الآخرة
شيئاً بشيءٍ ؟ .

* * *

(١) إبراهيم بن أبي يزيد التيمي العابد ، قتله الحجاج سنة ٥٩٢ .

الباب الخامس

جِنْسٌ آخَرُ مِنَ الْأَدَبِ وَالْحِكْمِ .
وهو ما جاء لَمَقْظُهُ عَلَى لَمَقْظِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ .

كان يُقال : إذا غضبَ الكريمُ فآلِينُ له الكلامَ ،
وإذا غضبَ اللئيمُ فخذُ له العَصَا .

وقال بعضهم : غَضِبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ ، وَغَضِبُ
الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ .

قال بعضهم وقد رأى رجلاً يَتَكَلَّمُ فَيَكْثُرُ :
أَنْصَفُ أذْنِيكَ مِنْ فَمِيكَ ؛ فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أذنان
وَفَمٌ واحِدٌ لِتَسْمَعَ أَكْثَرَ ممَّا تَقُولُ .

قالوا : دَعِ الْمَعَاذِرَ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا مَقْاجِرٌ .

وقال إبراهيمُ النَّخَعِيُّ (١) : دَعِ الْاِعْتِدَارَ فَإِنَّهُ
يَخَالِطُهُ الْكُذْبُ .

(١) إبراهيم النخعي : فقيه العراق ، توفي سنة ٥٩٦ عن تسع وأربعين

سنة .

قالوا : مكتوبٌ في الحكمة : أشكرُ لمن أنعمَ عليك ،
وأنعمُ على من شكركَ .

قال إبراهيمُ النخعيُّ : سلْ مسألةَ الحمقى ، واحفظْ
حِفْظَ الأكياسِ . يعني العليم .

قالوا : مُرُوا الأحداثَ بالمِراء ، والكهولَ بالفكرِ ،
والشيوخَ بالصمتِ .

وقال : عودٌ نفسكَ الصبرَ على جليسِ السوءِ ؛
فإنَّه لا يكاد يُخطِئكَ .

قال حاتمٌ لعديِّ ابنِهِ : يا بُنَيَّ إني رأيتُ الشرَّ
يتركُك إن تركتَهُ ، فاتركهُ .

وكان يقال : لا تطلبوا الحاجةَ إلى ثلاثةٍ : إلى كَنوبٍ ،
فإنَّه يقرَّبُها وإن كانت بعيدةً ويباعدُها وهي قريبةٌ ،
ولا إلى أحقِّ ؛ فإنَّه يريدُ أن ينفعَكَ فيضركَ ؛ ولا إلى
رجلٍ له إلى صاحبِ الحاجةِ حاجةٌ ، فإنَّه يجعلُ حاجتَكَ
وقايةً لحاجتهِ .

وقالوا : لا تصرفْ حاجتَكَ إلى مَنْ معيشتُهُ من
رؤوسِ المكابيلِ والسنةِ الموازينِ .

وكان يقال : إِيَّاكَ وَصَدَرَ الْمَجْلِسِ وَإِنَّ صَدَرَكَ
صَاحِبُهُ ، فَإِنَّهُ مَجْلِسٌ قُلِّعَتْهُ (١) .

قالوا : احذروا صولةَ الكَرِيمِ إِذَا جَاعَ ، وَالشَّيْمِ
إِذَا شَبِعَ .

قال بعضهم : سِرُّكَ دَمُكَ ؛ فَلَا تُجْرِيَنَّهُ فِي غَيْرِ
أَوْجَانِكَ .

كان يقال ، إِيَّاكَ وَعِزَّةَ الْغَضَبِ ؛ فَإِنَّهَا تُصَيِّرُكَ
إِلَى ذَلَّةٍ الْاِعْتِدَارِ .

قال بعضهم : إِذَا أُرْسِلْتَ لِتَأْتِيَ بِبَعْرِ فَلَا تَأْتِ بِتَمْرٍ ،
فِيؤَكْسِلُ تَمْرُكَ ، وَتَعْنَفَ عَلَى خِلَافِكَ .

قالوا : إِذَا وَقَعَ فِي يَدِكَ يَوْمُ السَّرُورِ فَلَا تُخْلِيهِ
فِيإِنَّكَ إِذَا وَقَعْتَ فِي يَدِ يَوْمِ الْغَمِّ لَمْ يُخْلِكَ .

قالوا : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُؤَاخِيَ رَجُلًا فَانظُرْ مَنْ
عَدُوُّهُ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعَادِيَ رَجُلًا فَانظُرْ مَنْ وَلِيُّهُ .

قيل : إِذَا قَلِدْتَ أَحَدًا مَهْمًا فَعَجِّلْ لَهُ مَنَفَعَةً ،
وَأَجْمَلْ لَهُ فِي الْعِدَّةِ ، وَابْسُطْ لَهُ فِي الْمُنِيَّةِ .

(١) فلعة : يتحول عنه .

قال بعضهم : الانقباضُ من النَّاسِ مكسبةٌ للعداوة ،
والانبساطُ مجلبةٌ لقرينِ السَّوءِ ، فكُنْ بينَ المنقبضِ
والمسترسِلِ ؛ فإن خيراً الأُمورِ أوساطُها .

كان يقال : اجعلْ عمرَكَ كَنَفَسَمَةٍ دُفِعَتْ إِلَيْكَ .
فَأَنْتَ لَا تَحِبُّ أَنْ يَنْدَهَبَ مَا تُنْفِقُ ضَيَاعاً ، فَلَا تُذْهَبُ
عمرَكَ ضَيَاعاً .

قيل : مَنْ أَظْهَرَ شُكْرَكَ فِيمَا لَمْ تَأْتِ إِلَيْهِ فَاحْذَرُ
أَنْ يَكْفُرَكَ فِيمَا أُسَدَيْتَ إِلَيْهِ .

لَا تَسْتَعِنْ فِي حَاجَتِكَ بِمَنْ هُوَ لِلْمَطْلُوبِ أَنْصَحُ مِنْهُ لَكَ .

لَا يُؤْمِنُ شَيْءٌ مِنْ شَرِّ جَاهِلٍ قَرَابَةٌ وَلَا إِلْفٌ ، فَإِنْ
أَخُوفَ مَا تَكُونُ لِلْحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنْهَا .

لَا تَرْفَعْ نَفْسَكَ عَنْ شَيْءٍ قَرَبَكَ إِلَى رَيْسِكَ .

كُنْ فِي الْحَرَصِ عَلَى تَفْقُهِ عَيْنِكَ كَعَدْوِكَ .

عَلَيْكَ بِسُوءِ الظَّنِّ فَإِنْ أَصَابَ فَالْحَزْمُ ، وَإِنْ
أَخْطَأَ فَالسَّلَامَةُ .

رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُدْرِكُ ، فَتَمَحَّرْ الْخَيْرَ بِجَهْدِكَ ،
وَلَا تَكْتَرِهِ سَخَطَ مَنْ يَرْضِيهِ الْبَاطِلُ .

إذا رأيتَ الرجلَ على بابِ القاضي من غيرِ حاجةٍ
فاتَّهِمهُ .

رأى رجلٌ ابنه يماكسُ في ابتياعِ لحمٍ ، فقال :
يا بني ، سَاهِلٌ فما تُضَيِّعُهُ من عِرْضِكَ أَكْثَرُ ممَّا
تَنَالُهُ من غَرَضِكَ .

وقال بعضهم : الدَّيْنُ رِقٌ ، فلا تَبْدُلْ رِقَكَ
لمن لا يَعْرِفُ حَقَّكَ .

وقال بعضهم : احذَرُ كُلَّ الحَذِرِ أن يَخْدَعَكَ
الشَّيْطَانُ فيسْتَلْ لَكَ التَّوَانِي في صورة التَّوَكُّلِ ،
ويورثُكَ الهُوبِنا بالإِحَالَةِ على القَدَرِ ، فإنَّ اللهَ أمرنا
بالتَّوَكُّلِ عند انقِطَاعِ الحَيْلِ ، وبالتَّسْلِيمِ للقَضَاءِ بعدَ
الإِعْدَارِ فقال : (خُذُوا حِذْرَكُمْ) (١) (وَلَا
تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (٢) .

وقال النبيُّ عليه السلام : « اِعْقِلْ وَتَوَكَّلْ » .

(١) سورة النساء : ٧١ .

(٢) سورة البقرة : ١٩٥ .

قالوا : لتكن عنايةك بحفظ ما اكتسبته كعنايتك باكتسابه ، ولا تصحب غنياً ؛ فإنك إن ساويته في الإنفاق أضربك ، وإن تفضل عليك استدللك .

إذا سألت كريماً حاجة فدعه يتفكر ؛ فإنه لا يفكر إلا في خير . وإذا سألت لثيماً حاجة فخافصه (١) ولا تدعه يتفكر فيتغير . وفي ضد ذلك : إذا سألت لثيماً حاجة فأجله حتى يروض نفسه .

العدو عدوان : عدو ظلمته ، وعدو ظلمتك . .
فإن اضطرك الدهر إلى أحدٍهما فاستعن بالذي ظلمك ؛
فإن الآخر مؤنور .

لا تستصغرن أمرَ عدوك إذا حاربته ، لأنك إن ظفرت به لم تحمده ، وإن ظفر بك لم يعندر ، والضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى السلامة من القوي المغتر بالضعيف .

لا تصحب من تحتاج أن تكتمه ما يعرفه الله منك .
صن الاسترسال منك حتى تجد له مستحقاً ،
واجعل أنسك آخر ما تبدله من ودك .

(١) غامض : أخذ على غرة .

قال آخرُ : لا تجاهدِ الطَّابَّ جهادَ المغالِبِ ، ولا
تتمكِّلِ اتِّكالَ المستسلمِ ؛ فإنَّ ابتغاءَ الفضلِ من السنَّةِ ،
والإجمالَ في الطَّابِّ من العِنَّةِ . وليستِ العِفَّةُ بدافعةٍ
رزقا ، ولا الحرصُ يجالبُ فضلا .

سمعَ بعضهم إنساناً يتكلمُ بما لا يعنيه فقال له : يا هذا
إنما تُسملي على محافظتيك ، وتكتبُ إلى ربِّك ؛ فانظروا
على مَنْ تُسملي ، وإلى مَنْ تكتبُ .

قال بعضهم : أقيمِ الرغبةَ إليكَ مقامَ الحرمةِ بك ،
وعظمِ نفسكَ عن التعظيمِ ، وتطوّلْ ولا تتطاولْ (١) .

قال آخرُ : عامِلُوا الأحرارَ بالكرامةِ المحضَةِ ،
والأوساطَ بالرَّغبةِ والرَّهبةِ والسَّعْيِ بالهوانِ .
كُنْ للعدوِّ المكاتبِ أشدَّ حذرًا منكَ للعدوِّ المبارزِ .

قال ساسمُ بنُ قُتَيْبَةَ (٢) : لأهلِ بيته : لا تَمَازِحُوا

(١) التطول : التفضل ، والتطاول : الترفع على الناس ، والتطول
عمدوح ، والتطاول منموم .

(٢) سلم بن قتيبة الباهلي : قائد ولي خراسان أيام هشام وولاه
المنصور البصرة مات سنة ١٥٩ .

فبستخفَّ بكم السُّوقَةُ ، ولا تدخلوا الأسواقَ فتدِقْ
أخلاقكم ولا تَرَجَّسُوا فيزُدْ ريبكم أكفأؤكم .

قال آخرُ : احفظْ شيئاًك ممن تستحيي أن تسأله عن
شيءٍ ، إن ضاع لك .

إذا كنتَ في مجلسٍ فإم تَكُنِ المحدثَ ولا المحدثَ
فقسُّم .

قالوا : لا تُدْخِلْ في مشورتكَ بخيلاً فيقتصرُ
بعقلك ، ولا جباناً فيُخَوِّفكَ مالا يُخافُ .

قال ابنُ المُقَفَّعِ : الختمُ حتمٌ ، فإذا أردتَ أن
تختمَ على كتابٍ فأعدِ النظرَ فيه فإنما تختمُ على عقلك .

كان يقال : إذا قال أحدكم : والله . فليُنظِرُ
ما يضيفُ إليها .

دخلَ عبدُ العزيزُ بنُ زُرارةَ الكلابيُّ على معاويةَ
فقال : يا أميرَ المؤمنينَ جالسِ الألبانِ ، أعداءُ كانوا
أو أصدقاء ، فإنَّ العقلَ يقعُ على العقلِ .

كان بعضهم يقول : أحيوا الحياةَ بمُجالسةِ مَنْ
يُسْتَحْيَا منه .

كان يقال : إذا وجدت الشيء في السوق فلا تطلبه
من صديق .

قال العباسُ بنُ الحسنِ العلويُّ (١) : اعلمُ أنَّ
رأيك لا يتسعُ لكلِّ شيءٍ ، ففرغه للمهمِّ من أموركَ ،
وأنَّ مالكَ لا يُغني النَّاسَ كما هم ، فاخصمُ به أهلَ
الحقِّ ، وأنَّ كرامتك لا تُطبِّقُ العامَّةَ ، فتوخَّ بها أهلَ
الفضلِ ، وأنَّ ليلك ونهارك لا يستوعبانِ حوائجك
فأحسنُ قيسمتك بين عملك ودعتك .
وكان يقال : أحيوا المعروفَ بإماتته .

وقال قيسُ بنُ عاصمٍ (٢) : يابني اصحِّبوا منَّ
يذكركم لإحسانكم إليه وينسى أياديه لديكم .
وكان مالكُ بنُ دينارٍ يقول : جاهلوا أهواءكم كما
تجاهلون أعداءكم .
إذا رغبت في المكارمِ فاجتنبِ المحارمَ .

* * *

(١) العباس بن الحسين العلوي شاعر بي هاشم وأديبهم . عاش في
عصر الرشيد .
(٢) قيس بن عاصم المنقري أسلم سنة ٥٩ هـ ، وكان مشهوراً بالحلم ،
وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر في الجاهلية .

أراد رجلٌ سفراً فقال له بعضهم : إنَّ لكلِّ رفقَةٍ
كالباءِ يَشْرُكُهُمْ في فضلةِ الزَّادِ ، ويَهْرُ دونَهُمْ ، فإنَّ
قدرتَ ألا تكونَ كلبَ رفقَتِكَ فافعلْ ، وإيَّاكَ وتأخيراً
الصَّلَاةَ عن وقتِها فإنَّك مُصَلِّئُها لامحالةٍ ، فصَلِّها وهي
تُقْبَلُ منك .

قال ابنُ السَّمَكِ : إنَّ مِنَ النَّاسِ ناساً غَرَّهم
السُّرُ ، وقتَّتَهُمُ الثَّنَاءُ . فلا يَغْلِبُنَّ عَلَيْكَ جَهْلُ
غيرِكَ بكِ عِلْمِكَ بِنَفْسِكَ .

قيل : لا تَثِقَنَّ كُلَّ الثَّقَةِ بِأَخِيكَ ، فإنَّ صرعةَ
الاسترسالِ لا تُسْتَمْتَلُ .

من أمثالِ التُّرْكِ : اسكُتْ تَرَبِّحْ مَاعِنْدَكَ ، وشاورْ
تَرَبِّحْ مَاعِنْدَ غَيْرِكَ .

قيل : لا تَكُنْ مِثْلَ مَنْ تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ
ولا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ أَنْتَقِمَ مِنَ الْحَرِصِ بِالْقِنَاعَةِ كَمَا
يُسْتَصْبَرُ مِنَ الْعَدُوِّ بِالْقَصَاصِ .

أوصى أَبُو الْهَدَيْلِ (١) أَصْحَابَهُ فَقَالَ : لا تَدْخُلُوا

(١) أَبُو الْهَدَيْلِ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَدَيْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، مشهورٌ بِكُنْيَتِهِ وَهُوَ
شَيْخُ الْمَعْتَزَةِ تُوْفِيَ سَنَةَ ٥٢٣٥ هـ .

في الشهادة فتصيروا أسراء الحكّام . ولا في القضاء ،
 فإنّ فرحة الولاية لاتفي بتراحة العزل ، ولا في رواية
 الحديث فيكذبكم الجهّالُ والصبيانُ ، ولا في وصيّة
 فيطعنّ عليكم بالخيانة ، ولا في إمامة الصلاة فمنّ
 شاء صابى وراءكم ومن شاء لم يصل . وقال : لاتجالسوا
 من لا يوثقُ بدينه وأمانته ، ولا تبدأوا المخالفين بالسّلام
 فإنهم إن لم يجيبوا تقاصرت إليكم نفوسكم ولحقّتكم
 خجالة .

عوذُ نفسك السّماح ، وتخيّر لها من كلّ خلقٍ
 أحسنه ، فإنّ الخير عادة ، والشرّ لاجاجة ، والصّدود
 آيةُ المقت ، والعيل آيةُ البخل .
 كنُ سَمحاً ولا تكنُ مُبندراً ، وكنُ مُقدراً
 ولا تكنُ مقتراً .

إياك والمرّتقى السّهل إذا كان المُتحدِرُ وعراً .
 احترس من ذِكْرِ العائم عند من لا يريدُه ،
 ومن ذِكْرِ القديم عند من لا قديم له ، فإنّ ذلك يُحدِثُ
 التعمير ، وبالحرى أن تتخذَه سائماً إلى الضيغنِ عليك .

إذا زللتَ فارجميعُ ، وإذا نلستَ فأقلعُ ، وإذا
أسأتَ فاندَمُ ، وإذا مننتَ فاكتُثمُ ، وإذا منعتَ
فأجملُ . ومن يسالفِ العروفَ يكنُ ربحهُ الحمدَ .

اطلبِ الرَّحمةَ بِالرَّحمةِ .

اتقِ العِشَارَ بِحسَنِ الاعتبارِ .

لا تستأنسُ بمن لم تبطلْ خلائيقه .

لا تأمنِ العدوَّ على حالِ .

لا تفرحِ بالرَّجاءِ فإنه غرورٌ ، ولا تتعجلِ الغمَّ بالخوفِ
فإنه شكٌ .

حاسبِ نَفْسَكَ تَسَامُ وتَسَعَّدُ .

لن يعخلوَ أحدٌ من ذمِّ ، فاجهدُ أن تعخلوَ من ذمِّ
الأخيارِ .

حاربُ عدوكَ ما حاربكَ بشخصيهِ ، فإذا أخفسي
شخصيهُ فاحرُسْ نَفْسَكَ منه ، لأنَّ مَنْ يعلمُ أنهُ
لا ينجيهُ منكُ إلا الموتُ لا ينجيكُ منه إلاَّ مثلُ ذلكِ ،
والمستسلمُ للموتِ لا يبالي على ما أقدم .

احذرْ فلتاتِ المِزاحِ وصرعاتِ البَغْيِ .

لا تجاهدِ الطَّلَبَ جهادَ المُغَالِبِ ، ولا تتكلَّ على
القَدَرِ اتكالَ المُسْتَسَلِمِ فإنَّ ابتغاءَ الفضلِ سُنَّةٌ ،
وإجمالُ الطَّلَبِ عِفَّةٌ ، وليستِ العِفَّةُ بدافعةَ رِزْقاً ،
ولا الحرصُ بجالِبِ فضلاً ، والرِزْقُ مقدُورٌ والأجلُ
موقوفٌ ، وفي استعجالِ الحريصِ اكتسابُ المآثمِ .
لا تشبهنَّ رضاكَ بغضبكَ ، فتكون ممسِّن لا يضرُّ
غضبه ولا ينفَعُ رضاه .

اغتنمِ العملَ مادامتِ نفسُكَ سليمةً ، واجعلْ كلَّ
ساعةٍ بِشغلها لا بآخرتك غنيمةً .

لا تكوننَّ لغيرِ الله عبداً ما وجدتَ من العبوديةِ بُدأً .
احمِ نفسَك القنوطَ ، واتَّهمِ الرجاءَ .

لا تُعيِّرْ أخاكَ واحمدِ الذي عافاك .

انظر ما عندك فلا تَضَعه إلا في حقِّه ، وما ليس عندك
فلا تأخذهُ إلا بحقِّه .

احتملْ مِمَّنْ أدلَّ عليكَ ، واقبَلْ مِمَّنْ اعتذرَ إليك .

لِيَكُنْ عَمَلُكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَعْدَائِكَ الْعَدْلَ ،
وَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَصْدِقَائِكَ الرِّضَا ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ خَصِمٌ
تَصْرَفُهُ بِالْحِجَّةِ ، وَتَغْلِبُهُ بِالْحُكْمِ . وَالصَّدِيقُ لَيْسَ بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ قَاضٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ رِضَاةٌ وَحُكْمُهُ .

إذا أردت أن تحددع الناس فتغاب عليهم .

إذا صافاك عدوك رياءً منه فتلق مصافاته إيتاك
بأوكدم مودقة ، فإنه إذا ألفت ذلك واعتاده خلتصت
لك مودتته .

فكتر قبل أن تعزم ، وأعرض قبل أن تصرم ،
وتدبر قبل أن تهجم ، وشاور قبل أن تقدم .

* * *

الباب السادس

جِنْسٌ أُخْرُ مِنْ الْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ وَالْأَدَابِ وَهُوَ
مَا كَانَ فِي أَوَّلِهِ « مَنْ »

مَنْ كَثُرَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ كَثُرَ عَدُوُّهُ .

مَنْ يَصْحَبُ الزَّيْمَانَ يَرَى الْهَوَانَ .

مَنْ لَمْ يَمِتْ لَمْ يَفُتْ .

مَنْ صَدَّقَ النَّاسَ كَرِهَهُ .

مَنْ يَطْلُؤْ ذَيْلُهُ يَنْتَطِقُ بِهِ .

مَنْ قَسَّدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غُصَّ بِالْمَاءِ ، فَإِنَّهُ نُو

غُصَّ بغيره أَجَازَ بِهِ غُصَّتَهُ .

مَنْ أَكْثَرَ أَسْقَطَ .

مَنْ اتَّبَعَ غَيْبَ النَّاسِ كَانَ أَعْوَى .

مَنْ لَقِيَ النَّاسَ بِمَا يَكْرَهُونَ ، قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ .

مَنْ أَحَبَّ الذِّكْرَ فَلَيْسَتْ عَمَلِ الصَّبْرِ .

وَمَنْ شَحَّ عَلَى دِينِهِ فَلَيْسَتْ عَمَلِ الْخَوْفِ ، وَمَنْ ضَنَّ
 بِعَيْرِ ضِهِ فَلَيْمَسْكُ عَنِ الْمِرَاءِ .
 مِنْ صَفَا قَلْبُهُ صَفَا لِسَانُهُ .
 مِنْ خَلَطَ خُلِّطَ لَهُ .
 مَنْ لَمْ يَبْضِنْ بِالْحَقِّ عَنْ أَهْلِهِ فَهُوَ عَيْنُ الْجَوَادِ .
 وَقَالَ الصَّادِقُ (١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَيْقَظَ .
 فِتْنَةً فَهُوَ أَكْلُهَا .

وَمِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ
 اشْتَقَّ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنْ الشَّهَوَاتِ ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ
 النَّارِ كَفَّ عَنِ الْمَحَارِمِ ، وَمَنْ زَهَّدَ فِي الدُّنْيَا تَهَوَّنَ
 بِالْمَصَائِبِ ، وَمَنْ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرِ .
 وَقَالُوا : مَنْ اسْتَغْنَى كَرُمَ عَنْ أَهْلِهِ .

مَنْ قَرَّبَ السَّفِيلَةَ وَاطَّرَحَ ذَوِي الْأَحْسَابِ وَالْمُرُوءَاتِ
 اسْتَحَقَّ الْحَيْدُ لَانَ .

(١) جعفر الصادق بن محمد الباقر ، أحد الأئمة الاثني عشر عند
 الشيعة ، وسيد بني هاشم في زمانه توفي سنة ٥١٤٨ هـ .

من انتقم انتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن شفا
غِيظَه لم يُدْكَرْ في النَّاسِ فَضْلُهُ .

من كظَمَ غِيظَه فقد حَلَمَ ، ومن حَلَمَ فقد
صَبَرَ ، ومن صَبَرَ فقد ظَفِيرَ .

من طلب الدنيا بعمل الآخرة خسرَهما ، ومن
طلب الآخرة بعمل الدنيا ربحَهما .

قال بعضهم : مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ أَرْبَعِ حَرَمِهِ
اللَّهُ عَلَى النَّارِ : حِينَ يَغْضَبُ وَحِينَ يَرْغَبُ ، وَحِينَ
يَرْهَبُ ، وَحِينَ يَسْتَهَيِّبُ .

قال بكر بن عبد الله : مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ
وَاعْظُ عَارِضَهُ سَاعَةَ الْغَفْلَةِ وَحِينَ الْحَمِيَّةِ .
من أمَلَّ أَحَدًا هَابَهُ ، وَمَنْ قَصُرَ عَنْ شَيْءٍ عَابَهُ .

قيل لحكيم : مَنْ أَسْوَأَ النَّاسِ حَالًا ؟ قَالَ : مَنْ لَمْ
يَثِقْ بِأَحَدٍ لِسُوءِ ظَنِّهِ ، وَلَا يَثِقُ بِهِ أَحَدٌ لِسُوءِ أَثَرِهِ .

قيل لبعضهم : مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ لِإِيكَ ؟ قَالَ : مَنْ
كَثُرَتْ أَيَادِيهِ عِنْدِي قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ؟ قَالَ : مَنْ
كَثُرَتْ أَيَادِيَّ عِنْدَهُ .

كان يُقال : من طالَ صمته اجتمعت من الهيمة
ما ينفعه ، ومن الوحشة ما لا يضره .

من طلب موضعاً لسيره فقد أوشاه .

قيلَ للحكيم : مَنْ أَنْعَمُ النَّاسُ عَيْشاً ؟ فقال :
من كُفِيَ أمرَ دنياه ، ولم يهتمَّ بأمرِ آخِرته .

وقيل : من زاد عقله نقصَ حفظه . وما جعلَ
اللهُ لأحدٍ عقلاً وافراً إلا احتسبَ عليه من رزقه .

مَنْ قال : لا أدري . وهو يتعلَّمُ أفضلُ ممن
يدرِي وهو يتعظَّمُ .

مَنْ انتحلَ من العلمِ الغايةَ لم يكنْ لجهله نهايةً .

من يدعِ العلمَ جليله أعقلُ ممن يدعيه كليله .

مَنْ جاعَ باعَ .

من أحسنَ الاستماعَ استعجلَ الانتفاعَ .

من حاسمَ سادَ . من اعترفَ بالخريرة فقد استحقَّ

الغفيرة (١) .

(١) الغفيرة والغفران بمعنى واحد .

- من رَغِبَ عن الإخوانِ جَسَرَ على الزَّمانِ .
 من اتَّبَعَ هواهُ أضلَّهُ .
 من جَهَلَ النِّعمَ عَرَفَ النِّقمَ .
 من كانت له فِكْرَةٌ فله من كلِّ شيءٍ عِبْرَةٌ .
 من انتَهَزَ الفرصَةَ آمِنَ الغُصَّةَ .
 من سَكَتَ فسلِمَ كان كمن قال فَعَنِمَ .
 من كَرِهَ التَّطاحَ لم يَنْلِ النَّجاحَ .
 من كان له من نفسه واعظٌ كان له من اللّهِ حَافِظٌ .
 من كساه الحياءُ ثوبَهُ ، حَجَبَ عن العيونِ عَيْبَهُ .
 من كَرُمَ مَحْتَدُهُ حَسُنَ مَشْهُدُهُ .
 من خَبِثَ عُنُصْرُهُ ساءَ مَحْضَرُهُ .
 من خانَ هانَ .
 من أَدَمَ قَرعَ البابِ وَاتَّجَ .
 من استَوطأَ مَرَكَبَ الصِّبرِ فَاتَّجَ (١) .
 من أخذَ في أمورِهِ بالاحتياطِ سَلِمَ من الاختِلاطِ .
 من نَشَرَ صبرَهُ طوى أمرَهُ .

(١) فلج : ظفر .

من امتنَّ بمَعروفه أفسدَه .
 من قلَّ حياؤه كَثُرَ ذَنْبُه .
 من لانَ عودُه كَثُرَتْ أَعْصانُه .
 من حَسُنَ خَلْقُه كَثُرَ إِخْوَانُه .
 من يُبْرِئُ بِصيرتِكَ من العَمَى أكملُ ممَّن يُصِحُّ
 بصرك من القَدَى .
 مَنْ غَرَّه الشَّبابُ تَقَطَّعتْ به الأسبابُ .
 من خَتَمَ البِضَاعَةَ أَمِنَ الإِضَاعَةَ .
 من نَظَرَ بعينِ الهوى حارًا ، ومن حَكَمَ بِحُكْمِ
 الهوى جازًا .
 من ساءَ خَلْقُه عَذَّبَ نَفْسَه . من أَحَبَّكَ نَهَاكَ ،
 ومن أَبْغَضَكَ أَغْرَاكَ . . من أَحْسَنَ الاعْتِدَارَ اسْتَوْجِبَ
 الاغْتِفَارَ .
 من طالَ صبرُه ضاقَ صدرُه .
 من احتاجَ إِلَيْكَ ثَقُلَ عَلَيْكَ .
 من زرعَ شَيْئًا حَصَدَه ، ومن قدَّمَ خَيْرًا وجدَه .

- من تنزهه عن المطامع لم يُعْتَبِدْ .
- من لم يحتمل بشاعة الدواء دام ألمه .
- من تعلل بالمشي أفسس .
- من اغتاب خرقاً ، ومن استغفر رقعاً .
- من بخل عليك ببشره لم يسجد عليك بسيره .
- من كفف عنك شره فاصنع به ما سره .
- من تشاغل بالسلطان لم يتفرغ إلى الإخوان .
- من استغنى برأيه فقد خاطر .
- من عرف الأيام لم يُغْفِلِ الاستعداد لها . من أحب
 من لا يعرفه وإنما يمازح نفسه .
- من حصن شهوته صان قدره . من ضاق خلقه
 ملته أهله .
- من تقدم بحسن النية بصره التوفيق . من قارب
 الناس في عقولهم سلم من غوائلهم . من التحف
 بالقناعة حالته العز
- من كانت له إلى الناس حاجة فقد خذل .

من عاجج الشَّوقَ لم يستبَعِدِ الدَّارَ . من يزرع
الشَّوكَ لا يحصد به العنب .

من اطمأنَّ قبلَ الاختبارِ ندمٌ .
من وصلتكَ وهو مُعَدِّمٌ (١) خيرٌ ممَّن جفأكَ وهو
مُكْثِرٌ .

من لم يَغْضِ على القَدَى لم يَرْضَ أبداً .
من تقاسبتُ به الأحوالُ علمُ جواهرِ الرِّجالِ .
من حفظَ ماله فقد حفظَ الأكرميينَ : الدِّينَ
والعيرضَ .

من تأدَّبَ صحَّيراً انفعَ كبيراً .
من عدَّلَ سَقِيها عرَّضَ للشَّتمِ نَفْسَهُ .
مَنْ زُنِّيَ زُنِّيَ بِهِ .
من عتَّسَ على الدهرِ طالَتْ معشيتُهُ .
من سألَ فوقَ قدرِهِ استحقَّ الحرمانَ .
من شتمَ حلِيماً رجِعَ ذَمِيماً .
من كَفَرَ النِّعْمَةَ مُنِعَ الزِّيَادَةَ .

(١) المعدم : الفقير أو قليل المال .

من لم يدارِ عيشه ماتَ قبلَ أجليه .
 من لاحى الرجالَ ذهبُ كرامته . من اتَّخذَ
 التَّمَوَى صاحباً كانتْ له رِداءٌ من المُلِمَّاتِ .
 من كتم الأَطبَاءَ مرضه فقد غَشَّ نفسه .
 من أَحَبَّ أن يصرِمَ أخاه فليُفَرِّضْهُ ثم يَتَقاضاه .
 مَنْ أَحَبَّكَ لشيءٍ زالَ حبه بزواله .
 مَنْ قال في الناسٍ ما يكرهونَ قالوا فيه ما لا يعلمون .
 من طلبَ ما عندَ السلطانِ بالغمِظَةِ لم يزدْ منه
 إلا بُعداً .

من عاملَ الناسَ فلم يظلمْهم ، وحدثهم فلم
 يكذبْهم ، ووعدهم فلم يخالفْهم ، فقد حرمتْ غيبته ،
 وكمالاتُ مروعته ، وظهرتْ عدالته ، ووجبتْ
 أحوته .

من استحيا من غيره ولم يستتحي من نفسه فليسَ
 لنفسه عنده مقدارٌ .

من أدبَ ولدَه صغيراً سرَّ به كبيراً .

من كَثُرَ خَيْرُهُ كَثُرَ زَائِرُهُ .
من أطال الحَدِيثَ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلْمَالَةِ وَسُوءِ
الاسْتِمَاعِ .

من أظهرَ شُكْرَكَ فِيمَا لَمْ تَأْتِ لِيهِ فَاحْذَرِ أَنْ يَكْفُرَ
نِعْمَتَكَ فِيمَا أَسَدَيْتَ لِيهِ .

مَنْ تَحَدَّثَ بِحَدِيثٍ قَبْلَ أَنْ يَتَدَبَّرَهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ عَيْبِهِ .
من نَظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ لَمْ يَشْفِ غِيظَهُ .

من زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ سَفِيهِ فَقَدْ عَقَّبَهَا .
من مَنَعَ بِرَّهُ قَلَّ أَنْصَارُهُ .
من أَطْلَقَ لِسَانَهُ أَهْدَرَ دَمَهُ .

من تَذَكَّرَ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمْ يَسْتَعْمِلْ قُدْرَتَهُ فِي
ظَلْمِ عِبَادِهِ .

من مَنَعَ النَّاسَ مَا يَرِيدُ مِنْهُمْ مِثْلَهُ ظَلَمَ نَفْسَهُ .
من اسْتَقْصَى عَلَى النَّاسِ قَلَّ صَدِيقُهُ ، وَمَنْ أَغْضَى
عَلَى الْعَوْرَاءِ (١) سَهَّلَ طَرِيقَهُ .

(١) العوراء : الكلمة القبيحة .

من نظر في دينه إلى من هو فوقه يستصغر عمله ،
ونظر في دنياه إلى من هو دونه ليستكثر ما أعطى فقد
وفقَ لحظته .

قال يحيى بن أكتهم : من لم يرج إلا ما هو
مستوجب كان قميناً أن يدرك حاجته . من عرف
ثمار الأعمال فهو جدير ألا يغرس ألا طيبياً . من
صحب الحكمة ظفر بحسن الشناء .

من اغتر بالعدو الأريب خان نفسه .
من عديم ماله أنكره أهله ومعارفه . من جانب
هواه صح رأيه .

من عاقب بريثا فنفسه عاقب .
من عرّضت له بليّة رُحيم ، ومن جناها ذم .
من لم يجلس في شبيبته حيث يهوى جلس في كيبه
حيث لا يهوى .

من لم يركب المضاعب لم ينل الرغائب .
من كان أغلب حصاله عليه الإحسان اغتثرت
زلته ، وأقبلت عشرته .

من ردَّ الكرامةَ نصبَ شرَكاً وثيقاً للعداوة .
 من بخلَ بدينه عَظُمَ ربحُه .
 من فاهَرَ الحقَّ قُهِرَ .
 من تركَ التَّوَقِّيَ فقدِ استَسلمَ لقضاءِ السُّوءِ .
 من لم تؤدِّ بهُ المواعظُ أدَّتْهُ الحوادثُ .
 من تعودَ الكفايةَ لم يعرفِ مقدارَ الراحةِ .
 من لم يعرفِ قدره أوشك أن يبدلَ ، ومن لم يدبِّرْ
 ماله أوشك أن يفتقرَ .
 من رَقَّ وجهه رَقَّ عِلمُه .
 من لم يتحرَّرْ بعقله من عقله هلكَ من قبَلِ عقله .
 من حُرِّمَ العقلَ فلا خيرَ له ولا للناسِ في حياته ،
 ومن حُرِّمَ الجُودَ فلا خيرَ له ولا للناسِ في سلطانيه ،
 ومن حُرِّمَ الفهمَ فلا خيرَ له ولا للناسِ في قضائيه .
 من رَضِيَ عنه الجميعُ المختلفونَ استحقَّ اسمَ
 العَقْلِ .

* * *

الباب السابع

في سياسة السُّلْطَانِ وَأَدَبِ الرَّعِيَّةِ

قال بعضُ الحكماء : إنَّ قلوبَ الرّعيّةِ خزائنٌ
واليها فما أودعته وجدته فيها .

قالوا : صينفانٍ مُتباينانِ إنَّ صلحَ أحدهما صلحَ
الآخرُ : السلطانُ والرعيّةُ .

قال بعضُ الحكماء : إذا صحبتَ السلطانَ فلتكنْ
مداراتك له مداراةَ المرأةِ القبيحةِ لزوجها ؛ فإنّها
لا تدعُ التصنُّعَ له في كلِّ حالٍ .

قال الأعمشُ : إذا رأيتَ العالمَ يأتي بابَ السلطانِ
فاعلمْ أنه ليص . قال بعضُ الحكماء : ليغنائقِ السلطانُ
بابَ الأُنسِ بينه وبين كُفّاتِهِ التّدينِ تنفُسُهُ أمُورُهُم
في ملكه ؛ فإنَّ مؤانستَه يساهمُ تبعثُ عليه بهم الجرأةَ وعلى
الرعيّةِ الغشمَ .

قالوا : صينفانٍ لو صالحا صلحَ جميعِ الناسِ النّفهاءُ
والأمراءُ .

قيل : من داخل السلطان يحتاج أن يدخل أعمى
ويخرج أحرص .

قيل للعتابي : لم لا تقصدُ الأميرَ ؟ قال : لأني
أراه يُعطي واحداً لغيرِ حسنةٍ ولا يد ، ويقتلُ آخرَ
بلا سيئةٍ ولا ذنبٍ ولستُ أدري أيَّ الرجلين أكونُ
أنا ، ولستُ أرجو منه مقدار ما أخطرُ به .

قيل : العاقلُ من طلبِ السلامة من عملِ السلطانِ ،
إن عَفَّ جنى عليه العفافُ عداوةَ الخاصةِ ، وإن بسطَ
جنى عليه البسطُ السنةَ العامةِ .

قال سعيدُ بن حميد : (١) مجلسُ السلطانِ كالحمامِ ؛
من فيه يريدُ الخروجَ ومن هو خارجٌ يريدُ الدخولَ
فيه .

ابنُ المقفعِ : إقبالُ السلطانِ تعجبٌ ، وإعراضه
مذلةٌ .

(١) سعيد بن حميد ، شاعر عباسي ، من أولاد الدهاقين ، كان
فصيح اللسان وعاش إلى أيام الوراق .

قالوا : ينبغي للمليك أن يتفقّد أمرَ خاصّته في كلِّ يومٍ ، وأمرَ عامّته في كلِّ شهرٍ ، وأمرَ سلطانه في كلِّ ساعةٍ .

قال بعضهم : إذا كنتَ حافظاً للسلطان في ولايتك ، حتّم رأً منه عند تقريبه لك ، أميناً له إذا ائتمنتك ، تشكراً له ولا تكلفه الشكر لك ، تعلّمه وكأنك تتعلم منه ، وتؤدبه وكأنّه يؤدّبك ، بصيراً بهواه ، مؤثراً لمنفعته ، ذليلاً إن ضامك ، راضياً إن أعطاك ، قانعاً إن حرّمك ، وإلاً فابعده منه كلَّ البعد .

قال حكيمٌ : محلُّ الملك من رعيّته محلُّ الروح من البدن ، ومحلُّ الرعيّة منه محلُّ البدن من الروح . فالروح تألّم لألّم كلِّ عضوٍ من أعضاء البدن ، وسائرُه لا يألّم لألّم غيره ، وفي فسادِ الروح فسادُ جميعِ البدن ، وقد يفسدُ بعضُ البدن وغيرُه من سائرِ البدنِ صحيحٌ .

قال سهلٌ بنُ هارون : ينبغي للنديم أن يكون كأنّما خلّق من قلبِ الملك ؛ يتصرفُ بشهواته ، ويتقلّبُ بإرادته ، إذا جدّ جدّ ، وإذا تطلّق تطلّق ، لا يمسّ

المعاشرة ، ولا يسأمُ المسامرةَ ، إذا انتشى تحفظت ،
وإذا صحا تيقظت ويكونُ كأنما لسره ، ناشراً لبيره ،
ويكونُ للمملك دون العبدِ ؛ لأنَّ العبدَ يخدمُ نائباً والنديمُ
يحضرُ دائماً .

كان مسروقٌ بنُ الأجدعِ (١) ينهى عن عملِ
السلطانِ ، فدعاه زيادٌ وولاه الساسنةَ ، فقبل له في ذلك ،
فقال : اجتمع عليّ زيادٌ وشريحٌ والشيطانُ ، فكانوا
ثلاثةً وكنْتُ واحداً فغابوني .

قيل لبعضِ مَنْ يتصرفُ مع السلطانِ : لا
تصحبهم (٢) ؛ فإنَّ مثلهم مثلُ قيدرِ أسودٍ كأنساً
مسّه إنسانٌ سرده . فقال : إن كان خراجُ القديرِ أسوداً
فإنَّ دانتَه لحمٌ سمينٌ ، وطعامُ لذيذٌ .

كان يُقالُ : لا سلطانَ إلاَّ برجالٍ ، ولا رجالٍ
إلاَّ بمالٍ ، ولا مالَ إلاَّ بعمارةٍ ، ولا عمارةَ إلاَّ بعدلٍ
وحسنٍ سياسةٍ .

(١) مسروق بن الأجدع الهمداني ، أدرك الجاهلية ، وهو تابعي مات
سنة ٦٣ هـ .
(٢) أي السلاطين .

قال بعضُ الملوِكِ في خُطْبَةٍ : إِنَّمَا نَمْلِكُ الْأَجْسَادَ
لَا النِّيَّاتِ ، وَنَحْكُمُ بِالْعَدْلِ لَا بِالرِّضَا ، وَنَقْصُ عَنْ
الْأَعْمَالِ لَا عَنِ السَّرَائِرِ .

قيل : أَفْضَلُ مَا عُوْشِرَ بِهِ الْمَلُوكُ قِلَّةُ الْخِلاَفِ
وَتَخْفِيفُ الْمُؤُونَةِ .

قيل : لَا يَقْدَرُ عَلَى صُحْبَةِ السُّلْطَانِ إِلَّا مَنْ
يَسْتَقِيلُ مَا حَمَلُوهُ ، وَلَا يُلْحَفُ إِذَا سَأَلَهُمْ ، وَلَا يَغْتَرُ بِهِمْ
إِذَا رَضُوا عَنْهُ ، وَلَا يَتَغَيَّرُ لَهُمْ إِذَا سَخَطُوا عَلَيْهِ ، وَلَا يَطْغَى
إِذَا سَلَّطُوهُ ، وَلَا يَبْطُرُ إِذَا أَكْرَمُوهُ .

قال فيلسوفٌ : إِذَا قَرَّبَكَ السُّلْطَانُ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى
حَدِّ السُّنَانِ ، وَإِنْ اسْتَرْسَلَ لِيَلِيكَ فَلَا تَأْمَنْ انْقِلَابَهُ
عَلَيْكَ ، وَارْفُقْ بِهِ رَفْقَكَ بِالصَّبِيِّ ، وَكَلِّمْهُ بِمَا يَشْتَهِي .

وَدَخَلَ يَزِيدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ (١) عَلَى الْمَنْصُورِ
فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَوَسَّعَ تَوْسَعًا قُرْشِيًّا ،
وَلَا تَضِيقُ ضَيْقًا حِجَازِيًّا . وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،

(١) يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراقيين لمروان بن محمد ، كان
جوادا كريما ، وقتل سنة ٥١٣٢ هـ .

إنَّ سلطانتكم حديثٌ ، وإمارتكم جديدةٌ ، فأذيقوا
النَّاسَ حلاوةَ عَدْلِها ، وجنَّبوهم مرارةَ جَوْرِها (١) ،
فو الله ياأميرَ المؤمنينَ لقد مَخَضْتُ (٢) لك . ثم نهضَ
فنهضَ معه تسعمائةَ من قَيْسٍ ، فأثَّارَه (٣) المنصورُ
بصَرَه ثم قال : لايعزُّ مُلكٌ فيه مثلُ هذا .

قالوا : عَدْلُ السلطانِ أنفعُ للرَّعيةِ من خِصْبِ
الزَّمانِ .

كان الفضلُ بنُ الرَّبيعِ يقولُ : مساءلةُ الملوكِ عن
أحوالهم من كلامِ النَّوْكَى (٤) ، فإذا أردت أن تقولُ :
كيف أصبَحَ الأميرُ ؟ فقلْ : صبَّحَ اللهُ الأميرَ بالكرامةِ .
وإن أردت أن تقولَ كيف يجدُ الأميرُ نفسه ؟ فقلُ :
وهَبَ اللهُ للأميرِ العافيةَ ونحو هذه الأشياءِ فإنَّ
المسألةَ توجبُ الجوابَ فإن لم يجِبْكَ اشتدَّ عليك
وإن أجابَكَ اشتدَّ عليه .

(١) الجور : الظلم .

(٢) مَخَضَ الرَّأيُ : قلبه وتدبر عواقبه . والمقصود هنا : فصحت لك .

(٣) أثَّارَه النظرُ : أتبعه إياه .

(٤) النَّوْكَى : الحمقى .

قيل لابن عباس : إن الناس قد فسدوا ولا يصلحهم
 إلا الشر . قال : بالله الذي لا إله إلا هو للجور
 أشب للشر ، والعدل أطفأ للجور . وفي العدل كفاية ،
 وإليه انتهت السياسة . وقد يصيب الوالي في رعيته
 بأربع من نفسه وأربع من أنفسهم ، فأما الأربع
 اللواتي منهم فالرغبة والرغبة والأمانة والنصيحة .
 وأما الأربع اللواتي من نفسه فإعطاء من نصحه ،
 والجزاء لمن أبلاه ، وعقوبة ذي الذنب بقدر ذنبه ،
 والتنكيل بمن تعدى أمره . فإن هو لم يفعل ذلك
 وتراخى ابتلي منهم بأربع : بالغش والخللان
 والخيانة والتكدي .

قيل : ليعلم من نال شرف المنزلة من السلطان
 وهو ذنب الأصل أنه ثار الأشراف ، وأنه لانجاة له
 منهم إلا أن يعمرهم بالإحسان إليهم .

إذا كان الملك ضعيفاً ، والوزير شرهاً ، والقاضي
 كدوباً ، فرقوا المسك شجاعاً (١) .

(١) شعاع : متفرق .

إذا قنعَ الملكُ بإفسادِ دينه لم تقنعْ رعيتهُ إلا بإزالةِ
ملكه .

ظلمُ الرعيةِ استجلابُ البليّةِ .

أحزمُ الملوكِ من ملكٍ جدُّهُ هزَلَهُ ، وقهرَ
رأيهُ هواه ، وعبَّرَ عن ضميره .

دخلَ أبو مُجَلَّبِزٍ (١) على قُتَيْبَةَ بخراسانَ وهو
يضربُ رجلاً بالعصا فقال : أيّها الأميرُ ، إنّ اللهَ
جعلَ لكلِّ شيءٍ قَدْرًا ، ووقتَ له وقتًا ، فالعصا للأنعامِ
والهوامِ والبهاائمِ العظامِ ، والسَّوْطُ للحدودِ (٢)
والتَّعْزِيرِ (٣) ، والدَّرَّةُ للأدبِ ، والسيفُ لقتالِ العدوِّ
والقَّوْدِ (٤) .

قالوا : عمَلُ السلطانِ حديثٌ فكنْ حديثًا حسنًا .

(١) أبو مجازٍ لاحق بن حميد البصري أحد علماء البصرة ، وكان
ينزل خراسان . توفي سنة ٥١٠٧ هـ .

(٢) أي لمعاينة الذين يستحلون ما حرم الله كشرب الخمر أو غير
ذلك من المحرمات .

(٣) التعزير : تأديب المذنب تأديبا لا يبلغ الحد الشرعي .

(٤) القود : القصاص .

إذا ضيعت الملوكة سنن أديانها فلتعلم أنها
تهدم أساس ممالكها .

لا ينبغي للملك أن يكون سفيهاً ومنه يلتبس
الحائم ، ولا جائراً ومنه يلتبس العدل .

إذا لم يشب (١) الملك على النصيحة غشته الرعيّة .

وفد على معاوية عبيد بن كعب النميري
فسأله عن زياد وسياسته فقال : يستعمل على الجذ
والأمانة دون الهوى ، ويعاقب فلا يعدو بالذنب
قدره ويسمرُ ليستجم بحديث الليل تدير النهار
قال : أحسن . إن التثقيل على القلب مضرّة بالرأي .
فكيف رأيه في حقوق الناس فيما عليه وله ؟ قال :
يأخذ ماله عفواً ويُعطي ما عليه عفواً . قال : فكيف
عطاياه ؟ قال : يعطي حتى يقال جوادٌ ، ويمنع حتى
يقال بخيل .

قالوا : التذلل للملوك داعية العز والتعزز عليهم
ذل الأبد .

(١) أثاب : كافاً .

كثرةُ أعوانِ السَّوءِ مَضْرَرَةٌ للأعمالِ .

الدَّالَّةُ على الملوِكِ تُعْرَضُ للسَّقُوطِ .

خَيْرُ الملوِكِ من مَلَكَ جَهْلَهُ بِحِلْمِهِ ، وَخَرَقَهُ
بِرَفْقِهِ ، وَعَجَلَتَهُ بِأُنَاتِهِ ، وَعُقُوبَتَهُ بِعَفْوِهِ وَعَاجِلَهُ
بِمِرَاقِبَةِ آجِلِهِ ؛ وَأَمِنَ رَعِيَّتَهُ بِعَدْلِهِ ، وَسَدَّ ثُغُورِهِمْ
بِهَيْبَتِهِ ، وَجَبَّرَ فَاقَتَهُمْ بِجُودِهِ . يَعْلَمُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ ،
وَيَحْسُمُ الدَّاءَ مِنْ حَيْثُ اسْتَبْهَمَ .

السُّلْطَانُ فِي تَنَقُّلِهِ وَتَنَقُّلِ النَّاسِ مَعَهُ كَالظِّلِّ
الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ السَّابِلَةُ .

شِدَّةُ الْإِنْتِبَاضِ مِنَ السُّلْطَانِ تَوْرَثُ الشُّهْمَةِ ،
وَسَهُولَةُ الْإِنْبِسَاطِ تَوْرَثُ الْمَلَالَةَ .

من سعادةِ جَدِّ (١) المرءِ ألاَّ يكونَ في الزمانِ
المختلطِ مُدَبِّرًا للسُّلْطَانِ .

من سَكَرَاتِ السُّلْطَانِ أَنْ يَرْضَى عَمَّنِ اسْتَوْجَبَ

(١) الجِدُّ : الحِظُّ .

السُّخْطَ . ويسخَطُ على من استوجبَ الرِّضَا من غير
سَبَبٍ معلومٍ .

بلغ بعض الملوك حُسْنُ سياسةِ مَلِكٍ فكتبَ إليه :
قد بلغت من حُسْنِ السِّيَاسَةِ مَبْلَغًا لم يبلغه مَلِكٌ
في زمانك ، فأفدني الذي بلَّغَكَهُ . فكتبَ إليه :
« لم أهزلُ في أمرٍ ولا نهيٍ ، ولا وعدٍ ولا وعيدٍ ،
واستكفيتُ أهلَ الكِفَايَةِ ، وأثبتتُ على الغنَاءِ لا على
الهَوَى ، وأودعتُ القلوبَ هيبَةً لم يشبها مَقْتٌ (١) ،
ووددًا لم يشبهُ كَذِبٌ ، وعممتُ بالقُوتِ ومنعتُ
الفضولَ (٢) » .

أمران جليلان لا يصالحُ أحدهما إلا بالتفردِ به ،
ولا يصالحُ الآخرُ إلا بالتعاونِ عليه : وهما المُلْكُ والرأي ،
فإن استقامَ المُلْكُ بالشركاءِ استقامَ الرَّأيُ بالتفردِ به .
لأشياءِ أهلِكَ للسلطانِ من صاحبٍ يُحسنُ القولَ
ولا يُحسنُ العملَ .

(١) لم يشبها مقت : لم يخالطها بغض .

(٢) الفضول : مالا فائدة فيه .

أَصْحَابِ السَّلْطَانِ بِإِعْمَالِ الْحَذَرِ ، وَرَفْضِ الدَّالَّةِ ،
وَالْاجْتِهَادِ فِي النَّصِيحِ وَأَصْحَابِهِ بِثَلَاثٍ : بِالرِّضَا وَالصَّبْرِ
وَالصَّاقِ .

اعلم أن لكل شيء حياءً ، فما جاوزه كان سرفاً ،
وما قصر عنه كان عجزاً . فلا تبلغ بك نصيحة السلطان
أن تُعادي حاشيته من أهله وخاصته ؛ فإن ذلك ليس
من حقه عليك . ولكن أقبض لحقه عنك ، وأدعني
للسلامة لئليك أن تستصلح أولئك جهدك ، فإنك إذا
فعلت ذلك شكرت نعمته ، وأمنت حُجَّتَهُ ، وفألت
عدوك عنده .

إذا جاريت عند السلطان كُفْمًا من أكفائك فلتكن
مجاراتك إياه بالحجة ، وإن غضبك (١) ، وبالرفق
وإن خرقتك ؛ واحذر أن يستلجك (٢) فتحمي ، فإن
الغضب يُعمي عن الفرصة ، ويقطع عن الحجة ، ويُظهر
عليك الخصر .

احترس أن يعرفك السلطانُ باثنين : بكثرة الإطراءِ

(١) غضب : كذب وادعى عليه الإذك .

(٢) يستلجك : يعادي في خصومتك .

للناس عنده ، وبكثرة ذمهم ؛ فبعد ذلك غلاماً منك فإنه
إذا رأى كثرة إطرائك للناس وذمهم ضرّاً ذلك صديقك
وإن كان حقاً ، وأمن عدوك كسيّدك وإن كان مُعوراً (١)
وعليك بالقصد والتحرز ؛ فإنه إن يعرفك به كنت لعدوك
أضراً ولصديقك أنفع .

لا تتورد على السّاطان بالدّالة وإن كان أخاك ،
ولا بالحجّة وإن وثقت أنّها لك ، ولا بالنصيحة وإن كانت
له دونك فإن السّاطان تعرض له ثلاث : القُدرة دون
الكرم ، والحميّة دون النّصفية ، واللّجاج دون الحظ .

سئل بعضهم : أي شيء أرفعُ بذكر الملوكة ؟ قال :
تدبيرهم أمر البلاد بعادل ، ومنعهم إيّاها بعزّ . قيل : فما
الذي على الملوكة لرعيّتهم ، وما الذي على الرعيّة الملوكةم ؟
قال : على الملوكة لرعيّتهم ما تأمنُ عايمه أنفسهم ويرغدُ
عليه عيشهم . وللملوكة على رعيّتهم الشكر والنصيحة .

اعلم أن الملوكة تحتاج إلى الوزير ، وأشجع الرجال
يحتاج إلى السلاح وأجود الخيل يحتاج إلى السوط ، وأحد
الشّفار يحتاج إلى المسنّ .

صلاح الدّنيا بصلاح الملوكة . وصلاح الملوكة بصلاح

(١) معوراً : أعور الفارس : بدا فيه موضع خلل للطن وللضرب .

الوزراء ، ولا يصلحُ المُلْكُ إلاّ لأهلِهِ ولا تصّاحُ الوزارةُ إلاّ لمستحقِّها .

خيرُ الوزراءِ أصلحُهُم للرعيّةِ ، وأصدقُهُم نيّةً في النّصيحةِ ، وأشدُّهم ذبّاً (١) عن المملكةِ ، وأشدُّهم بصيرةً في الطّاعةِ ، وأخذُهُم لِحقوقِ الرعيّةِ من نفسه وسلطانِهِ .
ليس شيءٌ للملوكِ أولى بالفرحِ والسّرورِ به في مُلكها من سيرةِ حسنّةٍ يسبّرونها ، وسنّةٍ صالحةٍ يُجرونها ، وزيرٍ صالحٍ يُؤيّدون به .

الوزيرُ الخيّرُ لا يرى أنّ صلاحتهِ في نفسه كأنّ صلاحاً حتّى يتصل بصلاحِ المُلِكِ ورعيّتهِ ، وتكون عنايةُ فيما عطفَ المُلِكِ على عامّتهِ ، وفيما استعطف قلوبَ العامةِ على الطّاعةِ للملكهِ ، وفيما قومَ أمرِ المُلِكِ والمملكةِ من تدبيرِهِ ، حتّى يجمع إلى أخذِ الحقِّ وتقديمِهِ عموم الأمانِ والسّلامةِ ، ويجمع إلى صلاحِ المُلِكِ صلاحِ أتباعِهِ وإذا طرقت الحوادثُ ، ودهمتِ العظامُ ، كان للمُلِكِ عدّةٌ وعتاداً ، وللرعيّةِ كافياً بمخاطبهِ ، ومن ورائها ذاباً ناصراً ، يعنّيه من صلاحها ما لا يعنّيه من صلاحِ نفسه دونها .

* * *

(١) الذب : الدفاع .

الباب الثامن

نَوَادِرُ لِلنِّسَاءِ الْمَوَاجِينِ وَالْجَوَارِي

استعرض رجلٌ جاريةً فقال : في يديكِ عملٌ ؟
قالت : لا ولكن في رجليّ .

وأدخل على المنصور جاريتانِ فأعجبتهما . . فقالت
التي دخلت أولاً : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد فضّلني
على هذه بقوله : « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ » (١) فقالت
الأخرى : لا بل قد فضّلني بقوله : « وَلِأَنَّ خَيْرًا خَيْرٌ »
لك من الأولى « (٢) ،

طلّبتُ جاريةً محمود الوراق (٣) للمعتصم بسبعةِ
آلاف دينار ، فامتنع من بيعها ، واشتريتُ له بعد ذلك
من ميراثه بسبعمائةِ دينار ، فذكر المعتصمُ لها ذلك يوماً

(١) سورة التوبة : ١٠٠ .

(٢) سورة الضحى : ٤

(٣) محمود الوراق شاعر عباسي له حكم وأمثال ومواعظ ، توفي

في حدود المائتين والثلاثين .

فقالتُ : إذا كان الخليفةُ ينتظرُ بشهواته الموارِيثَ فسبعونُ
ديناراً في نَمِي كثيرٌ . فكيف سبعمائة ؟

وطلبَ آخرُ من عشيقته خاتماً كان معها فقالتُ :
يا سيدي هذا ذهبٌ وأخافُ أن تذهب ، ولكن هذا العودُ
حتى تعودَ .

وقال بعضهم لآخرى : أرى شفتيكِ مُتشفقةً ،
فقالتُ : الشينُ إذا احلَولى تشقق .

عُرِضَتْ على المعتزِ (١) جاريةٌ فقال لها : ما أنتِ
من شَرطي قالت : ولكنك من شَرطي واللهِ . فاشتراها
وحظيَّتْ عنده .

غاب رجلٌ عن امرأته ، فبلغها أنه اشترى جاريةً ،
فاشترتُ غلامين ، فاتصل الخبرُ بزوجها ، فجاء مُبادراً
وقال لها : ما هذا ؟ فقالت : أما علمت أن الرِّحاً إلى بغلين
أحوجُ من البغلِ إلى الرِّحَا . بعِ الجاريةَ حتى أبيعَ
الغلامين ففعل ذلك .

خطب ثُمَامَةُ العَوْفِيُّ امرأةً فسألت عن حرفته فكتب إليها :

(١) الملك : ما يملك ، أي يمضغ من صمغ الصنوبر والفتق ونحوهما .

وسائلةٍ ما حيرفتي ؟ قلت : حيرفتي
مقارعة الأبطال في كلِّ مسألقِ

وضربي طلي الأبطال (١) باسيفٍ مُعَامِماً
إذا زحف الصَّمَانُ تحت الخـــــــوافقِ

فلمّا قرأت الشعر قالت للرسول : قل له : فديتُك
أنتَ أسدٌ فاطلبُ لنفسكَ لبؤةً ؛ فإني ظبيّةٌ أحتمجُ
إلى غزالٍ .

قال رجلٌ بلحاريةٍ اعترضها - وكان دميماً فكرهته
وأعرضتُ عنه : إنما أريدكِ انفسى . قالت : فمن نفسك
أفرضُ .

وذكر بعضهم قالَ : مرّت بي امرأةٌ وأنا أصلي
في مسجدِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فانقيتُها
بيدي ، فوقعتُ على فرجها فقالت : يا فتى ، ما أتيتُ
أشدُّ ممّا اتقيتُ .

دخلتُ عزةً على عاتكةَ بنتِ يزيدٍ فقالت : أخبريني
عن قولِ كُثَيِّرٍ :

(١) الطلى : جمع طلية وهي العنق أو أصوله .

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْفَى غَرِيمَهُ
وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مَعْنَى غَرِيمُهَا

ما هذا الدينُ الذي كنتِ وعدته ؟ قالت : كنتُ
وعدته قُبيلةً ، فلم أفِ له بها . فقالت : هلاَّ أنجزتها له
وعليَّ إثمها .

وقال عَقِيلٌ بنُ بلالٍ : سمعتني أعرابيةٌ أنشد :

وكَسَمَ لَيْلَةً قَدِ بَتُّهَا غَيْرَ آثِمٍ

بمَهْضُومَةٍ الكَشْحَيْنِ رِيَّانَةَ القَلْبِ (١)

فقالت لي : هلاَّ أثمت أنجزك الله .

* * *

(١) القلب : السوار .

الباب التاسع

نَوَادِرُ الْقُصَاصِ *

قِيلَ لِأَبِي الْقَطُوفِ وَكَانَ يُسَمِّي وَيُحَدِّثُ وَيَقْصُ
وَهُوَ قَاضِي حَرَّانَ . مَا تَرَى فِي السَّمَاعِ ؟ فَقَالَ : أَمَا
عَلَى الْحَسْفِ (١) فَلَا . وَقِيلَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي نَبِيذِ
الْعَسَلِ ؟ قَالَ : لَا تَشْرَبْهُ . قِيلَ : وَلَمْ ؟ أَحْرَامٌ هُوَ ؟
قَالَ : بَلَى هُوَ نِعْمَةٌ لَا تَقُومُ بِشُكْرِهَا .

وَقِيلَ لِطِرْبَالٍ : مَا تَقُولُ فِي الْإِبْطِ يُمَسِّسَ ،
أَيْتَوْضَأُ مِنْهُ ؟ قَالَ : يَا بِنُ أَخِي ، كَمَا يَكُونُ الْإِبْطُ
يُغْتَسَلُ مِنْهُ .

وَكَانَ أَبُو سِنَانٍ السَّدُوسِيُّ يَقُولُ : فَلَانٌ عِنْدِي
أَكْفَرُ مِنْ رَامِهْرٍ مَزُ .

(*) حافظ المؤلف على كلام القصاص على الرغم ما فيه من تخليط .
والقصاص : مفردهما : قاص ، وهو من يجلس في مسجد الوعظ .
(١) السباع على الحسف : على غير أكل .

وبكى حوله ولده وهو يريدُ مكَّةَ فقال : لا تبكوا ،
بأبي أنتم . فإنِّي أريدُ أن أضحِّي عندكم .

قال أبو عثمانَ : وكان عندنا قاصٌّ يُقال له : أبو
موسى فأخذ يوماً في ذِكْرِ قِصْرِ أَيَّامِ الدُّنْيَا وطُولِ
أَيَّامِ الآخِرَةِ ، وتصغِيرِ شَأْنِ الدُّنْيَا وتعظيمِ شَأْنِ الآخِرَةِ ،
فقال : هذا الذي عاشَ خمسينَ سنةً لم يعيشْ شيئاً
وعليه فضلُ سنتينِ ! قالوا : وكيف ذلك ؟ قال :
خمسةٌ وعشرونُ سنةً ليلٌ هو نائمٌ فيها ، لا يعقلُ
قائلاً ولا كثيراً ، وخمسةٌ سنينَ قائلةٌ (١) ، وعشرونُ
سنةً إمّا أن يكونَ صبيّاً ، وإمّا أن يكونَ معه سُكْرٌ
الشَّبَابِ وهو لا يعقلُ ، ولا بدَّ من صُبْحَةٍ بِالْغَدَاةِ ،
ونَعْسَةٍ بَيْنَ الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ ، ويناله فيها كَالْغَشْيِ
الذي يصيبُ الإنسانَ مراراً في دهره ، فإذا حصلنا
ذلك فقد صحَّ الذي عاشَ خمسينَ سنةً لم يعيشْ شيئاً
وعليه فضلُ سنتينِ .

قرأ سيفويه القاصُّ : « تُسَمَّى فِي سِلْسِلَةِ ذُرْعِهَا

(١) قال : نام وسط النهار .

تسعون ذراعاً « فقيل له : فإن الله يقول : « سَبْعُونَ ذراعاً(١) » ، وقد زدت أنت عشرين ذراعاً فقال : نعم هذه عسديت ابُجعا(٢) ووصيف(٣) ، فأما أنتم فيكفيكم شريطٌ بلدائقٍ ونِصفٍ .

سأل واحدٌ سيفويهِ عن حِسْطِيهِ القرآنَ فقال : أحفظُهُ آيةً آيةً ، قل له : فما أولُ الدُشْحانِ ؟ قال : الهَطْبُ الرَّطْبُ .

وكان أبو كعبٍ القاصُّ يقول في دعائه : اللَّهُمَّ صلِّ على جبريلَ ، واغفرْ لأمنا عائشةَ ، وعافني من وجعِ البِطْنِ .

كان أبو عقيلٍ القاصُّ يقول : الرَّعْدُ مِائَاتُ أَصْغُرُ مِنْ نَحْمَلَةٍ وَأَعْظَمُ مِنْ زُنْبُورٍ . فقالوا : لعائِكَ

(١) الآية : « ثم في سلسلة ذرعا سبعون ذراعا فاسلكوه » سورة الحاقة : ٣٢ .

(٢) بغا الشرابي : قائد تمرد وطغى واستبد في الدولة العباسية قتل سنة ٢٥٤ هـ .

(٣) وصيف التركي أكبر أمراء الدولة في عهد المعز ، استصفي أمواله المعز ، وسجنه وقتل وصيف سنة ٢٥٣ هـ .

تريدُ أصغرُ من زنبورٍ وأعظمُ من نحلة . فقال : لو
كان كذلك لم يكن بعجب .

وسأله رجلٌ وهو في الجامع عن مسألةٍ في الحيضِ
لم يعرفها فقال : ويلك . خَرَجَ هذه القاذوراتِ من المسجدِ
حتى نخرجَ .

وكان بعضهم يقول : اللهم اغفر لنا كلَّ نعمةٍ
وحسنةٍ ، واحشُرني في جملة سيئدي أبي عبدِ الله بنِ
حسنِبَلِّ ، ولا تغفرْ للرَّافِضَةِ .

كان بعضهم يقولُ . يامعشرَ الناسِ ، إنَّ الشيطانَ
إذا سمى الإنسانُ على الطعامِ والشرابِ لم يأكلْ معه .
وإذا لم يُسمَّ أكلَ معه ، فكأوا خُبِرَ الأرزِ والمالحِ
ولا تسموا لياً كلِّ معكم ، ثم اشربوا وسموا ليموتَ عَطَشاً .
حَتَّى بعضهم لحيتَه وقال : إنَّها نبتت على المعصية .

وكان بعضهم يحجُّ عن حمزةٍ ويقول : استشهد
قبل أن حجَّ ، ويضحِّي عن أبي بكرٍ وعمَرَ يقولُ
أخطأ السنَّة في تركِ الأضحيةِ .

وقبيد آخر إحدى عينيه وقال : النَّظْرُ بهما إسرافٌ .
 وكان بعضُ القصَّاصِ يتشدَّدُ في خَلْقِ القرآنِ ،
 فسُئِلَ عن معاويةَ : هل كان مخلوقاً ؟ فقال : كان
 إذا كتبَ الوحيَ غيرَ مخدوقٍ ، وإذا لم يكتبْ كان مخلوقاً .
 قال بعضُ القصَّاصِ يوماً : يا قومُ ، هل علمتم أن
 الله قد ذكرَ الهَرِيسَةَ في القرآنِ لفضلها ؟ فقالوا : أين
 ذكرها ؟ فقال : اذْبَحُوا بَقْرَةَ (١) « واضرِبُوهُ
 بَعْضُهَا (٢) » ، « وفارِ التَّنُّورِ (٣) » : « ولترَكِبُنَّ
 طبقاً عَن طَبَقِ (٤) » .

سأل رجلٌ سيفويهِ القاصِّ : ما الغِسلينِ (٥) في
 كتابِ الله تعالى ؟ فقال : على الخبيرِ سقطتُ . سألتُ
 عنهُ شيخاً من فقهاءِ الحجازِ مُنذُ أكثرَ من ستين سنةً
 فقال : لا أدري .

(١) الآية : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » « سورة البقرة : ٦٧ .

(٢) سورة البقرة : ٧٣ .

(٣) سورة هود : ٤٠ .

(٤) سورة الانشقاق : ١٩ .

(٥) في الآية : « ولاطعام إلا من غسلين » سورة الحاقة : ٣٦ .

وجاءت امرأةٌ إلى واحدٍ منهم فقالت : يا جعفرُ ،
مريمُ بنتُ عمرانَ كانت نبيّةً ؟ قال : لا يا فاعلةُ .
قالت له : فإيش كانتُ ؟ قال : كانت ملائكةً .
كان عبدُ الأعلى قاصاً : فقال يوماً : تزعمون أنني
مُراءٍ ، وكنتُ والله أمسٍ صائماً ، وقد صُمتُ اليومَ
وما أخبرتُ بذلك أحداً .

ومرَّ عبدُ الأعلى بقوم وهو يتمايل سُكراً فقال
إنسان : هذا عبدُ الأعلى القاصُ . فقال : ما أكثرَ من
يُشَبِّهني بذلك الرَّجلِ الصَّالحِ !

قال قاصٌ بالمدينةِ في قصصه : ودَّ إبليسُ أن لكلِّ
رجلٍ منكم خمسين ألفَ درهمٍ يَطغى بها . فقال
رجلٌ من القوم : اللهمَّ أعطِ إبليسَ سُؤله فينا .

حكى عن شيخٍ منهم ببغداد كان يُعرفُ بخُستنِ
حَمَامَةَ أَنَّهُ كان يقول : خلفاءُ الله في الأرضِ ثلاثةٌ :
آدمُ لقوله : « إِنِّي جاعلُكَ في الأرضِ خليفةً » (١)

(١) هكذا كتبت والآية : وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في
الأرض خليفة « سورة البقرة : ٣٠ .

وداودُ : « إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ (١) »
وأبو بكر ، لقول الأمة : أَيَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ .
والأماءُ ثلاثةٌ : جبريلُ لِأَنَّهُ تَحَمَّلَ عَنِ اللَّهِ ، وَمُحَمَّدٌ
لِأَنَّهُ بَلَغَ الْأُمَّةَ ، وَمَعَاوِيَةُ لِأَنَّهُ كَتَبَ الْوَحْيَ .

وبلغَ من عقله أَنه رأى عَقْرَبًا فِي دَارِهِ فَقَالَ لَهَا :
يَامَشْؤُومَةَ ، أَخْرَجِي لِأَنْتِ لِكَلْبِكِ أُمَّي .

وكان مولعاً بإطعامِ الكلابِ ويقول إذا أطعمها :
هؤلاءِ أُولَى من الرافِضَةِ .

قال الأصمعي : اختصمتِ الطِّفَاؤَةُ وَبَنُو رَاسِبٍ
فِي صَبِيٍّ يَدْعِيهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى ابْنِ عَرَبَاضٍ ،
فقال : الْحُكْمُ فِي هَذَا بَيْنَهُمَا . قالوا : وما هو ؟ قال :
يُلْتَقَى الصَّبِيُّ فِي الْمَاءِ ، فَإِنْ طَفَأَ فَهُوَ طِفَاوِيٌّ ، وَإِنْ رَسَبَ
فَهُوَ رَاسِبِيٌّ .

كانت أمُّ عِيَّاشٍ تُحْسِنُ إِلَى سِيفِيهِ وَتَتَعَهَّدُهُ ،
فكان إذا اجتمع إليه النَّاسُ قال : يامعاشِرَ الْمُسْلِمِينَ
أُدْعُوا اللَّهَ لِأُمِّ عِيَّاشٍ ، فَإِنَّهَا صَدِيقَتِي . فبلغَ عِيَّاشُ

(١) سورة ص : ٢٦ .

فبعث إليه وقال : قد فضحتني بهذا القول فأمسك عنه .
فقال : سبحان الله ! لو أنها معي في إزارٍ واحدٍ
ما كنت تخافُ عليَّ .

قال أبو العنْبَسِ : سمعتُ قاصباً بالكوفة يقول في
قصصه : تحت رأسٍ وليَّ الله في الجنةِ سبعون ألفِ
مخدَّةً ، والمخدَّةُ سبعون ألفِ حجابٍ ، ما بين الحجابِ
والحجابِ سبعون ألفِ عامٍ . قال : فقلتُ : فإن سقطَ
من فوقِ تلكِ الفرشِ كيف يعملُ ؟ فقال : إلى النارِ
يا صفْعانُ .

قال بعضهم في قصصه : كان أبو جهلٍ خُوزياً (١) ،
فقيل له : بل هو قرشيٌّ مخزوميٌّ ولكنه كافرٌ . فقال :
يتكلمُ أحدُكم بما لا يعلم ، كلُّ كافرٍ خوريٌّ .

قال آخر في مجاسه : زعم قومٌ أني لا أحسنُ القرآنَ .
وهل في القرآنِ أشرفُ من : « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ » .
وأنا أقرؤه مثلَ الماءِ ، وابتدأُ وقرأ فلما بلغَ قوله : « ولمْ

(١) الخوز : تطلق على خوزستان ، وأهلها مشهورون قديماً بأنهم
أسقط الناس نفساً .

يَكُنْ أَهٌ « أُرْتَجَّ عَلَيْهِ فَقَالَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْضِرَ خَشْمَهُ
السُّورَةَ فليحضر يوم الجمعة .

دفعَ واحداً قطعةً إلى قاصٍّ وقال : ادعُ لي ولأبويَّ
بالمغفرة ، وفرغ القاصُّ رأسه وقال : ثلاثةٌ أنفُسٍ بغيرِ أطٍ ؟
وارأخصاه !

قيل لبعضهم : في لحينك هريسةٌ (١) فقال : هذه من
تلك الجمعة .

ومات عيسى بنُ حمَّاد الطُّلحيُّ وقد أوصى بأكثرَ
من ثلثِ ماله ، فأجاز ذلك ولدهُ وامرأتهُ ، فأتوا أبا
أسيِّدٍ ليكتبَ بذلك كتاباً ، فقال لهم : يا فتیانُ أممکمُ
قد بلغتُ مبلغَ النساءِ أم لا .

ومرَّ بقومٍ يصيدون السمكَ ، فقال : يا فتیانُ ؛
مالحٌ أو طري .

ودخل يوماً في الماء إلى كعبه فصاح : الغريقُ ،
الغريقُ . فقيل له : ما دعائك إلى ذلك ؟ فقال : أُخِدتُ
بالوَيْقَةِ .

(١) الدقيق المهروس جيداً أو المخلوط .

قيل لبعضهم : أيسرُّك أن الله أدخلك الجنة وأنت شاة؟ قال : نعم بشرط ألا يذهبوا بي إلى التيتاس .

جاء رجلٌ إلى واحد منهم فقال : ما تقول في شرب النبيذ؟ قال : لا يجوز . قال : فإن كان الرجل قد أكل المالح؟ قال : قد رجعت مسألتك إلى الطَّبِّ .

صلى سيفويه يقوم وسلّم عن يمينه ولم يسلم عن يساره ، فقيل له في ذلك فقال : كان في ذلك الجانب إنسان لا أكلمه .

جاس أبو ضمضم ينسب قبائل العرب فقال له بعضهم : يا أبا ضمضم : آدم من أبوه؟ فحملته استقباح الجهل عنده بشيء من الأتساب على أن قال : آدم بن المضاء بن الخليج وأمه ضباعة بن قيرزام . فتضاحك القوم وثاب إليه عقله فقال : إننا نسبت أختاً لآدم من أمه .

رأى بعض أهل نيسابور جنازة فقال : ربي وربك الله لا إله إلا الله فسمعه آخر فقال : أخطأت . قل : اللهم ألبسنا العافية ، وتشاجرا فتحاكما إلى قاضٍ لهم فقال : لم يُصب واحد منكما . إذا رأيتم جنازة فقولوا : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خفيته .

كان عبدُ الأعلى القاصُّ يتكاسفُ لكلِّ شيءٍ اشتقاقاً
فقال : الكافرُ إنما سُمِّيَ كافرًا لأنَّه اكتفى وفَرَّ .
قيل له : بماذا اكتفىَ ومن أيِّ شيءٍ فَرَّ ؟ قال : اكتفى
بالشَّيطانِ وفَرَّ من الله . وقال : سُمِّيَ الزَّنديقُ زنديقاً
لأنَّه وَزَنَ فدَقَّتْ . وسُمِّيَ الباغِمُ باغماً لأنَّه بلاءٌ وغمٌ .
وسُمِّيَ الدرهمُ درهماً لأنَّه داءٌ وهمٌ . وسُمِّيَ الدِّينارُ
ديناراً لأنَّه دينٌ ونار . وسُمِّيَ العُصفُورُ عصفوراً لأنَّه
عصاً وفَرَّ . وسُمِّيَ الطَّفَيْشَلُ طَفَيْشَلاً لأنَّه طففا
وشال (١) . وسُمِّيَ نوحٌ نوحاً لأنَّه كان ينوحُ على قومه .
وسُمِّيَ المسيحُ مسيحاً لأنَّه مسحَ الأرضَ .

جاء رجلٌ إلى بعضهم فقال : أفطرتُ يوماً من شهرِ
رمضانِ ساهياً ، فما عليَّ ؟ قال : تصومُ يوماً مكانه .
قال : فصمتُ . فأثيتُ أهلي وقد عملوا حَيْساً (٢) ،
فسبقتني يدي لِرِليه فأكلتُ منه . قال : تقضي يوماً آخرَ . قال :
فقضيتُ يوماً مكانه ، وأثيتُ أهلي وقد عملوا هريساً

(١) الطفيشل : نوع من الطعام أو المرق .

(٢) الحيس : طعام من التمر المعجون بالسمن .

فسبقتني يدي إليه فأكلت منه فما ترى ؟ قال : أرى ألا
تصومَ إلاَّ ويدك مغلولةً إلى عنقك .

ماتت أمُّ ابنِ عيَاشٍ فأتاه سيفويهِ معزياً فقال :
يا أبا محمد ، عَظَّمَ اللهُ مَصِيبَتَكَ . فتبسّم ابن عيَاش
وقال : قد فعل . فقال : يا أبا محمد ؛ هل كان لأُمَّك
ولدٌ ؟ فقام ابنُ عيَاش عن مجلسِهِ وضحك حتّى استلقى
على قَتَمَاه .

* * *

الباب العاشر

نَوَادِرُ الْقَضَاةِ لِمَنْ نَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ

اختصم رجلٌ وامرأةٌ إلى سوار ، فقال الزوجُ لسوار : أصالح الله القاضي ، لو عرفتها لبصقت في استيها . فقال سوار : أغرب ، عليك لعنةُ الله .

قال بعضهم : سمعتُ رجلاً جيبياً به إلى التيميُّ القاضي ، فقال : يا معشرَ القاضي . كم يسجرونك إلى بحالٍ أنتم واحدٌ وأنا ستّةٌ ، لا يجدون أحداً يظلمونك إلاّ غيري .

اختصمَ رجلان إلى قاضي ، فدنا أحدهما منه وقال له سرّاً : قد وجهتُ للدّارِ فراريج كسكرية (١) ، وحينئذٍ بلديّةٌ كذا وكذا . فقال القاضي بصوت عالٍ : كانت لك بينةٌ غائبةٌ انتظرناها ، ليس هذا ممّا يسارُ به .

(١) نسبة إلى كسكر ، كورة واسعة قريبة من البصرية ، ينسب إليها نوع من الفراريج يكثر بها .

قال محمد بن رباح القاضي : تقدم إلي قُثمُ مع ابن أخيه ، فادّعى عليه خمسة آلاف دينار فقال قُثمُ : نعم له عليّ ذلك من أيّ وجهٍ . فقلتُ : قد أقررت له بالمال ، فإن شاء فسّرَ الوجه ، وإن شاء لم يفسّر . فقال ابن أخيه : أشهدُ أنّه بريءٌ منها إن لم تُثبِتْها . فقلتُ : وأما أنتَ فقد أبرأته إلى أن تُثبِتَ ذلك . فما رأيتُ أضعفَ منهما في الحكمِ .

قال بعضُ القضاةِ الحَمَقِيّ : قد عزمتُ على أن أخصيَ عدلينَ للشهادةِ على النساءِ .

لما خرجَ المأمونُ إلى فَمِ الصُّلْحِ (١) لينتقلَ بورانَ بنتَ الحسنِ ، إذا جماعةٌ على الشَّطِّ وفيهم رجلٌ ينادي بأعلى صوتهِ : يا أميرَ المؤمنين ؛ نعمَ القاضي قاضي جبَل (٢) جزاه الله عنّا أفضلَ ما جزى أحداً من القضاةِ ؛ فهو العفيفُ النظيفُ ، النَّاصِحُ الحبيبُ ، المأمونُ الغيبُ .

(١) فَمِ الصُّلْحِ : نهر يستمد من دجلة ، ويمر بكورة تسمى الصلح بها منازل الحسن بن سهل .

(٢) جبَل (٢) بليدة بين النعمانية وواسط ، ويقاضيها يضرب المثل .

وكان يحيى بن أكرم يعرف قاضي جبيل وهو ولاة^١
وأشار به . وإذا هو القاضي نفسه ، فقال : يا أمير المؤمنين :
إن هذا الذي ينادي ويشتي على القاضي هو القاضي نفسه .
فاستضحك المأمون واستطرفه وأقره على القضاء .
وقد كان أهل جبيل رفعوا عليه وذكروا أنه
سفيه حديد يعرض رؤوس الخصوم فوقع المأمون :
يُشْتَقُّ (١) إن شاء الله .

جلس أبو ضمضم القاضي للحكم فلمح في
مجلسه رجلاً معه ألواح يعلق نوادره فرماه بالدواة
وشجته ثم أمر به إلى الحبس . فقال كاتبه : ما أكتب
قصته في الديوان . قال : اكتب : استرق السمع
فأثبته شهاب ثاقب .

اختصم إلى أبي ضمضم رجلان فأقر أحدهما لصاحبه
بما ادّعاه عليه وقال : أعز الله القاضي . إنني كلما
طلبته لأوفيه حقه لا أجده فإنه رجل شريب منهك
في الشرب أبداً عند أصحابه وأصدقائه ، وأنا رجل منعميل

(١) يشق : يؤخذ من الشق ، وهو الأرش .

أحتاجُ أن أكسبَ قوتَ عيالي ، ولا يتهيأَ لي أن أتعطَلَ
 عن كسبي وأدور في طلبه . فأمر أبو ضمضم بحبسِ
 صاحبِ الحقِّ . وقال لغريمه : اذهبْ فاشتغلْ بطلبِ
 معاشكَ ومكسبكَ ، فإذا حضرَكَ ما تردُّه عليه فاحمله
 إلى الحبسِ حتّى لا تحتاج أن تدورَ في طلبه . فبقيَ الرَّجُلُ
 في الحبسِ ثمانينَ يوماً وصاحبه يحملُ إليه الشيءَ بعد
 الشيءِ إلى أن بقيَ له عشرةُ دراهمٍ فأرسلَ إلى القاضي
 وقال : إن رأيتَ أن تُفْرِجَ عني فلم يَسبقَ لي على غريمي
 إلاّ عشرةُ دراهمٍ فقال : لا واللهِ لا تبرحُ حتّى تأخذَ
 حقَّكَ !

غابَ رجلٌ في بعضِ أسفاره ، وطالتْ غيبتهُ فأرجِفَ
 به وبموتِه ، وأتى على ذلكِ مدّةٌ ، وبلغَ قاضيَ البلدِ
 جمالُ امرأتهِ فخطبها وتزوَّجها فصارَ إليه أهلُ بيتِ
 زوجها وبنو أعمامِه وقالوا : أعزَّ اللهُ القاضي . لم يصحَّ
 عندنا موتُ هذا الرَّجُلِ ونحنُ في شكٍّ منه ، فكيف
 تتزوَّجُ بامرأتهِ ؟ فغضبَ القاضي وقال : أنتم تسخروُن
 بالنِّساءِ . والله ما يغيبُ أحدُكم إلاّ تزوّجت بامرأتهِ .

تقدّم رجلان إلى قاضيٍ وادّعى أحدهما على صاحبه
 درهماً من ثمن ريشحانٍ اشتراه فأنكر واستحلفه فقال القاضي :
 قل : والله الذي لا إله إلاّ هو . فقال الرجل : أصلحك
 الله ! ليست هذه يمين أصحاب الرّياحين . قال القاضي :
 وما يمينهم ؟ قال : أن يقول أمّه فاعلةٌ إن كان لهذا عليه
 شيءٌ . قال القاضي : ما أشكُ في صدقك ، وغرم
 الدرهم من عنده .

قال الأصمعيّ : لقيتُ قاضي سُبْدان (١) فقلت :
 على من تقضي ؟ فقال على الضّعيف .

كان أبو السّكينة قاضياً للحجاج بن يوسف وكان
 طويلًا فقال يوماً : بلغني أنّ الطّويل يكون فيه ثلاثُ
 خلل لا بدّ منها قال : قلت : ما هي ؟ قال : يفسرُق من
 الكلاب ولا والله ما خلّق الله دابةً أنا لها أشدُّ فرقاً من
 الكلاب ، أو تكون في رجله قرحةٌ ولا والله ما فارقتُ
 رجلي قرحةً قط أو يكونُ أحمقَ وأنتم أعلمُ بقاضيتكم .

(١) سبْدان : بلدة على أربعة فراسخ من البصرة .

ولي عكابة النميري قضاء البحرين فالتاها أهله عليه
فركب فرسه وأخذ رُمحه وقال : والله لا أقضي إلا
هكذا من خالفني طعنته برمحي .

كان بالبصرة قاضي ، فاحتكم إليه حائك في حمامة
فأخذها ومسح عينها ثم أرسلها . فقال الحائك : ما فعلت
أيها القاضي ؟ قال : تذهب إلى بيت صاحبها .

وتقدم إليه رجلان ومعهم امرأة فقال أحدهما :
أصالحك الله . هذه امرأتي تزوجتها على ستين درهماً
وهذا يدعي أنه يتزوجها على سبعين فقال القاضي :
عليّ بشمانين . فقالا : أصالحك الله جئناك لتقضي بيننا ،
لم نجشك لتزويدنا . قال القاضي : فأنتما في شري وبيع ،
قوما في لعنة الله .

تقدم إلى قاضي اثنان فادعى أحدهما على صاحبه
ثلاثة أرباع دينار . فقال القاضي : ما تقول ؟ قال له :
عليّ دينار غير ربع ، ففكّر ساعة ثم قال : أما تستحيان

في هذا القدر . إنتما بينكما ثلثُ دينار ! قوما فاصطلحا
فالصلحُ خيرٌ .

واختصم إليه رجلان في ديك ذبحته أحدهما فقال :
ارفعوا إلى الأمير ، فإننا لا نخكم في الدماء .

وعزل يحيى بنُ أكتشم قاضياً كان له على حمص
من أهلها فلمّا قدم إليه رأى شيخاً وسيماً فقال له : من
جالست با شيخُ ؟ فقال : أبي . فظنَّ أن أباهُ من أهلِ
العامِ . قال : فمن جالسَ أبوك : قال : مكحولاً (١)
قال : فمن جالس مكحول ؟ قال : سفيان الثوري .
قال : ما كان يقول أبوك في عذابِ القبر ؟ قال : كان
يكرهه .

تزوج بعضُ الخصيان في زمن شُرَيْسَحِ بامرأة
فأنت بولد فتبرأ الخصيُّ منه وترافعا إلى شُرَيْسَحِ . فألحق

(١) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الولدَ به وألزمه أن يحمله على عاتقه فخرج على تلك
الصورة واستقبله خصيُّ آخر . فقال له : انجُ بنفسك
فإنَّ شريحاً يريدُ أن يفرِّقَ أولادَ الزَّنى على الحصيانِ .

* * *

الباب الحادي عشر

تَوَادِرُ لِأَصْحَابِ النِّسَاءِ وَالزُّنَّاتِ وَالزَّوَانِي

قال بعضهم لأعرابي : هل يَطَّأُ أحدُكم عشيقتَه ؟
فقال : بأبي أنت وأمي ذاك طالبُ ولدٍ ليس ذاك بعاشقٍ .

سمعَ إسماعيلُ بنُ غزوانَ قولَ اللهِ تباركَ وتعالى
« قالتِ امرأةُ العزيزِ الآنَ حصِّصْ الحقُّ أنا وادُّتُهُ »
عَن نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ
أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ » (١)
فقال : لا وَاللَّهِ إِن سَمِعْتُ بِأَعْزَلِ مِينَ الْفَاسِقَةِ .
ولما سَمِعَ بِكَثْرَةِ مُرَاوِدَتِهَا لِيُوسُفَ وَاسْتِعْصَامِهِ بِاللَّهِ
قال : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ بِي مَحْتَكَّتْ (٢) .

أشارَ ضيفُ لِقَوْمٍ إِلَى بِنْتِ لَهِمَ بِقُبْلَةِ وَهِيَ خَلْفَ
الْحَبِيَاءِ ، فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْخُ قَوْلَ الْجَارِيَةِ : إِنِّي إِذَا
الطَّوِيلَةُ الْعُسُقِ قال : وَبَيْتِ اللَّهِ لَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا بِقُبْلَةٍ .

(١) سورة يوسف : ٥١ ، ٥٢ .

(٢) محك : لج في المنازعة .

أُتِيَ نُوْفَلُ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ وَقَدْ أَحْبَلَ جَارِيَةً لِغَيْرِهِ فَقَالَ :
يَاعِدُوا اللَّهَ ، هَلَّا إِذَا ابْتَلَيْتَ بِالْفَاحِشَةِ عَزَلْتَهُ . قَالَ :
بَلِّغْنِي أَنَّ الْعَزَلَ مَكْرُوهٌ . قَالَ : أَمَا بَلِّغُكَ أَنَّ الزَّانِيَ
حَرَامٌ .

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَابِدٍ فَسَأَلَهُ عَنِ الْقُبُلَةِ لِلصَّائِمِ ،
فَقَالَ : تُكْرَهُ لِلْحَدِيثِ ، وَلَا بَأْسَ بِهَا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَفِي
اللَّيْلِ لَكَ فَسُوحَةٌ . فَقَالَ : إِنَّ زَوْجَهَا يَعُودُ إِلَى مَنْزِلِهِ
إِيلاً فَقَالَ : يَا بَنَ أَخٍ ، هَذَا يُكْرَهُ فِي سُؤَالٍ أَيْضاً .

أَخَذَ رَجُلٌ مَعَ زَنْجِيَّةٍ وَكَانَ قَدْ أَعْطَاهَا نِصْفَ دِرْهَمٍ ،
فَلَمَّا أُتِيَ بِهِ إِلَى الْوَالِي أَمَرَ بِتَجْرِيدِهِ وَجَعَلَ يَضْرِبُهُ
وَيَقُولُ : يَاعِدُوا اللَّهَ ، تَزْنِي بِزَنْجِيَّةٍ ! فَلَمَّا أَكْثَرَ
قَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، فَبَنَصَفَ دِرْهَمَ إِيْشٍ أَجْدُ ،
وَمَنْ يَعْطِينِي ؟ فَضَحِكَ وَخَلَاهُ .

وَجَدَ شَيْخٌ مَعَ زَنْجِيَّةٍ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ فِي مَسْجِدٍ ،
وَقَدْ نَوَّمَهَا عَلَى الْجِنَازَةِ (١) فَقِيلَ لَهُ : قَبِّحَكَ اللَّهُ
يَا شَيْخُ . فَقَالَ : إِذَا كُنْتُ أَشْتَهِي وَأَنَا شَيْخٌ لَا يَنْفَعُنِي

(١) الجنّازة - بكسر الجيم - السرير الذي يحمل عليه الميت .

شبابكم ، قالوا : فزنجية^١ : قال : من يزوجني منكم
بعريسة ؟ قالوا : ففي المسجد ! قال : من يُفرغُ لي
بيته منكم ساعة ؟ قالوا : فعلى جنازة ! قال : من يعطيني
سريره . قالوا : فليلة جمعة قال : إن شئتم جئكم
ليلة السبت فضحكوا منه وخلصوه .

وكان بعضهم في مجلس شرب فيد مغنيات فقامت
واحدة منهن فكانت مليحة ، فوضعت الطبل وقعدت
عليه ، فقال : ناخرتي . ما كنت أحسب أنني أحب يوماً
ما أن أكون طبلًا حتى الساعة !

كان بشيراز رجل وله زوجة فاسدة ، فنزل به
ضيف فأعطاهم دراهم وقال لها : اشتريني لنا رؤوساً
نتغدى بها ، فخرجت المرأة ولقيها حريفة^(١) فأدخلها
إلى منزله وأحسن بهما الجيران ، فرفعوهما إلى السلطان .
وضربت المرأة وأرکبت توراً أيطاف بها في البلد
فلمتأ أبطأت على الرجل خرج في طلبها ، فرآها على تلك
الجمال فقال لها : ماهذا ويملك ؟ قالت : لاشيء انصرف

(١) الحريف : العامل في الحرفة ، والمقصود هنا القواد .

أنت إلى البيت فإنَّما بقي صَمَّانٌ : صفُّ العطارينَ وصفُّ الصَّيادلةِ ثمَّ أشتري الرعوسَ وأجيئك .

قال، بعضهم : مررت ذات يوم بشارع السريِّ بسرِّ مَنْ رَأَى فرأيت امرأتى تمشي فظننتها من الباديةِ ، فتعرضتُ لها وقلت : إلى أين يقصد الغزالُ ؟ فقالت لي : إلى مغزلهَا يا قليلَ المعرفةِ بأصحابه .

كان فُلان مفلساً فقال لامرأةٍ : أنا أحبُّك . قالت : وما الدَّلِيلُ على ذلك ؟ قال : تعطيني قفيزَ دقيقٍ حتى أعجنه بدموعِ عيني . قالت : على أن تجيءَ بخبزهِ إلينا . قال : ياسيدتي ، فأنتِ تريدين خبازاً لا تريدين عاشقاً .

تزوج رجل بشيرازَ امرأةً فلما كان في اليومِ الخامس من زفافها ولدتُ ابناً ، فقامَ الرَّجُلُ وصارَ إلى السَّوقِ واشترى لوحاً ودواةً فقالوا له : ما هذا ؟ قال : من يُولَدُ في خمسةِ أيَّامٍ يذهبُ إلى الكُتَّابِ في ثلاثةِ أيَّامٍ .

* * *

الباب الأول

(٥) من الجزء الخامس من نثر الدر .

كلام زيادٍ وولده (١)

قال : إن تأخيرَ جِزَاءِ المَحْنِ لَوْمٌ ، وتمعيلَ عقوبةِ المُسِيءِ دِئَانَةٌ . والتَّئِبُتُ فِي العُقُوبَةِ رَبُّمَا أَدَى إِلَى سَلَامَةٍ مِنْهَا ، وَتَأْخِيرَ الإِحْسَانِ رَبُّمَا أَدَى إِلَى نَدَمٍ لَمْ يُسَمِّكَنَّ صَاحِبَهُ أَنْ يَتَلَفَاهُ .

وقال زيادٌ لو أن لي ألفَ ألفِ درهمٍ ، ولي بعيرٌ أجربٌ لقمْتُ عليه قِمامَ رجلٍ لا يملكُ غيرَهُ . ولو أن لي عشرةَ دراهمٍ لا أملكُ غيرَهَا ، ولزمني حقٌّ لوضعَتُهَا فِيهِ .

وقال لابنه : عَلَيْكَ بِالحِجَابِ ، فَإِنَّمَا تَجَرَّاتُ الرُّعَاةِ عَلَى السَّبَاعِ بِكثْرَةِ نَظَرِهَا لِإِيهَا .

وخطبَ فقال : الأُمُورُ جَارِيَةٌ بِأَقْدَارِ اللَّهِ ، وَالنَّاسُ مُتَصَرِّفُونَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ ؛ وَهَمٌّ بَيْنَ مُتَسَخِّطٍ وَرَاضٍ ،

(١) ولد زياد : هو عبيد الله بن زياد بن أبيه ، ولد بالبصرة سنة

٨٢٨ ، وقوفي سنة ٨٦٧ .

وكل يجري إلى أجلٍ وكتابٍ ، ويصيرُ إلى ثوابٍ أو عقابٍ . ألا ربُّ مسرورٍ بنا لا نسرهُ ، وخائفٍ ضامُّنا لا نصرُّهُ .

وكان في مجلسه الذي يأذنُ فيه الناسَ أربعةً أسطُرَ في نواحيه ، أولُّها : الشدةُ في غيرِ عنفٍ ، واللينُ في غيرِ ضعفٍ . والثاني : المُحسنُ يُجازى بإحسانه ، والمسيءُ يكافأُ بإساءته . والثالثُ : العطيَّاتُ والآرزاقُ في لبَّانها وأوقاتها . والرابعُ : لا احتجاجَ عن صاحبِ شغْرِ ولا طارقِ ليلٍ .

قدمَ رجلٌ خصمًا إلى زيادٍ في حقِّ له عليه ، فقال : إن هذا يُدلُّ بحاصةٍ ذكرَ أنها له منك . فقال زيادٌ : صدقَ . وسأخبرُك بما ينفعه عندي من مودته إن يكنِ الحقُّ له آخذُك به أخذًا عنيفًا ، وإن يكنِ الحقُّ لكَ عليه أقضي عليه ثم أقضي عنه .

وقال : ليس العاقلُ الذي يحتالُ للأمرِ إذا وقعَ ، ولكن العاقلُ الذي يحتالُ للأمرِ ألا يقعَ فيه .

قالوا : قدم زيادُ البصرةَ (١) والياً لمعاويةَ والفسقُ
 بالبصرةَ ظاهرٌ فاشٍ فمخطبَ خطبةً بتراءٍ لم يحمدِ اللهَ فيها .
 ويُقالُ : بلُ قال : الحمدُ لله على أفضاله ، ونسألهُ
 المزيدَ من نِعَمِهِ وإِكْرَامِهِ . اللهم كما زدتنا نعماً
 فألْهِمْنَا شكراً . أما بعدُ :

فإن الجاهليةَ الجهلاءَ ، والضلالةَ العمياءَ والغبيَّ
 المؤفدَ لأَهْلِهِ على النارِ ، ما فيه سفهاؤُكم ، ويشتملُ
 عليه حُلْمَاؤُكم ، من الأُمُورِ العظامِ ، ينبتُ فيها الصغيرُ ،
 ولا يتحاشى منها الكبيرُ . كأَنْكُمْ لم تَتَرَأَوْا كتابَ
 اللهِ ، ولم تسمعوا ما أعدَّ اللهُ من الثوابِ الكريمِ لأَهْلِ
 طاعتهِ ، والعذابِ الأليمِ لأَهْلِ معصيتهِ في الزمنِ السرمديِّ
 الذي لا يزُولُ .

أَتَكُونُونَ كَسَنَ طَرْفِ عَيْنِهِ الدُّنْيَا ، وَسَدَّتْ مَسَامِعَهُ
 الشَّهَوَاتُ ، وَاخْتَارَ النَّانِيَةَ عَلَى الْبَاقِيَةِ وَلَا تَذْكُرُونَ أَنْكُمْ
 أَحْدَثْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ الْحَدَثَ الَّذِي لَمْ تُسْبِقُوا لِإِيْتِهِ :
 مِنْ تَرَكْكُمْ الضَّعِيفَ يُتْمَهَرُ ، وَيُوْخَذُ مَالُهُ ،

(١) البصرة : بلد بالعراق ، وأحد موانيه .

لم يكن منكم نُهاةٌ تمنعُ الغواةَ عن دَلَجِ الليلِ ،
 وغارةِ النهارِ ؟ قَرَّبْتُمْ القِرابَةَ ، وباعدتُمُ الدينَ .
 تعتذرون بغيرِ العُدْرِ وتُغْنِضُونَ على المُخْتَلِسِ ، كلُّ
 امرئٍ منكم يذُبُّ عن سَفِيهِهِ صَنِيعَ مَنْ لا يخافُ
 عاقبةً ، ولا يرجوُ معاداً . ما أنتمُ بالحلَماءِ ، ولقد
 اتَّبعتُمُ السُّفهاءَ ، فلم يزلْ بهم ما تروُن من قيامِكُم
 دونهمُ ، حتى انتهكوا حُرْمَ الإسلامِ ، ثم أطرقوا
 وراءكم كئوساً في مسكَنِسِ الرِّيبِ . حَرَّمَ عليٌّ
 الطعامُ والشرابُ حتى أسويها بالأرضِ هلمأً وإِحراقاً ،
 لِنِي رأيتُ آخرَ هذا الأمرِ لا يصلحُ إلا بما صلحُ به
 أولُّهُ : لينٌ في غيرِ ضعيفٍ ، وشدةٌ في غيرِ عنيفٍ .
 ولِنِي أقومُ باللهِ لآخِذِينَ الوَلِيِّ بِالْمَوْلَى ، والمقيمِ بالظاعنِ ،
 والمقبلِ بالمُدبرِ ، والصحيحِ منكم في نفسه بالسقيمِ حتى
 يتلقَى الرجلُ منكم أخاه فيقول : « انجُ سعدٌ فقد هلكَ
 سَعِيدٌ » (١) أو تستقيمَ لي قناتِكُم .

(١) أصل المثل : أنه كان لضبة بن أد ابنان : سعد وسعيد ، فخرجا
 يطلبان إبلا لهما ، فرجع سعد ، ولم يرجع سعيد فكان ضبة إذا رأى سواداً
 تحت الليل قال : سعد أم سعيد .

إِذْ كَلَبَتَهُ النَّبْرُ بِلِقَاءِ (١) مَشْهُورَةً ، فَإِذَا تَعَلَّقْتُمْ
 عَلَيَّ بِكَذِبَةٍ فَقَدْ حَلَّ لَكُمْ مَعْصِيَتِي . مَنْ نَقِبَ عَلَيْهِ
 مِنْكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ لِمَا ذَهَبَ مِنْهُ ، فإِيَّايَ وَدَلِجَ اللَّيْلِ ،
 فَإِنِّي لَا أُوْتَى بِمُدْلِجٍ (٢) إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ وَقَدْ أَجَلَّتْكُمْ
 فِي ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا يَأْتِي الْخَبْرُ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ .
 وَإِيَّايَ وَدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ (٣) ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا
 بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحَدْتُنْسُمْ أَحَدًا تَأَلَّمُ تَكُنْ ، وَقَدْ
 أَحَدْتُنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عَقُوبَةٌ ؛ فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْنَا ،
 وَمَنْ أَحْرَقَ عَلَى قَوْمٍ أَحْرَقْنَا وَمَنْ نَقَبَ عَلَى قَوْمٍ بَيْتًا
 نَقَبْنَا عَنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنَاهُ فِيهِ حَيًّا كَفُؤًا
 عَنِّي أَيْدِيكُمْ ، وَأَلْسِنَتِكُمْ أَكُفَّ عَنْكُمْ يَدِي وَلِسَانِي .
 وَلَا يَظْهَرُ مِنْ أَحَدِكُمْ خِلَافٌ مَا عَلَيْهِ عَامَّتْكُمْ إِلَّا ضَرَبْتُ
 عُنُقَهُ . وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ إِحْنٌ (٤) فَجَعَلْتُ
 ذَلِكَ دَبْرًا أَدُنِّي ، وَتَحْتَ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ

(١) بِلِقَاءِ : الْبَلَقُ : السَّوَادُ وَالْبِيَاضُ . وَالْمَعْنَى : وَاضِحَةٌ وَظَاهِرَةٌ .

(٢) الْمُدْلِجُ : مَنْ أَدْلَجَ : سَارَ أَوَّلَ اللَّيْلِ .

(٣) الْمُرَادُ هُوَ التَّمَصُّبُ الْأَعْمَى لِلْقَبِيلَةِ .

(٤) الْإِحْنُ : جَمْعُ إِحْنَةٍ : الْحَقْدُ .

مُحْسِنًا فَلْيَزِدْهُ إِحْسَانًا ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيُرْتَدِعْ
 عَنْ إِسَاءَتِهِ . إني لو علمتُ أن أحدكم قد قتلَهُ السُّلُّ
 مِنْ بَغْضِي لم أكشف عنه فَنَاعًا ، ولم أهتِك له سِتْرًا حتى
 يُبْغِي لي صَفْحَتَهُ ، فإذا فَعَلَ لم أنظرهُ فاستأنفوا
 أموركُمْ ، وأعينوا على أنفُسِكُمْ ، فربُّ مَبِيتِسٍ
 بِقُدُومِنَا سَيَسِيرٌ ، ومسرورٍ لِقُدُومِنَا سَيَبْتَسِسُ .

أيُّهَا النَّاسُ : إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً ، وَعِنكُمْ ذَادَةٌ ،
 نَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَاهُ ، وَنُدُودٌ عِنكُمْ
 بِفِيءِ اللَّهِ الَّذِي خَوَّلَنَا . فلنا عليكم السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فيما
 أَحْبَبْنَا ، ولكم علينا العَدْلُ فيما وَلَّيْنَا . فاستوجوا
 عَدْلَنَا وَفِيئَنَا بِمُنَاصِحَتِكُمْ لَنَا .

واعلموا أنني مهتمًا قصرتُ عنه فإن أقصرتُ عن ثلاثٍ :
 لستُ مُحتَجِبًا عن طالبِ حاجةٍ منكم ، ولو أتاني طارقًا
 يَدُلُّ ، ولا يَبْسَأُ عِطَاءً ولا رِزْقًا عن إِيَابِهِ ، ولا
 مُجَسِّرًا (١) لكم بعثًا ؛ فادعوا الله بالصلاح لا بمُنْتَكَمٍ ،
 فإنهم ساستكم المؤدَّبون ، وكهفكم الذي إليه تأوون .

(١) يقال : جمر الجيش أي حبه .

ومتى صلحوا تصاحبوا ، ولا تشربوا قلوبكم
بغضهم فيشدّ لذلك غيظكم ، ويطولُ لذلك حزنكم ،
ولا تُدركوا حاجتكم مع أنه لو استجيب لكم فيهم
كان شراً لكم . أسألُ الله أن يعينَ كلاً على كلِّ .

وإذا رأيتموني أنفذُ فيكم الأمرَ فأندوه على
أذلاله (١) ، وأيسمُ الله إن لي فيكم لصرعى كثيرةً
فليحذر كلُّ امرئٍ أن يكون من صرعاي .

قال : فقام عبدُ الله بنُ الأَهمم ، فقال : أشهدُ
أيُّها الأميرُ لقد أوتيتَ الحكمةَ وفصلَ الخطابِ . فقال
له : كلبتُ . ذاكَ نبيُّ اللهِ داودُ صلبى الله عليه وسلم .

فقامَ إليه الأحنفُ بنُ قيسٍ ، فقال : إنما الثناءُ
بعندَ البلاءِ ، والحمدُ بعندَ العطاءِ ، وإنا لا نُشئبي حتى
نُبتلي ، ولا نُسحمدُ حتى نُعطى .

فقال زياد : صدقتَ .

قال : فقام أبو بلال يهمسُ وهو يقولُ : أنبأنا
اللهُ — جل وعز — بغير ما قلت . قال اللهُ تبارك وتعالى :

(١) على أذلاله : أي على وجوهه وطرقه . وأذلال جمع ذل بالكسر .

« وإبراهيمَ الذي وَفَّى . أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى .
وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ
يُسْرَى . ثُمَّ يَجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (١) » وأنت تزعم أنك
تأخذهُ الصحيحَ بالسقيم ، والمطيعَ بالعاصي ، والمقبِلَ
بالمسُدِّبرِ .

قال زيادٌ لحاجبه : يا عجلانُ ، إنني وليستك هذا
البابَ ، وعزلتُكَ عَن أربعةٍ : عزلتُكَ عن هذا الناديِ
إذا دَعَا للصلاةِ ، فلا سبيلَ لكَ عليه ، وعن طارقِ
الليل ، فشرُّ ماجاء به . ولو جاء بخير ما كنتَ من محاببه .
وعن رسولِ صاحبِ الثغرِ (٢) فإن إبطاءَ ساعةٍ يُفسدُ
تدبيرَ سنةٍ فأدخله عليٌّ وإن كنتُ في لِحافي . وعن هذا
الطباخِ إذا فرغَ من طعامه فإنه إذا أُعيدَ عليه التسخينُ فسَدَ .

وقال يُعجبُني من الرجلِ إذا سيمَ خبطةَ الضميمِ أن
يقول : لا بملءٍ فيه وإذا أتى ناديَ قومٍ عَلمَ أين ينبغي
لمثله أن يجلسَ ، فجلسَ . وإذا ركبَ دابةً حملها على
ما يُحب ، ولم يتبعها إلى ما يكرهُ .

(١) سورة النجم من ٣٧ - ٤١ .

(٢) صاحب الثغر : قائد الجيش المواجه للعدو .

وكان حارثةُ بنُ بدر (١) الغُدَانيُّ قد غابَ على زياد - وكان الشرابُ قد غلبَ عليه (٢) - فقليلٌ لزيادٍ : إن هذا قد غلبَ عليك وهو مُستهترٌّ بالشرابِ فقال زياد : كيف باطِّراح رجل هو يُسايِرني ؟ قد دخلتُ عليه العراقَ ، فلم يصبكُ ركابي ركاباه وماراكبني قطُّ فمستتُ ركبتي ركبته ولا تقدمني فنظرتُ إلى قفاه ، ولا تأخترُ عنِّي فلويتُ عنقي إليه ، ولا أخذَ عليَّ الشمسَ في شتاءِ قطُّ ، ولا الرُّوحَ في صيفِ قطُّ ، ولا سألتُهُ عن علمٍ إلا ظننتُهُ لم يُحسنَ غيره .

فلما مات زياد جفاهُ عبيدُ الله ، فقال له حارثةُ : أيها الأميرُ . ما هذا الجفاهُ . مع معرفتكُ بالحال عند أبي المغيرة ؟ فقال له عبيدُ الله : إن أبا المغيرةِ كان قد برع برُوعاً لا يلاحظُهُ معهُ عيبٌ وأنا حدثٌ ، وإنما أنسبُ إلى مَنْ تغلَّسَ عليَّ ، وأنت رجلٌ تُدِيمُ الشرابَ ، فمتى

(١) حارثه بن بدر من فرسان بني تميم ووجهها وساداتها . وكان زياد مكرماً له قابلاً لرأيه فلما ولي عبيد الله بن زياد أضر حارثة بعض التأخير .
(٢) أي على حارثة بن بدر .

قربنك ، فظهرت رائحةُ الشرابِ منك لم آمنُ أن
يُظنَّ بي . فدعِ النبيذَ ، وكنْ أولَ داخلٍ ، وآخرَ
خارجٍ .

فقال له حارثةُ : أنا لأدعُه لمن يملكُ ضربي وتذعبي .
أفأدعُه للحالِ عندك ؟ قال : فاخترْ من عملي ما شئت .
قال : تولّيني رامهرمز (١) فإنها أرضٌ عدويةٌ (٢)
وسرقٌ (٣) وإنَّ بها شراباً وُصِفَ لي عنه . فولاه إياه .
وفيه قيل :

أحارٍ بنُ بلسٍ قدْ وليتَ ولايةً
فكنْ جُرذاً فيها تخونُ وتسرقُ (٤)

• • •

-
- (١) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان .
(٢) أرض عدوية : العداة : الأرض الطيبة البعيدة من الماء ، والوخم .
(٣) سرق : إحدى كور الأهواز .
(٤) قائل هذا البيت أبو الأسود الدؤلي من قصيدة يشبع بها حارثة
ابن بدر . وحوار : منادى مرخم .

الباب الثاني

كلامُ الحجاج (١)

نَحَطِبُ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ . مَنَ أَعْيَاهِ دَاوُهُ
فَعَنْدِي دَوَاؤُهُ ، وَمَنْ اسْتَبَطَأَ أَجَلَهُ ، فَعَلِيَّ أَنْ أَعْجَاهُ .
وَمَنْ ثَقُلَ عَلَيْهِ رَأْسُهُ وَضَعْتُ عَنْهُ ثِقْلَهُ ، وَمَنْ اسْتَطَالَ
مَاضِي عَمْرِهِ قَصَّصْتُ عَلَيْهِ بَاقِيَتَهُ .

إِنَّ لِلشَّيْطَانِ طَيِّفًا (٢) ، وَلِلسُّلْطَانِ سَيِّفًا ، فَمَنْ
سَقَمَتْ سُرِيرَتُهُ صَحَحَتْ عَقُوبَتُهُ ، وَمَنْ وَضَعَهُ ذَنْبُهُ
رَفَعَهُ صَالِبُهُ ، وَمَنْ لَمْ تَسْعَهُ الْعَافِيَةُ (٣) لَمْ تَضُقْ عَنْهُ

(١) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي . ولي الحجاز سنين ،
ثم العراق ، وخراسان عشرين سنة ، وأقره الوليد على عمله بعد أبيه عبد
الملك بن مروان . توفي في رمضان سنة ٨٩٥ عن خمسين سنة .

(٢) المراد بطيف الشيطان : المس من الشيطان ، وقولهم : طيف
من الشيطان كقولهم : لمس من الشيطان .
(٣) العافية : السلامة .

الهلكة . ومن سبقته بادرة^(١) فسيه سبق بدنه بسفك دمه .

إني أنذر^(٢) ثم لا أنظر^(٣) ، وأحذر^(٤) ثم لا أعذر ،
وأتوعد^(٥) ثم لا أعفّر^(٦) إنما أفسدكم ترنيق^(٧) ولانكم .
ومن استرخى لبيته^(٨) ساء أدبه .

ونخطب الحجاج يوماً فقال في خطبته : والله ما بقي
من الدنيا إلا مثل مامضي ، وهو أشبه به من الماء بالماء .
والله ما أحب أن مامضي من الدنيا لي بعمامتي هذه .
وقال على المنبر يوماً : والله لألحونكم^(٩) لحو
العصا ، ولأعصبنكم^(١٠) عصب السلمة ، ولأضربنكم

(١) بادرة فمه : البادرة ما يخرج من الفم من غير قصد في غضب

أو غيره ، والمراد بسبق بدنه سفك دمه : سرعة قتله انتقاماً منه .

(٢) نظره : تأنى عليه ، وأنظره : أخره .

(٣) الترنيق : كسر جناح الطائر من داه أو رمي حتى يسقط والمراد :

الضمت في الأمر .

(٤) اللبب : ما ينشد في صدر الدابة أو الناقة ، ويكون للرحل

والسرج يمتهما من الاسترخاء .

(٥) لألحونكم : لحا العصا : قشرها .

ضربَ غَرَائبِ الإبلِ (١) . يا أهلَ العراقِ ، يا أهلَ الشُّقاقِ والنِّفاقِ ، ومساوئِ الأخلاقِ . إني سمعتُ لكم تكبيراً ليس بالتكبيرِ الذي يُرادُ به اللهُ في الترغيبِ ، ولكنَّه التَّكبيرُ الذي يُرادُ به الترهيبُ . وقد عرفنا أنها عَجَاجَةٌ تحتها قَصْفٌ . أي بَنِي اللَّكِيعةِ (٢) ، وعبيدَ العصا ، وأبناءَ الإمامِ . إنما مثلي ومثلكم ما قال ابنُ بَرَّاقَةَ الهمداني (٣) :

وكنت إذا قومٌ غزوني غزوتهم
فهل أنا في ذا يالَ همدانَ ظالمٌ ؟

متى تجمَعُ القلبَ اللدكيَّ وصارماً
وأنفأً حميماً ، تعجنتِ بكَ المظالمُ

أما والله لا تفرعُ عَصاً عَصاً إلا جعلتها كأمسِ
الذَّاهبِ .

(١) غرائب الإبل : هذا مثل ضربه لنفسه مع رعيته يهددهم ؛ وذلك أن الإبل إذا وردت الماء فدخلت عليها فريية من غيرها ، ضربت وطردت حتى تخرج عنها .

(٢) المراد وصفهم باللوم .

(٣) هو عمرو بن بَرَّاقَةَ بن براق .

قال مالكُ بنُ دينارٍ : ربِّما سمعتُ الحجاجَ يذكرُ
ما صنعَ به أهلُ العراقِ ، وما صنعَ بهم ، فيقعُ في نفسي
أنهم يظلمونه لبيانه ، وحسنِ تخلصه للحجاجِ .
ونخطبَ الحجاجُ مرةً فقال : اللهم أرني الغيَّ غيًّا
فأجتنبه ، وأرني الهدى هدىً فأتبعه ، ولا تكلِّني إلى
نفسي فأضلَّ ضلالاً بعيداً .

قال مالكُ بنُ دينارٍ : غدوتُ إلى الجمعة ، فجلستُ
قريباً من المنبرِ ، فصعدَ الحجاجُ ثم قال : امرؤُ زورَ
عماله (١) ، و امرؤُ محاسبُ نفسه ، امرؤُ فكَّرَ فيما
يقرؤه غداً في صحيفته ، ويراه في ميزانه . امرؤُ كان عند
قلبه زاجرٌ ، وعند همة أمرٌ ، أخذُ بعنان قلبه كما يأخذُ
الرجلُ بخطام جَمَلِهِ ، فإن قادهُ إلى طاعةِ الله تبيعه ،
وإن قادهُ إلى معصيةِ الله كتهه .

وكان يقول : إنا والله ما خلقنا للفناء ، وإنما خلقنا
للبقاء ، ولكن نُنتقلُ من دارٍ إلى دارٍ .

(١) زور عمله : حسنه .

وخطب يوماً فقال : إن الله أمرنا بطلب الآخرة ،
وكفانا مؤونة الدنيا ، فليتنا كنفينا مؤونة الآخرة ،
وأمرنا بطلب الدنيا .

فقال الحسن : ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق .

وأهدى إلى عبد الملك (١) فرساً وبغلة وكتب إليه :
وجهتُ إلى أمير المؤمنين فرساً سهلاً الخلد ، حسنَ
القد ، يسبقُ الطرف ، ويستغرقُ الوصف . وبغلة
هواها زمامها وسوطها .

وكان يقول : العفو عن المقر لا عن المصّر .

وقال : الكوفة امرأة حسناء عاظم (٢) ، والبصرة
عجوزٌ درداء (٣) ، قد أوتيت من كل شيء .

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو الوليد ،
من أعظم الخلفاء ودهاتهم . استعمله معاوية على المدينة وسنة ١٦ سنة ،
وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٨٦٥ .

(٢) العاظم : الخالية من الزينة .

(٣) المعجوز الدرداء : الدرداء : مؤنث أدرد ، والأدرد : رجل

ليس في فيه سن .

وقال له بعضُ ولاةِ الحجاز : إن رأى الأميرُ أن يستهديني ما شاء فإيتفعلي .

قال : أستهديك بـغلةٍ على شَرطِي . قال : وما شَرطُك ؟ قال : بغلةٌ قصيرٌ شعرُها ، طويلٌ عِنانُها ، همُّها أمامُها ، وسوطُها بلجامُها ، تستبينُ فيها العِلقَةُ ، ولا تهزطُ الركبةُ .

وقال يوماً لجلسائه : ما يذهبُ الإعياءُ ؟ فقال بعضهم : التمرُّ . وقال آخرُ : التمرُّحُ وقال آخرُ : النومُ . قال : لا ، ولكن قضاءُ الحاجةِ التي أعْيَا بسببها .

كتب الحجاجُ إلى قُتَيْبَةَ : لا تهجننِ بلاءَ أحدٍ من جنُديك وإن قلَّ ، فإنك إذا فعلت ذلك لم يرغبُ أحدٌ منهم في حُسْنِ البلاءِ . وأعطى الذي يأتيتك بما تكره صادقاً مثل الذي يأتيتك بما تحبُّ كاذباً ، فإنك إن لم تفعل غرؤك ولم يأتوك بالأمر على وجهه . واعلم أنه ليس للمكذوب رأيٌ ، ولا في حسودٍ ، حيلةٌ .

وقال لكتابه : لا تجعلنَّ مالي عند من لا أستطيع أخذه منه . قال : ومن لا يستطيع الأميرُ أن يأخذه منه ؟ قال : المُفلسُ .

وكتب الوليدُ بن عبد الملكِ إليه يأمره أن يكتب
إليه بسيرته . فكتب إليه : إني قد أيقظتُ رأيي ، وأنتُ
هوأي ، فأدريتُ السيّد المطاع في قومه ، ووليتُ الحرب
الحازم في أمره ، وقلدتُ الخراج الموفّر لأمانته ،
وقسمتُ لكلّ خصمٍ من نفسي قسماً أعطيه حظّاً من
نظري ، ولطيف عنايتي ، وصرفتُ السيف إلى النّطف (١)
المسيء والثواب إلى المُحسن البريء ، فخاف المُريب
صوأة العقاب ، وتمسكُ المحسنُ بحظّه من الثواب .

وقال : لأطلبنّ الدنيا طلب من لا يموتُ أبداً
ولأُنقبقنّها كمن لا يعبرُ أبداً .

قال بعضهم : رأيتُ الحجاج وعنبة بن سعيد
واقفين على دجالة . فأقبل الحجاجُ ، وقال : يا عنبة ،
إذا كنت في بلد يضعفُ سلطانه ، فأخرجْ عنه ؛ فإن
ضعف السلطان أضرّ على الرعية من جُوده .

وكان يقول : خيرُ المعروف ما نعشت به عثرات
الكرام .

(١) النطف : العيب . يقال : هم أهل الريب والنطف : التلطف بالمعيب .

وَضْرَبَ رَجُلًا فَقَالَ : اعْتَدَيْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ :
((فَلَا عُدُوَّانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)) (١) .

وَقَفَ رَجُلٌ لَهُ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، جَنَى
جَنَانًا فِي الْحَيِّ ، فَأَخَذَتْ بِجُرِيرَتِهِ ، وَأَسْقَطَ عَطَائِي .
فَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

جَانِيكَ مَنْ يَمَجِّنِي عَلَيْكَ وَقَدْ
تُعْنِدِي الصَّحَّاحُ مَبَارِكُ الْجُرْبِ
وَلرُبَّ مَا تُخَوِّدِي بِذَنْبِ صَدِيقِيهِ
وَنَجَا الْمُقَارِفُ صَاحِبُ الذَّنْبِ

فَقَالَ الرَّجُلُ : كِتَابُ اللَّهِ أَوْلَى مَا اتَّبِعَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
((مَعَازِ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعِنَا
عِنْدَهُ)) (٢) . فَقَالَ الْحِجَاجُ : صَدَقْتَ . وَأَمَرَ بَرْدٌ عَطَائِهِ .

وَقِيلَ لَهُ — وَقَدْ احْتَضَرَ — : أَلَا تَتُوبُ ؟ فَقَالَ :
إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا فَلَيْسَتْ هَذِهِ سَاعَةُ التَّوْبَةِ ، وَإِنْ كُنْتُ
مُحْسِنًا فَلَيْسَتْ سَاعَةُ الْفِرْعِ .

(١) سورة البقرة : ١٩٣ وأولها « فإنا انتهوا فلا »

(٢) سورة يوسف : ٧٩ وأولها : « قال معاذ الله » .

وقال على المنبر : اقدعوا هذه الأنفس فانها أسألُ
شيءٍ إِذَا أُعْطِيَ ، وَأَعْصَى شَيْءٍ إِذَا سُمِّت . فرحم
اللهُ أمراًً جعل لنفسه خطاماً وزماماً ، فقادها بخطامها
إلى طاعة الله ، وعَطَفَهَا بزمامها من معصية الله ؛ فإني رأيت
الصبر عن محارمه أيسر من الصبر على عذابه .

وكان يقول : إنَّ أمراًً أتت عليه ساعةٌ من عُمْرِهِ
لم يذكر ربَّه ، ولم يستغفرُ من ذنبه ، أو يفكرُ في معاده .
بلحديرٍ أنْ تطول حَسْرَتُهُ يومَ القيامةِ .

كان الحجاجُ إِذَا استغْرَبَ صَحِيكاً والتى بين
الاستغفارِ . وكان إِذَا صعد المنبرَ تَلَفَّحَ بِمِطْرَفِهِ (١) ، ثم
تَكَاسَمَ رويداً فلا يكادُ يُسْمَعُ منه ، ثم يتزَيَّدُ في الكلامِ
حتى يُسْحَرُجُ يده مِن مِطْرَفِهِ يَزْجُرُ الزُّجْرَةَ فيقرعُ بها
أَقْصَى مَنْ في المسجدِ . وكان يُطْعِمُ في كلِّ يومٍ على
ألفِ مائدةٍ ، على كلِّ مائدةٍ ثريدٌ وجَنْبٌ من شِوَاءٍ ،
وسَمَكَةٌ طَرِيَّةٌ . ويَطَافُ بِهِ في مِحْفَةِ (٢) على تلكِ

(١) والمطرف : رداء من خبز مربع ، ذو أعلام ، والمطرف من
الثياب : ما جعل في طرفيه علمان .

(٢) المحفة بالكسر مركب من مراكب النساء كالهودج إلا أنها
لا تقب كالهودج .

الموائد ليتفقد أمور الناس ، وعلى كل مائدة عشرة . ثم يقول : يأهل الشام . كَسَّرُوا الخُبْزَ (١) لثلاثا يُعَادُ عَلَيْكُمْ .

وكان له ساقيان : أحدهما يسقي الماء والعسل ، والآخر يسقي اللبن .

يُروى عن محمد بن المنتشر الهمداني ، قال : دفع إليّ الحجاج « أزادهُ مُرْدُ بن الهزْبَدِ » وأمرني أن أستخرج منه ، وأُغْلِظَ له . فلما انطلقتُ به قال لي : يا محمدُ . إن لك شرفاً وديناً ، وإني لا أُعْطِي على القسْرِ شيئاً ، فاستأدني (٢) ، وارفُقْ بي . قال : ففعلت : قال : فأدنى إليّ في أسبوعِ خَمْسِمِائَةِ ألف . قال : فبلغ ذلك الحجاج ، فأغضبته ، وانتزعته من يدي ، ودفعه إلى رجل كان يتولّى له العذاب ، فدقَّ يديه برجليه ، ولم يعطهم شيئاً .

قال محمد بن المنتشر : فلإني لأُمرُّ يوماً في السوق إذا صائح بي : يا محمدُ . فالتفتُ فإذا به معروضاً على

(١) كناية عن كثرة الطعام ووفرة الخيرات .

(٢) استأذاه : طلب منه أداء ما عليه .

حمار ، مَوْثُوقُ اليدين والرجلين فُخِنِفْتُ الحجاج إن
أُتِيْتَهُ ، وتَدَمَّتْ (١) منه . فماتُ إليه فقال لي : إناك وليت
منِّي ما ولي هؤلاء ، فَرَفَقْتُ بي فأحسنت إلي ، ولأنهم
صنعوا بي ما ترى ، ولم أعطهم شيئاً . وها هنا خمسمائة
ألف عند فلان . فخذها ، فهي لك .

قال : فقلت : ما كنتُ لأخذ منك على معروفٍ
أجراً ، ولا لأرزأك على هذه الحال شيئاً .

قال : فأما إذ أُبَيِّتَ فاسمع أحدثك : حدثني بعض
أهل دينك عن نبيِّك صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا
رضيَ اللهُ عن قومٍ أمطرهم المطرَ في وقتِه ، وجعلَ المالَ
في سَمَحَاتِهِمْ ، واستعملَ عليهم خيارَهُمْ ، وإذا سَخِطَ
اللهُ على قومٍ استعملَ عليهم شِرَارَهُمْ ، وجعلَ المالَ عند
بِخْلَاتِهِمْ ، واطرَ المطرَ في غيرِ حينِه .

قال : فانصرفتُ ، فما وضعتُ ثوبي حتى أتاني
رسولُ الحجاج يأمرني بالمسيرِ إليه . فألقيته جالساً على
فرشه . والسينبُ مُنْتَضِي في يده . فقال لي : اُدْنُ .

(١) تدمت منه : أي استحييت منه ، واستنكفت .

فدنوتُ شيئاً ، ثم قال : أُدْنُ . فدنوتُ شيئاً . ثم صاح
الثالثة : أُدْنُ . لا أبالك ! فقلت : ما بي إلى الدُّنُوِّ من
حاجة . وفي يد الأمير ما أرى . فأضحكَ اللهَ سِنَّهُ ،
وأغمدَ عني سيفَه . فقال لي : اجلس . ما كان من حديث
الخيث ؟

فقلت له : أيُّها الأميرُ . والله ما غشيتُك منذ
استنصحتني ، ولا كذبتُك منذ استخبرتني ، ولا خنتُك
منذ ائتمنتني . ثم حدَّثتُه الحديث .

فلما صرتُ إلى ذكر الرجل الذي المالُ عنده أعرضَ
عني بوجهه ، وأومأَ إليَّ بيده . وقال : لا تُسمِّه .
ثم قال : إنَّ للخبيثِ نفساً ، وقد سمعَ الأحاديثَ !

* * *

الباب الثالث

كَلَامُ الْأَحْنَفِ (١)

رَأَى مَعَ رَجُلٍ دَرَهْمًا ، فَقَالَ : تَحِبُّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
أَمَّا إِنَّهُ لَا يَنْفَعُكَ حَتَّى تَفَارِقَهُ .

قَالَ : مَا عَرَضْتُ إِلَّا نِصَافَ عَلَى رَجُلٍ فَقَبِلَهُ إِلَّا هَيْبَتَهُ ،
وَلَا أَبَاهُ إِلَّا طَمَعَتُ فِيهِ .

وَقَالَ : لِأَذَى تَحْكُوكَ فِي نَاحِيَةِ بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
أَيْسَمٍ رَدَدْتُ عَنْهَا كُفُوفًا .

وَقِيلَ لَهُ : مِنْ السَّمِيدِ ؟ قَالَ : الدَّلِيلُ فِي نَفْسِهِ ،
الْأَحْمَقُ فِي مَالِهِ ، الْمَعْنِيُّ بِأَمْرِ قَوْمِهِ ، النَّاطِرُ لِلْعَامَّةِ .
وَقَالَ : رُبَّ رَجُلٍ لَا تُشْمَلُ فَوَائِدُهُ وَإِنْ غَابَ ،
وَأَخْرَجَ لَا يُسَلِّمُ جُلَيْسَتَهُ وَإِنْ احْتَرَسَ .

وَقَالَ : كُلُّ مَلِكٍ غَدَّارٌ وَكُلُّ دَابَّةٍ شَرُودٌ وَكُلُّ
امْرَأَةٍ خَوْوفٌ .

(١) الأحنف : هو الضحاك بن قيس بن معاوية يضرب به المثل في
الحلم حتى قيل : « أحلم من الأحنف . » .

وقال : سهرتُ ليلةً في كلمة أرضي بها سُلطاني .
ولا أسخطُ بِهَا رَبِّيَ فما وجدتها .

وقيل له : ما الحلمُ ؟ قال : الرِّضاءُ بالذُّلِّ .

وقيل لرجل : ليت طولَ حِلْمنا عنك لا يدعُو
جهلَ غيرنا إليك .

وقال : أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار
والنارَ .

وقال : وإياكَ والكسلَ والضجرَ ، فإنك إن كسأتَ
لم تُؤدِّ حقاً ، وإن ضَجَّرتَ لم تصبرِ على حقٍّ .

وذكرَ رجلاً فقال : لا يحقرُ ضعيفاً ، ولا يحسدُ شريفاً .

وقال : الشريفُ مَنْ عُدَّتْ سَقَطَاتُهُ .

وقيل له : ما اللُّؤمُ ؟ قال : الاستعصاءُ على الملهوفِ (١) .

قيل : فما الجودُ ؟ قال : الاحتيالُ للمعروفِ .

وسمعَ رجلاً يقول : ما بُتُّ البارحةَ من وَجَعِ ضروسٍ .

(١) الاستعصاء على الملهوف : يقصد التلذُّذ في نجدة صاحب الحاجة .

وجعل يُكثر ، فقال له الأحنفُ : كم تكثُرُ ! ! فوالله
لقد ذهبتُ عيني منذ ثلاثين سنة ، فما قلتُ لأحد .
وقال : لستُ بحليمٍ ولكنني أتحام .

وقال يومَ قُتِلَ مُصْعَبٌ : انظروا إلى المُصْعَبِ ،
على أي دَابَّةٍ يخرجُ ؟ فإن خرجَ على بَرْدَوْنٍ (١) فهو
يريد الموتَ ، وإن خرجَ على فرسٍ فهو يريد الهربَ .
قال : فخرجَ على بردونٍ يجرُّ بَطْنَهُ .

وقال الأحنفُ : استميلُوا النساءَ بحسنِ الأخلاقِ
وفُحْشِ النِّكَاحِ .

وقال : وجدتُ الحليمَ أنصرَ لي من الرجالِ .
وقال له رجلٌ : بِمِ سُدَّتْ ؟ قال : بِتَرَكي من
أمرِكِ مالا يعنيني ، كما عَنَّاكَ من أمري مالا يعينك .
وقال : من حقِّ الصديقِ أن تُحتمِلَ له ثلاثٌ :
ظلمُ الغضبِ ، وظلمُ الدالَّةِ ، وظلمُ الهَفْوَةِ .
خطب معاويةُ مرةً ، فقال : إن الله يقول في كتابه :

(٢) البردون : تطلق هذه التسمية على غير العربي من الخيل .

« وإن من شيء إلا عندنا خزائنه » (١) فعلام تلومونني إذا قصرتُ في أعطيائكم ؟

فقال الأحنف : فجعلته أنت في خزائنك ، وحملت بيننا وبينه ولم تنزله إلا بقدر معلوم .

وقال : مانازعني أحد قط إلا أخذت عليه بأمرٍ ثلاثة : إن كان فوق عرفته له قدره . وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه ، وإن كان مثلي تفضلت عليه .

وقام بصفتين ، فاشتد ، فقليل له : أين الحليم يا أبا بحر ؟ قال : ذاك عند عقر الحي (٢) .

وقال : لاتشاور الجائع حتى يشبع ، ولا العطشان حتى يروى ، ولا الأسير حتى يُسَلِّقَ ، ولا المصل حتى يجلد ، ولا الراغب حتى ينجح .

وأتى مصعب بن الزبير (٣) يكاسمه في قوم حبسهم ، فقال : أصلح الله الأمير ، إن كانوا حُبِسُوا في باطل فالحق يُخْرِجُهُمْ وإن كانوا حُبِسُوا في حق فالعفو يسعهم ، فخلاهم .

(١) سورة الحجر : ٢١ .

(٢) يقصد بقوله : مقر الحي وقت السلم لا وقت الحرب حيث يكون

مقيماً بحيه وبلده .

(٣) مصعب بن الزبير بن العوام ، وأخوه عبيد الله بن الزبير وأمهما

أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

وقال : السُّودْدُ ، مع السَّوَادِ . يريد أن السيدَ مَنْ
أنتهُ السِّيَادَةُ فِي حَدَاثِهِ وَسَوَادِ رَأْسِهِ وَلِحِيَّتِهِ .

وجلس على باب زياد ، فمرَّتْ بِهِ سَاقِيَةٌ ، فَوَضَعَتْ
قَرْبَتَهَا ، وَقَالَتْ : يَا شَيْخُ . احْفَظْ قَرْبَتِي حَتَّى أَعُودَ ،
وَمَضَتْ ، وَأَتَاهُ الْآذَنُ (١) فَقَالَ : انْهَضْ . قَالَ : لَا ،
فَإِنْ مَعِيَ وَدِيعَةٌ . وَأَقَامَ حَتَّى جَاءَتْ .

وشتمه يوماً رجلاً وألحَّ عليه فقال له : يَا بَنَ أُمِّي .
هَلْ لَكَ فِي الْغَدَاءِ ؟ فَإِنَّكَ مِنْذُ الْيَوْمِ تَحْدُو بِجَمَلٍ تَمَالٍ (٢) .
وقال : كُنَّا نَخْتَلِفُ إِلَى قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ (٣) فِي
الْحَلِيمِ ، كَمَا يُخْتَلَفُ إِلَى الْفُقَهَاءِ فِي الْفِقْهِ .

(١) الْآذَنُ : الْحَاجِبُ .

(٢) جَمَلٌ ثِفَالٌ بِفَتْحِ الشَّاءِ وَالثِّفَالُ مِنَ الْإِبِلِ الْبَطِيءِ الثَّقِيلِ الَّذِي لَا يَكَادُ

يَنْهَعُ .

(٣) قِيلَ لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : مَنْ تَعَلَّمْتَ الْحَلِيمَ ؟ قَالَ مِنْ قَيْسِ بْنِ
عَاصِمِ الْمَنْقَرِيِّ ، رَأَيْتَهُ قَاعِدًا بَفَنَاءِ دَارِهِ ، مَحْتَبِيًّا بِجَمَائِلِ سَيْفِهِ يَحْدُثُ
قَوْمَهُ ، حَتَّى أَتَى بِرَجُلٍ مَكْتُوفٍ وَرَجُلٍ مَقْتُولٍ . فَقِيلَ لَهُ : هَذَا ابْنُ أَخِيكَ
قَتَلَ ابْنَكَ ، فَوَاللَّهِ مَا حَلَّ حَبُوتَهُ ، وَلَا قَطَعَ كَلَامَهُ ، ثُمَّ انْتَفَتَّ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ
فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، أَثِمْتَ بِرَبِّكَ وَرَمَيْتَ نَفْسَكَ بِسَهْمِكَ ، وَقَتَلْتَ
ابْنَ عَمَلِكَ . ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ لَهْ آخِرُ : يَا بَنِي قَمِ فَوَارِ أَخِيكَ ، وَحَلِّ كِتَافِ ابْنِ
عَمَلِكَ ، وَسَقِ إِلَى أُمِّهِ . إِنَّهُ دَائِقَةٌ دَيْقَةٌ ابْنُهَا لَأَبْنَاهَا غَرِيبَةٌ .

وشتمه رجلٌ ، فسَكَتَ عنهُ ، فأعاد ، فسَكَتَ ،
فقال الرجلُ : والمفاهُ . ما يمنعهُ أن يردَّ عليَّ إلا هَوَانِي
عليه .

وقال الأحنفُ : من لم يصبر على كلمة سمع كلمات ،
ورُبَّ غيظٍ قد تجرَّعتهُ مخافةَ ما هوَ أشدُّ منهُ .
وكان إذا أتاهُ إنسانٌ أوسعَ لهُ ، فإن لم يجد موضعا
تحركَ ليريه أنه يوسعُ له .
وقال : ماجلستُ قطُّ مجلساً . فخفتُ أن أقامَ عنهُ
الغيري .

وكان يقولُ : إياك وصدَرَ المجلسِ فإنه مجلسٌ
قُاعَةٌ (١) .

وقال : خيرُ الإخوانِ مَنْ إذا استغنيتَ عنه لم يزدك
في المودةِ ، وإن احتجتَ إليه لم ينقصك منها ، وإن
كُوثرَتَ عَضدُكَ ، وإن احتجتَ إلى معاونته رَفَدَكَ .
وقال : العتابُ مفتاحُ التَّقَالِي ، والعتابُ خيرٌ من الحقد .

(١) مجلس قلعة : إذا كان صاحبه يحتاج إلى أن يقوم مرة بعد مرة .

وكان يقول : ما تزالُ العربُ بخير ما لبستِ العمائمَ ،
وتقلدتِ السيوف ولم تتعدَّ الحِلْمَ ذُلًّا ولا التواهبَ بينها
ضبعةً .

قوله : لبستِ العمائمَ ؛ يريد ما حافظتُ على زيِّها .
وقال : ما شاتمتُ أحدًا منذُ كنتُ رجلاً ، ولا زحمتُ
رُكبتاي ركبتيه ، وإذا لم أصل مُجتديَّ حتى يَنتحَ جبينه ،
كما تنتح الحميتُ (١) ، فوالله ما وصائتُه .
وقال : إني لأجالسُ الأحمقَ الساعةَ فأَتبَسُّ ذلك
في عقلي .

وقال له معاويةُ : بلِّغني عنك الثَّقَّةُ . فقال : إن الثَّقَّةَ لا يبلِّغُ .
وعُدَّت على الأحنفِ سَقَطَةٌ ؛ وهو أن عمرو بن
الأَهمِّ (٢) دسَّ إليه رجلاً ليسفَّههُ . فقال : يا أبا
بجر : مَنْ كان أبوك في قومه ؟ قال : كان من أوْسَطهم ،

(١) الحميت من كل شيء : المتين ، والحميت : وعاء السمن .

(٢) هو عمر بن سنان الأهمِّ التميمي المنقري ، ولقب أبوه بالأهمِّ
لأن ثنيته همت يوم الكلاب . وكان عمرو هذا من عظماء بني تميم وساداتهم ،
ومن شعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام وقد فد على الرسول عليه
السلام هو والزيرقان بن بدر وأسلما . وقد توفي عمرو سنة ٥٥٧ .

لم يسدّهم ولم يتخلف عنهم . فرجع إليه ثانية ، ففطن
الأحنف أنه من قبيل عمرو . فقال : ما كان مالُ أبيك ؟
قال : كانت له صرمة^(١) يمنح منها ، ويقرى (٢) ولم
يكن أهتم سلاّحاً .

وسمع رجلاً يقول : التعلّم في الصغر ، كالنقش
على الحجر . فقال الأحنف : الكبيرُ أكبرُ عقلاً ، ولكنه
أشغلُ قلباً .

ولم قدمَ عسىَ عُمَرَ في وفد أهل البصرة وأهل
الكوفة فقضى حوائجهم قال الأحنف : إن أهل هذه
الأمصار نزلوا على مثل حدقة البعير ، من العيون العذاب
تأتيهم فواكههم لم تتغير . وإنا نزلنا بأرض سيخة
نشاشة (٣) ؛ طرفٌ لها بالفلاة ، وطرفٌ بالبحر الأجاج (٤)

(١) صرمة يمنح منها : الصرمة القلعة من الإبل ما بين العشرة
إلى الأربعين .

(٢) قرى الضيف يقره قرى بالكسر والقصر ، والفتح والمد :
أضافه ، كإقراه .

(٣) أرض سيخة نشاشة : لا يجف ثراها ، ولا ينبت مرعاها ،
والذي يقصده الأحنف بقوله « نزلنا سيخة نشاشة » : البصرة . أي
نزاة تنز بالماء .

(٤) الأجاج : الملح المر .

يأتينا ما يأتينا في مثل مَرِيءِ النعمامة ، فإن لم ترفع
خسبستنا (١) بعطاء تفضلنا به على سائر الأمصار نهلك .

قيل : لما أجمع معاوية على البيعة ليزيد جمع الخطباء
فتكلموا - والأحنف ساكت - فقال : يا أبا بحر .
ما منعك من الكلام ؟ قال : أنت أعلمنا بيزيد ليديه
ونهاره وسره ، وعلازيمه ؛ فإن كنت تعلم أن الخلافة
خير له فاستخلفه وإن كنت تعلم أنها شر له فلا تؤاذه
الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة ؛ فلئما لك ما طاب ،
وعلينا أن نقول : سمعنا وأطعنا .

وقال الأحنف : المروءة كلها إصلاح المال ،
وبذلها للحقوق .

* * *

(٣) ترفع خسبستنا : رفعت من خسبسته : إذا فعلت به أمراً يكون
فيه رفعة .

الباب الرابع

كلامُ المهلبِ وولده (١)

قيل للمهلب : ما الشبلُ ؟ قال : أن يخرج الرجلُ
من منزله وحده ، ويعود في جماعة .
وقال : ما رأيتُ الرجال يضيقُ قلوبُها عند شيءٍ
كما تضيقُ عند السرِّ .

خطب يزيدُ بنُ المهلبِ بواسط (٢) فقال : إنني
قد أسمع قول الرَّعاع : قد جاء مسلمةٌ وقد جاء العباسُ ،
وقد جاء أهلُ الشام . وما أهلُ الشام إلا تسعةُ أسياف :
سبعةٌ منها معي ، واثنان عليَّ . وأما مسلمةُ فجرادةٌ

(١) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي المتكفي البصري . نشأ في
دولة بني أمية ، ثم أمره مصعب بن الزبير على البصرة نيابة عنه في أيام أخيه
عبد الله بن الزبير ، ثم ولاء عبد الله خراسان ، وهو الذي قاتل الخوارج ،
وكسر شوكتهم ، وقد توفي زمن ولاية الحجاج الثقفي سنة ٥٨٣ هـ وأما
أولاده فهم : المغيرة ، ويزيد ، وقبيصة ، وعبد الملك ، وحبيب ،
ومحمد ، والمفضل ، ومدرك .

(٢) واسط : موضع بين البصرة والكوفة .

صفراء ، وأما العباسُ فنسطوسُ (١) بنُ نسطوس ،
أثاكم في بَرابرة (٢) وصقالبة (٣) .

ومن كلام المهلب : عجبتُ لمن يشتري المماليك
بماله ، ولا يشتري الأحرار بمعروفه .

وقال يزيدُ بن المهلب لابنه مُتخلد - حين ولاه
جُرْجَان : استظرفُ كاتيك ، واستعقلُ حاجبتك .

قال حبيبُ بن المهلب : ما رأيت رجلاً مُستلثماً (٤)
في الحرب إلا كان عندي رجلين ، ولا رأيت حاسرين (٥)
إلا كانا عندي واحداً .

(١) نسطوس : اسم رومي يشير إلى أصل العباس بن الوليد حيث
كانت أمه رومية .

(٢) البرابرة : جمع بربري ، وهي تطلق في مصر على الثوبين أو
البرابرة ، كما يعرفون عادة بهذا الاسم الآن . وموطنهم الوادي العلوي
لنهر النيل من الجهات المجاورة لأسوان . وهم جنس خفيف الحركة ، نشط ،
يتعلمون بسرعة اللغة العربية أو أية لغة . ودينهم الإسلام . والبرابرة
جيل بالمغرب .

(٣) الصقالبة : هم جيل من الناس بين بلاد البلغار والقسطنطينية .

(٤) رجلاً مستلثماً : أي لا بساً الألثة ، وهي لباس الحرب .

(٥) الحاسر : من لا مغفر له ، ولا درع ، أو لا جنة له .

فسمع بعض أهل المعرفة هذا الكلام ، فقال : صدق :
إن للسلاح فضيلة" . أما تراهم ينادون عند الصريخ :
السَّلاح السلاح ، ولا ينادون : الرِّجال ، الرجال .

قيل ليزيد بن المهلب : ألا تبني داراً ؟ فقال : منزلي
دار الإمارة أو الحبس .

أغلاظ رجلٌ للمهلب ، فحلم عنه ، فقيل له : جهل
عليك وتحلمُ عنه ؟ فقال : لم أعرف مساويهُ ، وكرهت
أن أهبته بما ليس فيه .

قال يزيدُ بن المهلب : ما رأيتُ عاقلاً ينوبهُ أمرٌ
إلا كان مقولتهُ على لَحِيَّته (١) .

وقيل له : إنك لتُلقيني بنفسك في المهالك . قال : إني
لستُ أتِي الموت من حُبِّه ، وإنما آتية من بغضه ، ثم تمثل :
تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الحِياةَ فلمْ أَجِدْ
لنَفْسِي حِياةً مثلَ أنْ أَتَقَدَّمَ (٢)

(١) لحيه : اللحي : منبت الحية . والمراد : بدا على وجهه ما يريد
أن يقوله .

(٢) قائل البيت : هو الحصين بن الحمام من قصيدة مشهورة .

كتب المهلب إلى الحجاج لما ظنفسر بالأزارقة (١) :
الحمد لله الذي كفتى بالإسلام فقد ما سواه ، وجعل الحمد
متصلاً بنعمه ، وقضى ألا ينقطع المزيد من فضله ، حتى
ينقطع الشكر من عباده ثم إنا وعدونا كنا على حالين
مختلفتين ؛ نرى فيهم ما يسرنا أكثر مما يسوءنا ، ويرون
فينا ما يسوءهم أكثر مما يسرهم . فلم يزل الله يكثرنا
ويعظمهم ، وينصرنا ويخذلهم ، على اشتداد شوكتهم ؛
فقد كان عائن أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة ، ونوم
به الرضيع ، فانتهزت منهم الفرصة في وقت إمكانها ،
وأدنيت السواد ، من السواد حتى تعارقت الوجوه .
فلم نزل كذلك حتى بلغ بنا وبهم الكتاب أجله .
((فقسطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
العالمين)) (٢) .

وقال المهلب لبنيه : يا بني ؛ إذا غدا عليكم الرجل ،
ولاح مسلماً ، فكفتى بذلك تقاضياً .

(١) الأزارقة : إحدى فرق الخوارج ، وتنسب إلى نافع بن الأزرق .

(٢) سورة الأنعام : ٤٥ .

وقيل له : أيُّ المجالس خيرٌ ؟ قال : ما بَعُدَ فيه
مَدَى الطرفِ ، وكَثُرَتْ فيه فائدةُ الجَلِيسِ .
قال المهلبُ : العيشُ كلُّهُ في الجَلِيسِ المُتَمَتِّعِ .

وكتب لإيِّه الحجاجُ : أما بعدُ . فلأنك تترأخى عن
الحربِ حتى يأتِيكَ رُسُلِي . فيرجعوا بعُدْرِكَ ، وذلك
أنك تُمَسِّكُ حتى تبرأَ الجراحُ ، وتُنسى القَتْلَى ،
ويجُمُّ النَّاسُ ، ثم تلتقاهم فتحمِلُ منهم مثلُ ما يحتملون
منك من وُحْشَةِ القَتْلِ ، وألمِ الجراحِ . ولو كُنْتَ تلتقاهم
بذلك الجِدِّ لكان الداءُ قد حُسِمَ ، والقرنُ قد قُصِمَ .
ولعمري ما أنْتَ والقومُ سواءٌ ؛ لأنَّ من ورائك
رجالاً ، وأمامك أموالاً . وليس للقومِ إلا ما معهم ،
ولا يُدْرِكُ الوجيفُ (١) بالدبيبِ ولا الظفرُ بالتعليلِ .

فكتب المهلبُ لإيِّه : أما بعدُ . فأنِّي لم أعطِ رسالتك
على قولِ الحقِّ أجراً ، ولم أحتجُ منهم مع المشاهدةِ إلى
تلقينِ . ذكرتُ أنِّي أجُمُّ القومَ ، ولا بدَّ من راحةٍ
يسْتريحُ فيها الغالبُ ، ويحتالُ فيها المغلوبُ ،

(١) الوجيفُ : ضربٌ من سِرِّ الإبلِ والنَّهْلِ ، وأوجف دابته إذا حثها .

وذكرت أن في الحمام ما يُسبى القتلى ، ويبريء الجراح . وهيهات أن يُسبى ما بيننا وبينهم ؛ تأتي ذلك قتلى لم تُجَنِّ ، وقروح لم تُتَمَرَف (١) . ونحن والقوم على حَالَة وهم يرقبُون منا حَالَاتٍ ، إن طمعُوا حاربوا ، وإن مَلَأُوا وقفوا ، وإن ينسُوا انصرفوا ، وعلينا أن نقاتلهم إذا قاتلوا ، ونحزر إذا وقفوا ، ونطلب إذا هربوا ؛ فإن تركني والرأي كان القرن (٢) مفصوماً ، والداءُ - بإذن الله - ميسوماً ، وإن أعجَلتني لم أطعك ، ولم أعصِ ، وجعلتُ وجهي لِيلى بابك وأنا أعوذ بالله من سَخَطِ الله عز وجل ومَمَتِ النَّاسِ !

* * *

(١) تفرقت القرحة : تقشرت .

(٢) كان القرن مفصوماً : القرن من معانيه السيف أو النصل ، والجمع قرون وقران . مفصوماً : مقطوعاً .

الباب الخامس

كلام أبي مسنم (١)

قيل له : ما كان سبب خروج الدولة عن بني أمية ؟
فقال : ذلك لأنهم أبعدوا أولياءهم ثقةً بهم ، وأدنوا أعداءهم تألُّفاً لهم ، فلم يصر العدو بالدينو صديقاً وصار الصديقُ بالبعاد عدوًّا .

وقيل له في حديثه : إنا نراك تأرق كثيراً ، ولا تنام
كأنك موكلٌ برعي الكواكب ، أو متوقعٌ للوحي من السماء . فقال : والله ما هو ذلك ، ولكن لي رأيٌ جوالٌ ،
وغيريةٌ تامةٌ ، وذهنٌ صافٌ ، وهمةٌ بعبادةٍ ونفسٌ
تستوقُّ إلى معالي الأمور مع عيشٍ كعيش الهمسج والرِّعاع ،
ومحالٌ متناهيةٌ من الاتضاع ، وإنِّي لأرى بعضَ هذا
مصيبةً لا تُجبرُ بسهر ، ولا تُتلافى بأرقٍ .

قيل له : فما الذي يُبسرِدُ عليك ، ويشفي أججاج صدرك ؟ قال : الظفرُ بالملك .

(١) أبو مسلم الخراساني : أحد أعلام الفرس الخارجين على بني أمية ، والثائرين على حكمهم ، والممهدين لقيام دولة بني العباس سنة ١٣٣ هـ قتله أبو العباس السفاح خوفاً منه سنة ١٣٦ هـ .

قيل له : فاطلبُ . قال : إِنْ الْمَسْلُوكُ لَا يَطْلُبُ إِلَّا
 بِرُكُوبِ الْأَهْوَالِ . قيل : فاركبِ الْأَهْوَالِ : قال :
 هيهاتَ . العقلُ مانعٌ من ركوبِ الْأَهْوَالِ . قيل فَمَا
 تصنعُ وَأَنْتِ تَسْبُلِيْ حَسْرَةً وَتَذُوبِ كَمْدًا؟ قال : سَأَجْعَلُ
 مِنْ عَقْلِي بَعْضَهُ جَهْلًا ، وَأَحَاوِلُ بِهِ نَحْطَرًا ، لِأَنَالَ
 بِالْجَهْلِ مَسَالًا يُنَالُ إِلَّا بِهِ . وَأَدَبَّرُ بِالْعَقْلِ مَا لَا يَحْفَظُ
 إِلَّا بِقُوَّتِهِ ، وَأَعِيشُ عَيْشًا يُسَبِّحُ مَكَانَ حَيَاتِي فِيهِ مِنْ مَكَانٍ
 مَسَوْتِي عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْخَمُولَ أَنْحُو الْعَدَمَ وَالشَّهْرَةَ أَبُو الْكُونِ .
 قال رجلٌ من أهل العراق : أوصاني أبو مُسْلِمٍ
 وَأَنْسَنِي ، ثُمَّ سَأَلَنِي ، فَقَالَ : أَيُّ الْأَعْرَاضِ أَدْنَى ؟
 فَقُلْتُ : عَرِضٌ بِخَيْلٍ . قال : كَلَّا . رَبُّ بَخْلٍ لَمْ يَكْتَمِ
 عَرِضًا . قلت : فَأَيُّهَا أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ؟ قال : عَرِضٌ لَمْ
 يَسْرِعْ فِيهِ حَرْبٌ وَلَا دَمٌ .

قال أبو زيد : سمعت رُؤْبَةَ (١) يقول : مارأيت أروى
 لأشعارنا من أبي مُسْلِمٍ من رجل يرتضخ لُكْنَةً . قال أبو زيد :
 وإذا قال رُؤْبَةُ لرجل يرتضخ لُكْنَةً فهو من أفصح الناس .

(١) رُؤْبَةُ بن العجاج المصري التيمي السعدي . كان هو وأخوه من
 المدونين في الرجز ، وكان عارفاً باللغة ، وحشيها وغريبها . والرؤية :
 جريرة اللبن ، والرؤية بالهمزة : القطعة من الخشب يشعب بها الإناء ،
 توفي سنة ٨١٤٨ .

الباب السادس

كلامُ جماعةٍ مِنِ الأُمراءِ

خطب يوسفُ بنُ عُمر (١) ، فقال : اتقوا الله عبادَ
الله . فكم من مُؤمِّلٍ أُملاً لا يبلغُهُ ، وجامعٍ مالاً
يأكلُهُ ، ومانعٍ ماسوفٍ يترُكه ، ولعلَّه من باطلٍ جمَعَهُ ،
ومن حقٍّ منعه . أصابه حراما وورثه عدواً ، واحتمل
إِصرَهُ (٢) ، وباءَ بوزرِهِ ، ووردَ على رَبِّهِ آسفاً لاهفاً
خسر الدنيا والآخرة « ذلك هو الخسران المبين » (٣) .
صَعِدَ وَرْدُ بنُ حاتمِ المنبرِ ، فلما رآهم قد فتحوا
أسماعَهُمْ ، وشقُّوا أَبصارَهُم نحوه قال : نكَّسوا
رؤوسكم ، وغَضُّوا أَبصاركم ، فإنَّ أوَّلَ مركبٍ
صعبٌ ، وإذا يسَّرَ اللهُ فَتَحَ قُفُلَ تَيْسَرَ .

(١) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود
الثَّقَفي ، وهو ابن عم الحجاج .

(٢) الإِصرُ : العهد الثقيل . وأصل الإِصرُ : النقل والشد ؛ لأنها
أثقل الأيمان وأصعبها مخرجا

(٣) سورة الحج : ١١ .

كان يوسفُ بنُ عُمر يقولُ : كان الحجاجُ الدُّخَانِ
وأنا الذهبُ ؟

قام خالدُ (١) بنُ عبد الله على المنبر بواسط
خطيباً . فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم قال : أيُّها الناسُ تنافسُوا في المكارم ،
وسارعُوا إلى المغانم ، واشتروا الحمداً بالجوْد ، ولا تكسبوا
بالمطلِّ ذمّاً ولا تعتدُّوا بالمعروف ما لم تُعجِّلُوهُ ، ومهما
يكنُّ لأحدكم عند أحدٍ نعمةٌ فلم يباغِ شكرها فالله
أحسنُ لها جزاءً وأجزلُ عليها عطاءً . واعلموا أن حوائجَ
الناسِ إليكم نِعَمٌ من الله عليكم ، فلا تملأوا التَّعَمَّ
فتتحولَ نعمةً . واعلموا أن أفضلَ المالِ ما أكسبَ أجراً ،
وورثَ ذكراً ، ولو رأيتمُ المعروف رجلاً رأيتموه
حسناً جميلاً يسرُّ الناظرينَ ويفوقُ العالمينَ . ولو رأيتمُ
البُخلِ رجلاً رأيتموه مُشوّهاً قبيحاً تنفر عنه القلوبُ
وتغضبي عنه الأبصارُ . أيُّها الناسُ : إن أجودَ الناسِ من
أعطى مَنْ لا يرجوهُ ، وأعظمَ الناسِ عفواً مَنْ عفا عن
قُدرة ، وأوصلَ الناسِ من وصلَ من قطعهُ ومن لم

(١) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز القسري . ولاء
الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٥٨٩ ، وولي العراقين في عهد هشام بن عبد الملك .

يطبُ حرثُهُ لم يَزَكُ نَبْتُهُ . والأصولُ عن مغارسها تنمُو ،
 وبأصولها تسدو . أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .
 أراد رجلٌ أن يمدحَ رجلاً عند خالد بن عبد الله ،
 فقال : والله أتدُ دخلتُ إليه فرأيتُه أهدي الناس داراً
 وفرشاً وآلةً . فقال خالدٌ : لقد ذمتهُ من حيثُ أردت
 مدحهُ هذا والله . قالُ من لم تدعُ فيه شهوتهُ للمعروف
 فضلاً .

حدث بعضهم قال : لما ولى أبو بكر بن عبد الله
 المدينة وطال مكثهُ عليها كان يبليغهُ عن قوم من أهلها
 تناولوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 وإسعاف من آخريين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات
 ووجوه الناس في يوم الجمعة أن يقرُبوا من المنبر ، فلما
 فرغ من خطبة الجمعة قال : « أيُّها الناسُ : إنِّي قائلٌ
 قولاً ، فمن وعاهُ وأداهُ فعلى الله جزاؤه ومن لم يعه فلا
 يبعدَ من ذمِّ مهديا قصرتم عنهُ من تفصيله فإن تعجزوا
 عن تحصيله ، فارعوه أبصاركم ، وأوعوه أسماعكم ،
 وأشعروهم قلوبكم ، فالموعظةُ حياةُ المؤمنين

إِخْوَةٌ . وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ . وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١) فَأَتُوا الْمَدَى نَهْتًا وَاجْتَنِبُوا الْغِيَّ تَرشُدُوا «(وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)» (٢) .
 والله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه أمركم بالجماعة ،
 ورضيها لكم ، ونهاكم عن الفرقة ، وسخطها منكم
 «(اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون .
 واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة
 الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألقتَ بين قلوبكم فأصبحتم
 بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النارِ فَأَنْقَذَكُمْ
 منها)» (٣) جعلنا الله وإياكم ممن تتبَّع رضوانه ، وتجنب
 سخطه ، فإنما نحز به وله .

إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين ،
 واختاره على العالمين ، واختار له أصحاباً على الحق ،

(١) يقتبس من الآية ٩ من سورة النحل « وعلى الله قصد السبيل
 ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين » .

(٢) سورة النور : ٣١ . واؤها : « وقل للمؤمنات يفضن من
 ابصارهن ... » .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣ .

ووزراء دون الخاق ، اختصهم به ، وانتخبهم له ،
 فصداقوه ، ونصروه ، وعزروه (١) . ووقروه ، فلم
 يُتدَمِّمُوا إِلَّا بِأَمْرِهِ ، ولم يُحْجِجُوا إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ ، وكانوا
 أعوانه بعهد ، وخلفاءه من بعده ، فوصفهم فأحسن
 صفتهم ، وذكرهم فأثنى عليهم . فقال وقوله الحق :
 «(محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداء على الكفارِ رُحَمَاءُ
 بينهم تراهم رُكُوعاً سُجُوداً يَبْتَغُونَ فَضلاًً من الله
 ورضواناً سِيِّمَاهُمْ في وجوههم من أثر السُّجُودِ ذلك
 مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرعٍ أُخْرِجَ
 شَطَأَهُ فَأَزْرَهُ فَاسْتَغَاظَ فَاسْتَوَى على سوقه يُعْجَبُ الزُّرَّاعَ
 لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وعدَّ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ
 منهم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)» (٢) .

فس غاظوه فقد كفر ، وخاب ، وفجر ، وخسر ،
 وقال عز وجل : ((للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من
 ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون
 الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا

(١) عزروه : نصروه وقروه .

(٢) سورة الفتح : ٢٩ .

الدارَ والإيمانَ من قبلهم يُخبِّونَ مَنْ هاجرَ إليهم ولا يجدونَ في صدورهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرونَ على أنفسهم ولو كانَ حِمٌّ خاصَّةً" ومن يوقَ شُحَّ نفسه فأولئك همُ المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفرْ لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعلْ في قلوبنا غلاةً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوفٌ رحيمٌ» (١)

فمن خالف شريطة الله عليه لهم ، وأمره إياه فيهم ، فلا حتى له في الفيء ، ولا سبهم له في الإسلام في آي كثيرة من القرآن . فمَرَقَتْ مَارَقَةٌ من الدين وفارقوا المسلمين ، وجعلوهم عِضِينَ (٢) وتشعبوا أحزاباً أشابات (٣) ، وأوشابا ، فخالقوا كتاب الله فيهم ، وثناه عليهم ، وأذوا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيهم ، فخابوا ، وخسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخمران الميين . «(أقمن كان على بيئته من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم)» (٤) .

(١) سورة الحشر : ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٢) عِضِينَ : العضة - كعدة : الفرقة ، والقطعة ، والكذب .

(٣) أشابات : الأشابة - بالضم : الأخلاط ، ومن الكسب :

ما خالطه الحرام .

(٤) سورة محمد : ١٤ .

وقال قتيبة^١ : إن الحريصَ يستعجلُ الذلةَ قبلَ
إِدراكِ البُغيةِ .

أهدى عبيد الله بن السدي إلى عبد الله بن طاهر
لما ولي مصرَ ، مائةَ وصيفٍ ، مع كلِّ وصيفٍ ألفُ
دينارٍ ، ووجهَ بذلك ليلاً . فردّه ، وبعثَ إليه :
لو قبلتُ هديتكَ ليلاً لقبلتها نهاراً وما ((آتاني اللهُ خيرٌ
مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون)) (١) .

قال المأمونُ لطاهرِ بنِ الحسينِ : صف لي عبدَ الله
ابنك . قال : إن مدحته هجته ، وإن هجوته ظلمته .
ولدت الناسُ ابناً ، وولدت ابناً يُحسِن ما أحسن ولا أحسن
ما يحسن .

وليّ عبدُ الله بن طاهر رجلاً بريد ما وراء النهر ،
فكتب إليه : إنَّها هنا قوماً من العرب قد تَعَصَّبُوا ،
وثأَّشَبُوا (٢) ، وأظنُّ أمرهم سيرتقي إلى ما هو أغلظ منه .

(١) سورة النمل ٣٦ . وأولها « فما آتاني .. » .

(٢) تأشَبُوا : اجتمعوا واختلطوا .

فكتب إليه عبدُ الله : إنما بُعثتَ للأخبار السابقةِ
والحوادثِ الظَّاهِرةِ لا للكهانةِ والنَّظَنِي (١) .

قال عبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ طاهر : لا ينقضِي عَجَبِي
من ثلاثة : إفلاتِ عبَّاس بنِ عمرو من القرمطيِّ ،
وهلُكِ أصحابه ، ووقوعِ الصغارِ ، وإفلاتِ أصحابه .
وولايةِ ابنيِ الجسرَيْنِ وأنا متعطلٌ .

وقال محمدُ بن عبدِ الله بن طاهر لولده . عِفُّوا
تشرُّفوا ، واعشقوا تَطَرُّفوا

وقال عبيدُ الله بن عبدِ الله في عِلته : لم يبق علي من
بأسِ الزمانِ إلا العلةُ والخَلَّةُ (١) وأشدُّهما علي أھونُهما
على الناسِ . ولأنَّ ألمَ جسمي بالأوجاعِ أھون عليَّ من ألمِ
قلبي للحقِّ المُضَاعِ .

جرى ذكرُ رجلٍ في مجلسِ ساسمِ بنِ قتيبة (٢) ،

(٣) التظني : إعمال الظن ، وهو اتهام الإنسان بلا دليل ، والكهافة
القضاء بالغيب .

(١) الخلة : الحاجة والفقير ، والخصاصة .

(٢) سلم بن قتيبة : هو سلم بن قتيبة الباهلي الحرساني ، أبو عبد الله :
ولي البصرة لي زيد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان بن محمد ، ثم وليها
في أيام أبي جعفر المنصور ، فكان من الموثوق بهم في الدولتين (الأموية
والعباسية) وكان من عقلاء الأمراء ، عادلا حسنت سيرته ، ومات بالري .

فقال منه بعضهم ، فأقبل ساسم فقال : يا هذا ؛ أوجستنا
من نفسك ، وأياستنا من مودتِك ، ودكلمتنا على عورتِك .
قال بعضهم : كنت عند يزيد بن حاتم بإفريقية ،
وكنت به خاصاً فعرضَ عليه تاجرٌ أدراعاً ، فأكثر
تقليبها ، ومزاولة صاحبها . فقلت له : أصاح الله الأمير .
فعلام تلوم السوق ؟ فقال : ويحك ! ! إني لست
أشتري أدراعاً إنما أشتري أعماراً .

قال المأمون لطاهر بن الحسين : أشر عليّ بإنسان
يكفيني أمر مصر والشام . فقال له طاهر : قد أصبته .
قال : من هو ؟ قام : عبدُ الله ابني ، وخادمك ،
وعبدك . قال : كيف شجاعته ؟ قال : معه ما هو خير
من ذلك . قال له المأمون : وما هو ؟ قال : الحزم .

قال : فكيف سخاؤه ؟ قال : معه ما هو خير من
ذلك . قال : وما هو ؟

قال : التنزُّه وخيِّفُ النفسِ .

مرضَ عبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ طاهر ، فركبَ
إليه الوزيرُ ، فلما انصرف عنه كتب إليه عبدُ الله :

ما أعرف أحداً جزى العليّة خيراً غيري ، فأني جزيتها
الخير ، وشكرتُ نعمتها علي ، إذ كانت إلى رؤيتك
مؤديةً .

وكتب المؤمنُ إلى طاهر يسأله عن استقلالِ ابنه
عبدِ الله .

فكتب طاهرٌ إليه : عبدُ الله — يا أميرَ المؤمنين —
ابني . وإن مدحتُه ذمتهُ وإن ذمتهُ ظلمتهُ . ولنعم الخائفُ
هو لأمير المؤمنين من عبده .

فكتبَ إليه المؤمنُ : ما رضيتَ أن قرظتهُ في
حياتك حتى أوصيتنا به بعدَ وفاتك .

قال طاهرٌ : طولُ العمرِ ثائرُ (١) مولاه لأنه لا
يُخْلِيكَ من رؤيةِ محبةٍ في عدو .

قال الكلبيُّ : قال لي خالدُ بنُ عبدِ الله بنِ يزيد
القسري : ما يُعدُّ السُّوددُ فيكم ؟ فقلتُ : أما في
الجاهليةِ فالرياسةُ ، وأما في الإسلامِ فالولايةُ ، وخيرٌ من
هذا وذاك التقوى .

(١) الثائر : من لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره . والمراد أن طول
عمر الإنسان يتيح له التشنج من خصومه لما ينزل بهم من مكروه .

فقال لي : صدقت .

كان أبي يقول : لم يُدرك الأولُ الشرفَ إلا بالفعل ،
ولا يُدركُ الأخيرُ إلا بما أدرك به الأولُ .

قال : فقلت : صدقَ أبوك . ساد الأحنفُ بجممه ،
وساد مالكُ بنُ مِسمعٍ بمحبة العَشِيرَةِ له ، وساد قُتَيْبَةُ
بدهائه ، وسادَ المهاسِبُ بجميع هذه الخِلال .

فقال لي : صدقت . كان أبي يقولُ : خيرُ الناسِ
لِلنَّاسِ خَيْرُهُمْ لِنَفْسِهِ . إنه إذا كان كذلك أبقى على نفسه
من السرِّقِ لثلاثِ يَتَّقِع ، ومِن القَتْلِ لثلاثِ يُقَاد ، ومِن
الزَّنى لثلاثِ يُحَد ، فسكِّمَ النَّاسُ مِنْهُ بِأَبْقَائِهِ عَلَى نَفْسِهِ .

قيل : وكان عبدُ اللهِ بنُ يزيدَ أبو خالدٍ مِن عقلاء
الرِّجال .

وقال له عبدُ الملكِ يوماً : ما مالكُ ؟ فقال : شيطان
لا عَيْلَةَ (١) عليَّ معهما : الرِّضا عن الله عزَّ وجل ،
والغنى عن الناس .

(١) لا عيلة : العيلة : الفقر .

فلما نهض من بين يديه قيل له : هلا خبرته بنقدار
ماليك ؟

فقال : لم يعدد أن يكون قليلاً فيحقرني ، أو
كثيراً فيحسدني .

وقيل انصر بن سيار (١) : إن فلاناً لا يكتبُ .
فقال : تلك الزمانة الخفية (٢) .

وقال : أولاً أن عمر بن هبيرة كان بدويّاً ما ضبط
أعمال العراق ، وهو لا يكتبُ .

اعتذر رجل إلى مسلم بن قتيبة من أمر بلغه عنه ،
فغدره ثم قال له : يا هذا : لا يحملنك الخروج من أمر
تخلصت منه على الدخول في أمر نعلك لا تتخلص منه .

وقال مسلم بن قتيبة : الشباب الصّحة ، والسّلطان
الغنى ، والمروءة الصبر على الرجال .

وقال خالد بن عبد الله القسري : يُحمد الجودُ

(١) هو نصر بن سيار بن أبي رافع بن ربيعة الليثي قلده هشام
أمر خراسان .

(٢) الزمانة الخفية : الزمانة : العاهة ، والمراد العيب المستمر
الذي لا يبرء منه .

مَسْلَمٌ يَسْبِقُهُ مَسْأَلَةٌ وَمَالٌ يَتَّبِعُهُ مَنْ ، وَلَمْ يُزْرَ بِهِ قُصُورٌ ، وَوَأَقُّ مَوْضِعِ الْحَاجَةِ .

قال الرشيدُ لسعيد بن سَلَمٍ : يا سعيدُ ، مَنْ بَيْتُ قَيْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين . بَنُو فِزَارَةَ . قال : فَمَنْ بَيْتُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ؟

قال : يا أميرَ المؤمنين : الشَّريفُ مَنْ شَرَفْتُمُوهُ . قال : صدقتَ : أَنْتَ وَقَوْمُكَ .

قال بعضهم : رَأَيْتُ نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ (١) عَلَى الْمَنْبَرِ بِسَرِّ نَحْسٍ (٢) . وَقَدْ حَسَرَ ذِرَاعِيهِ — وَكَانَ أَشْعَرَ طَوِيلَ السَّاعِدَيْنِ — وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنِي عَنْ آبَائِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ : مَا مِنْ أَحَدٍ أَنْعَمَ عَلَى قَوْمٍ نِعْمَةً فَكَفَرُوا نِعْمَتَهُ ، فَدَعَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِلَّا أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ .

(١) نصر بن سيار : أحد ولاية مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وكان نصر واليا على إقليم خراسان . وفي أيامه قام أبو مسلم الخراساني يدعوا لبني العباس ، فأرسل نصر إلى مروان يخبره بأمره في رسالة طويلة .

(٢) سرخس : مدينة قديمة من نواحي خراسان بين نيسابور ، ومرو .

اللهم إنَّكَ تعلمُ أنِّي أحسنتُ إلى آلِ بسَّام فكفروا
نعمومي .

اللهمَّ افعل بهم . ودعنا عليهم :

قال : فإمَّ يَحُلِّجِ الحولُ وعلَى الأرضِ منهم عين
تطرف (١) ، وكانوا سبعين رجلاً ، كلُّهم قد ركبَ الحيلَ
كان أبو هبيرة يقول : أعوذ بك من كلِّ شيطان
مُستعربٍ وكل نبطيٍّ مُستعربٍ .

خطب بلالُ بنُ أبي بُردةَ بالبصرة ، فعرَّف
أَنهم قد استحسنوا كلامه . فقال : لا يمنعَنَّكم أقبحُ
ما تعلمون فينا أن تقبلوا أحسنَ ما تسمعون منا .

* * *

(١) كناية عن فنائهم .

الباب السابع

فضولُ الكتّابِ والوزراءِ وتوقيعاتُ ونكتُ
من كلامِهِمْ وتوادِرُهُمْ

أمرَ المأمونُ أحمدَ بنَ يوسفَ (١) أن يكتبَ في
الآفاق بتعليقِ المصاييحِ في المساجدِ في شهرِ رمضان . قال :
فأخذتُ القُرطاسَ لأكتبُ ، فاستعجمَ عليّ ، ففكّرتُ
طويلاً ، ثم غشيّتنى نعسَةٌ ففيل لي : أكتبُ : فإنَّ
في كثرةِ المصاييحِ إضاعةٌ للمتجهِّدين ، وأنساً
للسَّابِلةِ (٢) ، ونفياً لمكاسنِ الرِّيبِ ، وتنزيهاً لبيوتِ اللّهِ
عن وحشةِ الظُّلمِ .

أهدى سعيدُ بنُ حمّيسٍ إلى المأمونِ في يومٍ

(١) هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن بلجم ،
كاتب المأمون ، وكان عالي الطبقة في البلاغة . ووزر للمأمون بعد أحمد بن
أبي خالد .

(٢) السابِلة : أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم .
والجمع السوابل .

مهترجان خوان جزع (١) ، واتخذ ميلاً من ذهب بقدر ،
وحمله معه . وكتب إليه : قد أهديتُ إلى أمير المؤمنين
خوان جزع ميلاً في ميل . فاستحسن ذلك وقبله .

وقَعَ جعفر بن يحيى (٢) في رُقعةٍ مُتحرِّمٍ به :
هذا فتى له حرمةُ الأمل ، فامتحنه بالعمل ؛ فإن كان
كافياً فالسلطانُ له دوننا ، وإن لم يكن كافياً . فنحنُ له
دونَ السُّلطانِ .

كتبَ أحمدُ بنُ يوسفَ إلى إسحاق الموصلي (٣) -
وقد زاره إبراهيمُ بنُ المهدي : عندي مَنْ أنا عنده ،
وحجَّتْنا عليك لإعلامنا إياك ذلك . قد آذنتُك .

(١) خوان جزع : يقصد مائة مطلية باللون الأصفر ، أو مائة
ذات تقاسيم .

(٢) جعفر بن يحيى : هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن
برمك ، وزير هارون الرشيد . ولما قتله الرشيد رثاه الشعراء بقصائد
كثيرة تدل على شدة حزنهم عليه ، وأملهم لديه . وكان قتله سنة ١٨٧ هـ .

(٣) إسحاق بن إبراهيم الموصلي : يكنى أبا محمد عالم أديب راوية
للشعر بارع بالغناء والموسيقى .

فصل لأحمد بن يوسف .

أكثر من يلجأ إلى الخيلة من عجز عن المبادأة
والإصحار (١) ؛ وأكثر من يروم المنايذة من قصر
عن لطيف الخمدع ، وختمي الاستدراج . والقصد
مؤد إلى الرشده .

تأخر إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن إبراهيم
ابن المهدي ، فكتب إليه : لا عذر لك في التأخر عني ؛
فإنني لا أخلو من حالين : سخط أمير المؤمنين علي
فهو لا يكره أن يضررتي ، أو رضاه عني فهو لا يكره
أن يسرني .

أمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب كتاب
عناية ، ويوجز . فكتب : كتابي كتاب واثق بمن كتبت
إليه ، معني بمن كتبت له ، ولن يضيع بين الثقة
والعناية موصله .

كتب أحمد بن يوسف إلى صديق له : كتبت إليك
في الظهر تفاؤلاً بأن يظهر لك الله على من ناوك ،
ويجعلك ظهراً لمن ولاك .

(٢) الأصحار : أصح : دخل الصحراء .

كتب بعضهم إلى رئيس : تختم كُتُبِكَ لِأَنَّهَا
مَطَايَا الْبِرِّ ، وَلَا أَخْتَمُهَا لِأَنَّهَا حَوَامِلُ الشُّكْرِ .

وَقَعَ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى إِلَى عَامِلٍ لَهُ : وَأَنْصَفَ مِنْ
وَكَيْتِ أَمْرِهِ ، وَإِلَّا أَنْصَفَهُ مِنْكَ مَنْ وَلِيَ أَمْرَكَ .

وَقَعَ أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ فِي قِصَّةٍ مُتْظَلِمٍ : اِكْتَفَيْ
أَمْرًا هَذَا . وَإِلَّا كَفَيْتَهُ أَمْرَكَ .

استشهد ابنُ الفُرَاتِ (١) فِي أَيَّامِ وَزَارَتِهِ عَلِيَّ بْنَ
عِيْسَى ، فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ لَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ :
لَا تَلْمِئْنِي عَلَى نَكُوصِي عَنْ نُصْرَتِكَ بِشَهَادَةِ زُورٍ ،
فَإِنَّهُ لَا اتِّفَاقَ عَلَى نِفَاقٍ . وَلَا وِفَاءَ لِنَدِي مَيْنٍ (٢)
وَإِخْتِلَاقٍ . وَأَحْرَبَ بِمَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ فِي مَسْرَّتِكَ إِذَا رَضِي ،
أَنْ يَتَعَدَّى إِلَى الْبَاطِلِ فِي مَسَاءَتِكَ إِذَا غَضِبَ . وَالسَّلَامُ .

وَقَعَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ (٣) فِي ظَهْرِ رُقْعَةٍ : إِذَا

(١) ابن الفرات : هو الفضل بن جعفر بن الفضل بن الفرات ،
أبو العباس ، وزير من بيت فضل ورياسة ، ووزارة .

(٢) المين : الكذب .

(٣) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، وكان صول رجلا
من الأتراك ففتح يزيد بن المهلب بلده ، وأسلم على يديه .

كان للمُحسِنِ من الحقِّ ما يقنعه ، وللمسيءِ من النكالِ ما يقمعه ، بذلَّ المُحسِنُ الحقَّ رغبةً وانقادَ المسيءُ له رهبةً .

كتب القاسمُ بنُ عبَّيدِ اللّهِ الكرميُّ إلى بعضِ الوُزراءِ : ولي فيما جدَّدَ اللّهُ من هذه النعمةِ للوزيرِ من بلوغِ النهايةِ ، ما انتزعتهُ من كتابِ اللّهِ تعالى في قوايه : «(اليومَ أكملتُ لكم دينكمُ وأتممتُ عليكم نعمتي)» (١) . وقد علمتُ أنَ دينَ اللّهِ بعد نزولِ هذه الآيةِ لم يزلْ نامياً عالياً على كلِّ دينٍ ، وأنه إنما ضربَ بجزائدهِ وقهراً الأسمَ شرقاً وغرباً بعد كماله .

وقع ذوُ الرياستين (٢) إلى طاهرِ بنِ الحسينِ : يا نصفَ إنسانٍ . واللّهُ لتنَّ أمرتُ لأنفذنَّ ، ولئنْ أنفذتُ لأبرمَنَّ ، ولئنْ أبرمتُ لأبسنَنَّ .

فأجابهُ : أنا — أعزك اللّهُ — كالأمّةِ السوداءِ ،

(١) سورة المائدة : ٣ . وأوطأ : « حرمت عليكم الميتة .. » .

(٢) ذوُ الرياستين : لقب لقب به المأمون الفضل بن سهل . ومعنى ذلك رياسة الحرب ورياسة التدبير . وعقده له المأمون على سنان ذي شعبتين .

إن حمل عايبها دمدمت (١) وإن رُقِّه عنها أشرت (٢) :
وإن عوقبت فباستحقاق ، وإن عَفِيَّ عنها فبإحسان .

كتب إبراهيم بن العباس إلى أهل حِمصَ :
أمّا بعدُ فإن أمير المؤمنين يرث من حقّ الله عليه
استعمال ثلاثٍ يُقدّمُ بعضهنَّ على بعض : الأولى
تقديمُ تنبيهٍ وتوجيهٍ ، ثم ما يستظهرُ به من تحذيرٍ وتخويفٍ .
ثم التي لا ينفَعُ لحسَمِ الداءِ غيرها .

أناةٌ فإن لِمِ تُخَنِّ أعقبَ بعدَها
وعِيداً فإن لم تُجِدِ أغنتُ عزائمهُ
ويقالُ : إنَّ هذا أوَّلُ كتابِ صدرَ عن خليفة
من بني العباس وفيه شعيرٌ .

وقيل : إن إبراهيم بن العباس لم يتعمّدْ أن يقول
شعراً ، ولكنّه لما رآه موزوناً تركه .

(٢) دملمت : هلكت .

(٣) الأثر : البطر وكفر النعمة .

وَقَعَ جَوْهَرُ (١) مَوْلَى الْفَاطِمِيِّينَ لَمَّا افْتَتَحَ مِصْرَ
فِي قِصَّةِ رَفَعِهَا إِلَيْهِ أَهْلِهَا : سُوءَ الْاحْتِرَامِ أَوْقَعَ بِكُمْ
حُسُولَ الْإِنْتِقَامِ . وَكَفَرُ الْإِنْعَامِ أَخْرَجَكُمْ مِنْ حِفْظِ
الدِّمَامِ : فَالْوَجِبُ فِيكُمْ تَرْكُ الْإِيجَابِ ، وَاللَّازِمُ
لَكُمْ مَلَاذِمَةُ الْاجْتِنَابِ ؛ لِأَنَّكُمْ بَدَأْتُمْ فَأَسَأْتُمْ ، وَعَدْتُمْ
فَتَعْدَيْتُمْ . فَابْتَدَأُواكُمْ مَسَامُومٌ ، وَعَوَّدَكُمْ مَذْمُومٌ ،
وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا فُرْجَةٌ تَقْتَضِي إِلَّا الدَّمَ لَكُمْ ، وَالْإِعْرَاضُ
عَنْكُمْ لِيَرَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - رَأْيَهُ فِيكُمْ .

كُتِبَ عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ إِلَى الْمَوْصِلِيِّ : مَا أَدْرِي كَيْفَ
أَصْنَعُ ؟ أَغَيِّبُ فَأَشْتَاقُ ، وَأَأْتِي فَلَأَشْتَنِفِي . ثُمَّ سَيُحْدِثُ
لِي اللَّقَاءَ نَوْعاً مِنَ الْحُرْقَةِ ، لِلْوَعَةِ الْفَرْقَةِ .

كُتِبَ آخِرُ : مِنَ الْعَجَبِ إِذْ كَانَ مُعْنَتِي (٢) ،
وَحَثُّ مَتَيْقِظٍ ، وَاسْتِبْطَاءُ دَابِيرٍ إِلَّا أَنْ ذَا الْحَاجَةِ
لَا يَدَعُ أَنْ يَقُولَ فِي حَاجَتِهِ .

(١) هُوَ جَوْهَرُ الصَّقَلِيِّ الْقَائِدِ الَّذِي أَرْسَلَهُ الْمَعزُ لِدِينِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ
لِفَتْحِ مِصْرَ ، فَفَتَحَهَا ، وَبَنَى الْقَاهِرَةَ ، وَالْجَامِعَ الْأَزْهَرَ ، وَبَعْضَ الْقُصُورِ .
وَقَدْ تَوَفَّى بِالْقَاهِرَةِ .

(٢) الْمَعْنَى : الْمَهْمُومُ .

كتب بعضهم إلى ابن الزيات (١) : إن ميمًا يطمعني
في بقائنا عليك ويزيدني بصيرة في دوامها لك ، أنك أخذتها
بجنتك ، واستدأمتها بما فيك من أسبابها . ومن شأن
الأجناس أن تتقاوم ، والشيء يتقلقل إلى معدنه ، ويحن
إلى عنصره ، فإذا صادف منبته ركن في مغرسه ،
وضرب بحريره ، وسمق بفرعه ، وتمكن للإقامة ،
وثبت ثبات الطبيعة .

آخر : إلى ابن خاقان (٢) : رأيتني فيما أتعاطى من
سدحك كالمخير عن ضوء النهار الباهر ، والقمر
الزاهر ، الذي لا يخفى على ناظر ، وأيقنت أنني حيث
أنتهى من القول منسوب إلى العجز ، مقصّر عن الغاية ،
فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ، ووكلت
الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

(٣) ابن الزيات : هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن
حمزة المعروف بابن الزيات من أهل الأدب وقد كان وزيراً للمعتصم .

(٢) ابن خاقان : هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان
الإشبيلي ، صاحب كتاب فرائد العقيان . وكلامه في كتبه يدل على غزارة
فضله وسعة مادته وقد توفي سنة ٥٣٥ هـ بمدينة مراکش .

كتب الحسن (١) بن وهب إلى صديق له يدعو :

افتتحت الكتاب - جعلني الله فداك - والآلات
معدة ، والأوتار ناطقة ، والكأس محثوثة ، والجو
صاف ، وحواشي الدهر رفاق ، ومخايل السرور لائحة ؛
ونسأل الله إتمام النعمة بتمام السلامة من شوب العوائق ،
وطروق الحوادث ، وأنت نظام شمل السرور ، وكمال
بهاء المجلس . فلا تخترم (٢) ما به يمتنظم سروري وبهاء
مجلسي .

كاتب : قد أهديت لك مودتي رغبة ، ورضيت
منك بقبولها مثوبة ، وأنت بالقبول قاضٍ لحق ، ومالك
لرق .

كاتب : كان لي أملان : أحدهما لك ، والآخر
بك ، أما الأمل لك فقد بلغته ، وأما الأمل بك فأرجو
أن يحققه الله ويوشكه .

(١) هو الحسن بن وهب بن سعد ، شاعر كاتب مرسى فصيح أديب .

(٢) اخبرهم الدهر وتخرمهم : اقتطعهم واستأصلهم . والمراد :

لا تخرمني طلعتك التي هي سبب سروري وزينة مجلسي .

آخر : ودعتُ قلبي بتوديعك ، فهو يتصرفُ
بتصرفك ، وينصرفُ بِمُنْصَرَفِكَ .

آخر : قد كنتَ لنكباتِ الدهرِ مُستعداً ، ولغدَراته
متحرِّفاً (١) ، فهل زاد على أنْ صدقَكَ عن نفسه ،
وأثاكَ بما كنتَ عالماً أنه يأتيك؟ فكيف تجزعُ وأنت تعلمُ
أنه ليسَ لما وقعَ مرَدٌّ ولا لما ذهبَ مُرتجعٌ ؟

تهنئة بابنة : ربَّ مكروهٍ أعقبَ مَسْرَةً ، ومحبةٍ
أعقبَ معرَّةً ، وخالقِ المنفعةِ والمضرةِ أعلمُ بمواضعِ
الخيرِة .

آخر : إنه ليربِّصُ بكَ الدوائرَ ، ويتمنَّى لكَ
الغوائلَ (٢) ، ولا يؤمِّلُ صلاحاً إلا بفسادِ حالِك ، ولا رفعةً
إلا بسقوطِ قدرِك .

فصل : حَسَرَ الدهرُ عن تجمُّلي قِنَاعَ القِنَاعَةِ ،

(١) أي صاداً لغدرات الزمان . يقال : نحرف وحارفه بسوء : جازاه .

(٢) الغوائل : الدواهي ، والمفرد غائلة .

ولكنني - مع الظماً عن دَنِّيِّ الموارد - نافرٌ ، ومع الفاقةِ
بغنيِّ النفس مُكاثِر .

فصل : من تهنئة بإملاك : وكيف يرتاع لهجوم
غُرْبَةٍ ، أو يجاور توحُّش نُقْلَةٍ مَنْ لَمْ يقطعهُ اتصاليه بي
عنك ، ولا باعده انتقاله إليَّ منك ، فهو مخاطبٌ على البعد
بألفاظك ، مرموقٌ بالمرآعة من الحاظك ، غير نازح
عما أَلِفَهُ من عَوَاطِفِ الوِلادَةِ ، ورأفةِ التربيَةِ ،
وانبساطِ الأنسَةِ ، والله يُسَعِدُهَا بمن سارتَ إليه كما
سُرَّتْ بها من وفدتَ عليه ، ويسُرِّني من المحبَّةِ فيها مثل
ما أُرانيه من المحبَّةِ بها ، وكيف يُوصِي الناظرُ بنوره ،
أم كيف يُحضُّ القابِ على حفظِ سروره .

وُجدني كتاب بلعفر بن يحيى أربعة أسطرٍ بالذهب :
الرزقُ مقسومٌ ، والحريصُ محرومٌ ، والبخيلُ مذمومٌ ،
والחסودُ مغمومٌ .

قال منصورٌ بنُ زياد (١) الكاتبُ : للمعلّي بن

(١) منصور بن زياد الكاتب : أديب معاصر ليحيى بن خالد وكان
على صلة طيبة به .

أَيُّوبَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَبْدُلُ ، وَإِنِّي لَأَقْدِرُ وَإِنِّي لَأَخْتَارُ ،
وَإِنِّي لَأَسْتَشِيرُ ، وَإِنِّي لَأَحِبُّ مَعَ طَيْبِ الْخَبْرِ ، وَحَسَنِ
الْمَنْظَرِ ، وَإِنِّي لَأَعْشَقُ الْبَهَاءَ كَمَا تَتَعْشَقُ الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءَ ،
وَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ لَأَدْخُلُ دَارَكَ فَأَحْقِرُ كُلَّ شَيْءٍ فِي دَارِي .
فَمَا الْعِلَّةُ ؟ قَالَ : أَوْ مَا تَعْلَمُ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ لِأَنِّي
أَقْدَمُ غَنَى مِنْكَ .

كَانَ نَقَشُ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الْجِرَّاحِ (١) : مِنْ
نَمِّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ .

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ (٢) : سَأَلْتُ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ
حَاجَةً . فَقَالَ : أَشَوْقُكَ الْيَوْمَ بِالْوَعْدِ ، وَأَحْبَبُكَ غَدًا
بِالْإِنجَازِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ يُحْيَى بْنَ خَالِدٍ يَقُولُ : الْمَوَاعِيدُ
شَبَكَةٌ مِنْ شِبَاكِ الْكِرَامِ ، يَصِيدُونَ بِهَا مُحَامِدَ الْأَحْرَارِ
وَلَوْ كَانَ الْمُعْطِيُّ لَا يَبْعِدُ ، لَارْتَفَعَتْ مَفَاخِرُ إِنجَازِ
الْوَعْدِ ، وَنَقَصَ فَضْلُ صِدْقِ الْمَقَالِ .

(١) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الْجِرَّاحِ ، وَوُلِدَ عَامَ ٢٤٣ هـ ،
وَتَوَلَّى الْوِزَارَةَ لِلْخَلِيفَةِ ابْنِ الْمُعْتَزِ وَقَدْ اشتهر بِأدبه . وَمَاتَ سَنَةَ ٢٩٦ هـ .
(٢) مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ : هُوَ الْمَعْرُوفُ بِصَرِيحِ الْغَوَانِي . وَكَانَ مِنْ أَشْعَرِ
شُعْرَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ .

ووقع الفضلُ إلى تميمِ بنِ مخزومة : الأمورُ بتسامها ،
والأعمالُ بنجواتيمها ، والصنائعُ باستدامتها ، وإلى الغايةِ
ما يجرى الجوادُ ، فهناك كشفتِ الخبرةُ قناعَ الشكِّ ،
فحميدُ السابقِّ ، وذمُّ الساقطِ .

كان يحيى بنُ خالدٍ : يقولُ لستَ ترى أحداً تكبرُّ
في إمارةٍ إلا وقد دلَّ على أن الذي نالَ فوقَ قدره ،
ولستَ ترى أحداً تواضعَ في الإمارةِ إلاَّ وهو في نفسه
أكبرُ مما نالَ من سلطانه .

احتاج يحيى في الحبسِ إلى شيءٍ فقيلَ له : لو كتبتَ
إلى صديقك فلانٍ فقال : دعوه يسكنُ صديقاً .

وحضرَ الفضلُ بنُ الربيعِ جنازةَ ابنِ حمدون بعدَ
نكبةِ البرامكة (١) ، فذكرتهم ، وأطراهم ، وقرظهم ،

(١) البرامكة : إحدى الأسرِ الفارسية التي نشطت في الدولة العباسية ،
وكان لها من أدها ، وكرمها وحسن سياستها ما جعلها تحترف الوزارة
لخلفاء العباسيين أول الأمر . الأمر الذي أوغر صدور الطامحين عليهم ،
فوشوا بهم إلى هارون الرشيد فبطلش بهم بطشته الكبرى وسجنهم ، وقتل
بعضهم ، وصادر أموالهم . .

وقال : كنا نعتبُ عليهم ، فصرنا نتمنّاهم ونبكي عليهم ،
ثم أنشد متمثلاً .

عتبتُ على سلّمٍ فلمّا فقدته
وجرّبتُ أقواماً بكيّتُ على سلّمٍ .

قال الفضلُ بنُ سهل : رأيت جملةَ السخّاءِ حسنَ
الظنِّ بالله ، وجملةَ البخلِ سوءَ الظنِّ بالله ، قال
الله تعالى : « (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ) » (١) . وقالُ :
« (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) » (٢) . احتجّ أن
يُكتبَ على المعتضدِ كتابٌ يشهدُ عليه فيه العُدولُ ،
فلما عُرِضتُ النسخةُ على عبيد الله بنِ سليمانَ (٣) ،
وكان ابنُ ثوابةٍ قد كتبها كما يكتبُ في الصّكّاءِ (٤)
« في صححةٍ عقله ، وجوازٍ أمره له وعليه » فضرَبَ عليه
عبيدُ الله وقال : هذا لا يجوز أن يُقالَ للخليفةِ ،
وكتبَ : « في سلامةٍ من جسده ، وأصالةٍ من رأيه » .

(١) سورة البقرة ٢٦٨ .

(٢) سورة سبأ ٣٩ . وأولها : « قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء » .

(٣) عبيد الله بن سليمان : هو أحد وزراء الموفق بن جعفر المتوكل

العباسي .

(٤) الصّكّاء : جمع صك ، وهو الكتاب ، فارسيّ معرب .

قال الحسنُ بنُ سهلٍ : لا يكسدُ رئيسُ صِناعةٍ إلاَّ
في شرِّ زمانٍ ، وأخسُّ سلطانٍ .

اعتلَّ ذو الرِّياستين بخراسانَ مدةً طويلةً ثم أبَلَ
واستقلَّ (١) وجلس للناس فدخلوا إليه وهنؤوه بالعافية ،
فأنصتَ لهم حتى تنقضى كلامهم ، ثم اندفع فقال :
إنَّ في العيالِ نِعماً لا ينبغي للعقلاء أن يجهلُوها ، منها
تمحيصُ اللذنبِ ، وتعريضُ لثوابِ الصِّبرِ ، وإيقاظُ مِينِ
الغفلةِ ، وإذكاءُ بالنعمةِ في حالِ الصحةِ ، واستدعاءُ
للتوبةِ ، وحضُّ على الصِّدقةِ ، وفي قضاءِ اللهِ وقدره
بعد الخیارُ . فانصرفَ الناسُ بكلامه ، ونسوا ما قال غيرُه .

كتبَ ابنُ الفراتِ عليَّ بنَ محمدٍ ، ومحمدُ بنُ داودَ ،
ومحمدُ بنُ عبدون رُقعةً إلى العباسِ بنِ الحسنِ الوزيرِ
يستزيدون فيها ، فوقَّعَ بخطِّ عليٍّ ظهرها « ما حَسَّ الكُفُّ
حالُ مُستزِيدٍ ، ولا فوقَّ ما أنا عليه لکم مِن مزيدٍ ،
فإن تكن الاستزادةُ من مالٍ فهو موفورٌ عليكم ،
وإن تكن من رأيٍ فالاعمالُ لکم ، ولي اسمها ،

(١) استقل : يقال : استقل القوم : ذهبوا أو ارتحلوا .

وعليّ عبثها ، وثقل تدبيرها وأقول لعليّ بن محمد من بينكم : ما يطيق نفسه تدلّلاً واعتداداً أميناً بؤسٍ . كانت هذه الاستزادة أم من بطر النعمة ، ودلال الترفّة ، ولي في أمر جماعتكم نظراً ينكشف عن قريب ، حسبي ، وحسبكم الله ونعم الحسيب .

عتب أحمد بن خالد على أحمد بن هشام في أمر كان بينهما فاعتذر إليه ، فقال ابن خالد : لا أقبل لك عذراً حتى آتي إليك . فقال : والله لئن فعلت لاستعدت عليك إلا ظلمتكم ، ولا أطمعني فيك إلا بغيتك .

قال الفضل بن يحيى لبعض المتحرّمين (١) به :
اعتذر إليك بصالح النية ، واحتج عليك بغالب القضاء .

وكتب إلى عامل له : بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد .

وقال لرجل استبطأ عنده الرشيد - وكان من أهل بيته - : إنّما شغل عنك أمير المؤمنين حتّموق أهل الطاعة دونك ، ولو قد فرغ فيهم إليك لم يؤثر من دونك عليك . فقام أبوه يحيى ، فقبل رأسه .

(١) المتحرّم . الممتنع ، من تحرّم بمعنى تمنع وتحجى .

كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر :
لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنه يرى بين نعمة
مقصورة عليه أو زيادة مُنتظرة . فقال : عبد الله
الكاتبه (١) : كيف ترى مسمع هاتين الكلمتين ؟ فقال :
كأنهما قُرطان بينهما وجهٌ حسنٌ .

وتقع جعفر بن يحيى على ظهر كتاب لعلي بن عيسى :
حبيب الله إياك الوفاء - يا أخي - فقد أبغضته ، وبغض
إياك العَدُو . فقد أحببته . إني نظرتُ في الأشياء لأجدَ فيها
ما يُشبهُك . فلمّا لم أجدُ رجعتُ إليك فشبهتُك بك .
واقدم بليغ من حسن ظنك بالأيام أن أمنتَ السلامة مع
البعثي ، وليسَ هذا من عاداتِها .

قال يحيى بن خالد : ذلُّ العزَلِ يضحكُ من
تيمهِ الولايةِ .

وقال الفضل بن مروان : إنَّ الكاتبِ مثلُ الدُّولابِ
إذا تعطلَّ تكسَّرَ .

قال المأمون لأحمد بن يوسف : إنَّ أصحابِ

(١) هو محمد بن رباح .

الصدقات تظلموا مِنك ، فقال : يا أمير المؤمنين واللّه ما رضي أصحابُ الصدقاتِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله فيهم : «(ومنهم من يَلْمُكَ في الصدقاتِ فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون)»(١) فكيف يرضون عني؟ فاستضحك المؤمنون ، وقال له : تأمل أحوالهم ، وأحسن النظر في أمرهم .

وكيَّ الرشيدُ عاملاً خراجَ طسّاسيج(٢) السواد ، فقال بلعمرِ ويحيى : أو صباه . فقال جعفرٌ : وقرّ واعمر . وقال يحيى : أنصف وانتصف . وقال الرشيدُ يا هذا : أحسن واعدل . ففضل الناسُ كلامَ الرشيدِ فقيل لهما : لم نقص كلامكما عن كلامه؟ فقال جعفرٌ : لا يعتدُّ هذا نقصانا إلا من لا يعرف ما لنا وما علينا . إنما أمرنا بما علينا أن نأمر به ، وأمير المؤمنين بما له أن يأمر به ؟

(٢) سورة التوبة : ٥٨ .

(١) الطسّاسيج : جمع طسوج - كسفود : الناحية .

قال رجلٌ ليحيى بن خالد - وكان من صنائعه - :
 إنني سمعتُ الرشيدَ وقد خرجتَ من عنده يقولُ :
 قتلني اللهُ إن لم أقتلك ، فاحتلُّ لنفسك . فقال :
 اسكُتْ يا أخي ، إذا جاء الإدبارُ كان العطبُ في الحيلة (١) .

أمَرَ يحيى كاتبين من كتّابه أن يكتبَا كتاباً في
 معنى واحد ، فكتبَا ، واختصر أحدهما ، وأطال الآخرُ ،
 فلما قرأ كتاب المختصر ، قال : ما أجدُ موضعَ مزيدٍ .
 ثم قرأ كتاب المطيل ، فقال : ما أحدُ موضعِ نقصانٍ ؟

اعتذر رجلٌ إلى أبي عبيدِ الله ، فلما أبرم (٢) قال :
 ما رأيتُ عُذراً أشبهه باستينان (٣) ذنبٍ من هذا .

قال بعضهم لابنِ الزياتِ : أنا أمتٌ إليك بجوارِي
 لك ، وأرغبُ في عطفك . فقال : أمّا الجوارُ فنسبٌ
 بين الحيطانِ ، وأمّا العطفُ والرقةُ فهما للصبيانِ والنساءِ .

(١) المراد : إذا كان الخط غير موات ، والدنيا مولية ، فالحيلة
 لمنع ذلك قد تعجل الضرر ولا تدفعه .
 (٢) أبرم : برم بالأمر : إذا ستمه فهو برم : سجر .
 (٣) سنتت السنة واستنتتها : سرتها . فهو يريد : أنه فعل الذنب ،
 وأغرى به ، وجعلها سنة لغيره .

وناظره رجل فصالحه على مال ، فقال له : عجبٌ به .
فقال الرجلُ . . . أظلمٌ وتعجيبٌ؟ قال : فصالحٌ وتأجيلٌ؟
فقال ليحيى بن خالد : غير حاجيتك . قال : فمن
يعرفُ إنخواني القُدماءَ ؟

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : أتاني كتابُ
المعتز (١) ، وكتابُ أحمد بن إسرائيل (٢) . مع رسول ،
ومعه رأسُ بَغَا وفي الكُتُب أن أنصبته على الجانيين ،
فلم أفعَل وكتبتُ إلى أحمد بن إسرائيل : قد أوجبَ
اللهُ على نُصح أمير المؤمنين من جهاتٍ : منها ما تقتضيه
الديانةُ ، وتوجبُهُ الإمامةُ ، ومنها اصطناعُ آباءه
لخدمتهم من أسلافي ، ومنها اختصاصه إيتاي بجميل رأيه ،
ومع هذا فلم أكن لأؤخر عنك رأياً مع ما أنا عليه
من المناصحة والشكر . وإنَّ الكُتُب وردت عليَّ بنصب
رأسِ بَغَا في الجانيين ، وقد أخرتُ ذلك حتى يعودَ

(١) لما كانت الفتنة بين المستعين والمعتز ، قلد المعتز وزارته جمعه
ابن محمود الجرجاني ، فلما استقام الأمر رد وزارته إلى أحمد بن إسرائيل .
(٢) بقا : أحد زعماء الأتراك الذين جلبهم الخليفة العباسي .

إِلَيَّ الْأَمْرُ بِمَا أَعْمَلُ عَلَيْهِ « وَبِغَا » فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ
 لَمْ تُسْتَهْمَسُوا فِيهِ ، وَأَخَافُ أَنْ تَتَّبِعَكُمُ الْأَتْرَاكُ عِنْدَ أَوَّلِ
 شَجَبَةٍ بِهِ ، وَيَطَالِبُوكُم بِدَمِيهِ . وَيَجْأُوا ذَلِكَ ذَرِيعَةً
 لِي لِيَقْتَاعَ سُوءٍ ، وَكَانَ الصَّوَابُ عِنْدِي أَنْ يَغْسِلَهُ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ . وَيُدْفَنُهُ وَيُظَهِّرُ حَزَنًا ،
 وَيَقُولُ : مَا أَحَبُّ أَنْ يَصَابَ صَغِيرٌ مِنْكُمْ وَلَا كَبِيرٌ ،
 وَقَالَ غَدِيَّيْ أَمْرٌ بِغَا وَلَوْ وَصَلَ إِلَيَّ لَزِدْتُ فِي مَرْتَبَتِهِ ،
 وَمَا يُشْبَهُ هَذَا .

فورد عليّ كتابُ أحمد بن إسرائيل يشكر ما كان
 مني ويخالف أنه سبقني إلى هذا الرأي ، واجتهد فيه فما
 أمكنه إلا أن يفعل ما فعل ، ولم يقبل قوله . وفي آخر
 كتابه : واعلم أنه قد حدث بعدك وهو مما لا نعرفه
 نحن ، ولا أنت - رأيٌ للحرم والخدم يهمل ويعمل
 عليه ، وهذا فتح للخطأ وإخلاق للصواب فانصب الرأس
 قابلاً ، ثم أنفذه إلى خراسان .

كُتِبَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى أَنَّ صَاحِبَ الطَّرِيقِ قَدْ
 اشْتَطَّ فِيهَا يَطَالِبُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَوَقَعَ جَعْفَرٌ : هَذَا رَجُلٌ

منقطعٌ عن السلطان ، وبين ذُوبان (١) العَرَبِ ، بحيثُ
العددُ والعدَّةُ ، والقلوبُ القاسيةُ ، والأُنوفُ الحديّةُ ،
فليُمدّدْ من المالِ بما يَسْتَصْلِحُ به من معه ليدفعَ به عبوهُ
فإن نفقاتِ الحروبِ يَسْتَظْهَرُ لها ولا يَسْتَظْهَرُ عليها (٢) .

وأكثرَ الناسِ سُكِيّةٌ عاملٍ فوقَ إليه في قصَّتْهم يا هذا
قد كَثُرَ شاكوكُ ، وقلَّ حامدوكُ ، فإمّا عدلتَ
وإمّا اعتزلتَ .

وكان يقول : إن قدرتم أن تكون كتبكم كلُّها
توقيعاتٍ فافعلوا .

كتب الفضلُ بنُ سهلٍ في كتابِ جوابِ ساعٍ :
ونحن نرى أن قبولَ السَّعَايةِ شرٌّ من السَّعَايةِ ، لأنَّ السَّعَايةَ
دلالةٌ ، والقبولَ إجازةٌ ، فاتقوا الساعيَ فإنَّه لو كان في
سعايته صادقاً لكان في صدقيه لثيماً ؛ إذ لم يحفظِ الحرمةَ
ولم يَسْتُرِ العورةَ .

* * *

(١) ذُوبان العرب : لصوصهم وصعاليكهم .

(٢) لا يستظهر عليها : المعنى : يتعاون في دفعها بجمع نفقاتها من
القادرين ، لا بالتساهل في جمع تلك النفقات ، الأمر الذي يؤدي إلى
وقوع الكارثة .

الباب الثامن

نكتٌ مستحسنةٌ للقضاء

قال شُرَيْحٌ (١) : إنَّنا لا نَعِيبُ الشُّهُودَ ، ولا نَلقِنُ
الخصومَ ، ولم نُسَاطِطْ على أشعاركم وأبشاركم ، إنما
نَتَقَضِّي بَيْنَكُمْ ؛ فمن سَأَلَكُمْ لقضائنا فَبِهَا ، ومن لا ،
أمرنا به إلى السِّجْنِ .

كتب الفضلُ بنُ الربيعِ إلى عبدِ اللهِ بنِ سوارٍ (٢) يسأله
أن يشتري له ضميعةً . فكتب إليه : إن القضاء لا يُدَنَسُ بالوكالةِ .

قال الزُّهري (٣) : ثلاثٌ إذا كُنَّ في القاضي فليسَ
بمُتَّضٍ : إذا كره اللِّوَاءَ ، وأحبَّ المحامدَ ، وكرهَ
العزَلَ .

(١) هو أبو أمية شريح بن الحارث الكندي ، ولي قضاء الكوفة
لعمر رضي الله عنه ، فمن بعده خمسا وسبعين سنة ، ولم يتمطل فيها إلا
ثلاث سنين ، وكان له درجة في القضاء .

(٢) هو عبد الله بن سوار العبدي ، استشهد سنة ٥٤٦هـ .

(٣) هو عبد الرحمن بن عبد الله الزهري ، أبو مصعب .

قال أيوب : إِنْ مِِنْ أَصْحَابِي مَنْ أَرْجُو دَعْوَتَهُ ،
وَلَا أُجِيزُ شَهَادَتَهُ .

وقال سوار (١) : مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي أَفْضَلَ
مِنْ عَطَاءِ السُّلَمِيِّ ، وَلَوْ شَهِدَ عِنْدِي عَلَى فَكَّاسِينَ مَا أُجَزْتُ
شَهَادَتَهُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ ضَعِيفٌ لَيْسَ بِالْحَازِمِ .

وكان أبو هريرة (٢) لَا يُجَوِّزُ شَهَادَةَ أَصْحَابِ
الْحَمِيرِ .

وسئل قتادةٌ عن شهادةِ الصَّيرَفِيِّ . فقال : لَا تَجُوزُ
شَهَادَتُهُ .

وليَّ عبيدُ اللهِ بنُ أبي بكرٍ (٣) قَضَاءَ الْبَصْرَةِ فَمَجَّلَ
يُحَابِي النَّاسَ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : وَمَا خَيْرُ رَجُلٍ
لَا يَقْطَعُ لِأَخِيهِ مِنْ دِينِهِ ؟
قال شريح : الْحِدَّةُ كُنْيَةُ الْجَهْلِ .

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار القاضي .

(٢) أحد رواة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن
الذين كانوا يحفظون السنة ويبلغونها الناس .

(٣) هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابنُ شُبَيْرُمةٌ لرجلٍ : أَتَشْرَبُ النَّبِيذَ ؟ قال :
أَشْرَبُ الرُّطَابِينَ وَالثَّلَاثَةَ .

فقال : وَاللَّهِ مَا شَرِبْتَهُ شُرْبَ الْفَيْتِيَانِ ، وَلَا تَرَكْتَهُ
تَرَكَ الْقُرْآنَ .

وقيلُ لهُ : لِمَ تَرَكْتَ النَّبِيذَ ؟ فقالَ إِنْ كَانَ حَلَالًا
فَحَظَّتِي تَرَكْتُ ، وَإِنْ كَانَ حَرَامًا فَبِالْحَزْمِ أَخَذْتُ .
وَسُئِلَ شَرِيكَهُ عَنِ النَّبِيذِ . فقالَ : قَدْ شَرِبْتَهُ قَوْمٌ
صَالِحُونَ يُقْتَدَى بِهِمْ . فقيلَ : كَمْ أَشْرَبُ ؟ قالَ :
مَثَلًا يَشْرَبُكَ (١) .

لَمَّا وُلِيَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ قِضَاءَ الْبَصْرَةِ اسْتَصْغَرُوا سَنَّهُ ،
فقالَ لَهُ رَجُلٌ كَمْ سَنُ الْقَاضِيِ أَعَزَّهُ اللهُ ؟ فقالَ : سِنُ
عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ (٢) حِينِ وِلَايَتِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ ، فَجَعَلَ جِوَابَهُ احْتِجَاجًا .

(١) المراد : مالا يذهب بوعيك وإدراكك .

(٢) عتاب بن أسيد : ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مكة
وهو ابن خمسة وعشرين سنة .

ساومَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ أعرابياً بفرسٍ له فلمَّا قامتْ عليّ ثمنٌ أخذها منهُ عمرٌ على أَنَّهُ فيها بالخيار ، إن رضي أُمسِكَ ، وإن كره رَدَّ ، فحملَ عُمَرُ عليها رجلاً يُشورُها (١) فوَقعتْ في بئرٍ فتكسَّرتْ ، فقال الأعرابيُّ ضمنتَ فرسي يا أميرَ المؤمنين ، قال : كلاً ، فإني لمْ أرضِها . فقال الأعرابيُّ فاجعلْ بيني وبينك رجلاً من المسليين . فجعلوا بينهما شُرَيْحاً ، فقصَّ عليه القصةَ ، فقال شريحٌ ضمنتَ يا أميرَ المؤمنين فرسَ الرجلِ ، لأنك أخذتها على شيءٍ معلومٍ ، فأنتَ لها ضامنٌ حتى تردَّها عليه ، فقبل ذلكَ عمرٌ ، وبعثَ شُرَيْحاً على قضاء الكوفة .

سئل الشَّعْبِيُّ عَن مَسْأَلَةٍ فَقَالَ : لَا عِلْمَ لِي بِهَا .
 فقيل : لَا تَسْتَحْيِي ؟ قَالَ : وَلَمْ أَسْتَحْيِي مِمَّا لَمْ يَسْتَحْيِ مِنْهُ
 الْمَلَائِكَةُ حِينَ قَالَتْ : « (لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) » (٢) ؟
 كان شريحٌ يقولُ : مَنْ سألَ حاجةً فقد عَرَضَ

(١) شار الدابة يشورها : راضها أو ركبها عند العرض على مشتريها .

(٢) سورة البقرة : ٣٢ . وأوطأ : « قالوا سبحانك » ..

نفسه على الرُّقِّ* فإِنْ قضاها المسئولُ استعبدهُ بها ، وإنْ ردهَ عنها رجعَ محرراً ، وهما دليلان : هذا بدلُ اللُّومِ ، وذلك بدلُ الرَّدِّ

قال بكارُ بنُ محمدٍ رأيتُ سَمَوَّارَ بنَ عَبدِ اللهِ - وأراد أنْ يحكمَ - فرفعَ رأسَهُ إلى السَّماءِ ، وترقرقتُ عَيناهُ ثمَّ حكَمَ .

قيل للشعبي^(١) : ما أحسنَ البراءةَ في الإمامِ !
فقال : تَوَرَّدُ ماءُ الحِياءِ في وجهِ الحرِّ أحسنُ .

دخل شُرَيْحٌ على بعضِ الأُمراءِ ، فقال الأميرُ :
يا جاريةُ ؛ هاقي عوداً فجاءته بعُودٍ يضربُ . فلما بَصَرَ به
الأميرُ نحَجَلُ ، وقال : نِعمَ هذا ، أُخِذَ البارحةَ مع
إنسانٍ في الطَّوْفِ . اكسروه . ثم صبر قليلاً ، وقال :
يا جاريةُ . هاقي عوداً للبُخورِ . فقال شُرَيْحٌ : أخافُ
أنْ تغلظَ مرَّةً ثانيةً ؟؟

(١) الشعبي : هو أبو عامر بن شراحيل اليميني الكوفي ، تابعي جليل
القدر ، وافر العلم . ولد سنة ٥٢١ تقريباً بالكوفة ، وكان عالماً
باللغة والسنة .

شهد رجلٌ من جلساءِ الحسنِ بشهادةِ عندِ إياسِ بنِ معاويةَ ، فردّه ، فشكا الرجلُ ذلك إلى الحسنِ . فأتاه الحسنُ فقال : يا أبا واثلةَ ، لم ردّدْتَ شهادةَ فلانٍ ؟ فقال : يا أبا سعيدَ ؛ إن اللهَ يقولُ «(مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ)» (١) وليس فلانٌ مِمَّنْ أَرْضَى :

وشهد عند عبيدِ اللهِ بنِ الحسنِ رجلٌ من بني نهشلٍ على أمرٍ ، فقال له : أتروني قولَ الأسودِ بنِ يعنفِرٍ (٢) :

* نام الخليليُّ فما أحسُّ رُقادي *

فقال له الرجلُ : لا . فقال : تُردُّ شهادتَهُ . وقال : لو كان في هذا خيرٌ لروى شرفَ أهليه .
جاء رجلٌ إلى شُريحٍ فكلمه بشيءٍ ، وأخفاهُ .

(١) سورة البقرة : ٢٨٢ . وأول الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين ... » .

(٢) هو الأسود بن يعفر :

نام الخليلي وما أحس رُقادي والحلم محضر لدي وسادي
وهو شاعر متقدم فصيح من شعراء الجاهلية .

فلما قام قال له رجلٌ : يا أبا أمية ، ما قال لك ؟ قال :
يا بنَ أخي . أو ما رأيته أسره منك ؟

كان شريح عند زياد - وهو مريض - فلما خرج
من عنده أرسل لآية مسروق بن الأجدع رسولا وقال :
كيف تركت الأمير ؟ فقال : تركته يأمر وينهى . قال
مسروق : إنه صاحب عويص (١) ، فارجع إليه
وأسأله : ما يأمر وما ينهى ؟

قال : يأمر بالوصية وينهى عن الشؤح .

ومات ابن شريح فلم يشعر بموته أحد ، ولم
تصرخ عليه صارخة ، فقيل له : يا أبا أمية ، كيف
أمسى ابنك ؟ قال : سكن عله (٢) ورجاه أهله .
وما كان منذ اشتكى أسكن منه الليلة .

حكى عن الشعبي أنه قال : شهدت شريحا ،
وجاءته امرأة تخصص زوجها ، فأرسلت عينيها ،

(١) أي كلام ملتو لا يفهم .

(٢) عله - العلز - بالتحريك : الضجر . والعلز : شبه رعدة

تأخذ المريض .

فبكت . فقالتُ : يا أبا أميةُ ؛ ما أظنُّ هذه البائسةَ
إلا مظلومةً .

فقال : يا شعبيُّ ؛ إنَّ إخوةَ يوسفَ ((جاعوا أباهم
عشاءً يبكون)) (١) .

كان شُرَيْحٌ إذا قيلَ له : كيف أصبحتَ يا أبا
أميةَ ؟ قال : أصبحتُ ونصفُ الناسِ غضابٌ .

كان لشُرَيْحٍ حائِطٌ مائِلٌ ، فقالَ له جارٌ له :
حائِطُكَ هذا مائِلٌ . قالَ : لا تُفسِّرْني أو يُنقِضَ .
قالَ : فنقضه من ساعته .. فقال الرجلُ : لا نَعْمَجَلُ
يا أبا أميةَ ، فذاكَ إيلسك . قالَ : بعدُ أن أشهدتَ عليَّ ؟

قالَ الشعبيُّ : وجهني عبدُ الملكِ بن مروانِ إلى مِلكِ
الرُّومِ ، فلمَّا قدِمْتُ عليه ودفعَتُ إليه كتابَ عبدِ الملكِ
جعلَ يُسألُنِي عن أشياءَ فأخبرُهُ بها ، فأقمتُ عنده
أياماً ، ثم كتبَ جوابَ كتابي ، فلمَّا انصرفتُ رفعتهُ
إلى عبدِ الملكِ فجعلَ يقرؤه ، ويتغيَّرُ لونه ، ثم قالَ :

(١) الآية : ١٩ من سورة يوسف « وجاموا ... » .

يا شعبيُّ : علمتَ ما كتب الطاغيةُ ؟ قلتُ : يا أميرَ المؤمنين . كانت الكتبُ مختومةً ولو لمْ تكُنْ مختومةً ما قرأتُها . وهي إليك . قال : إنه كتب : إن العجبَ من قومٍ يكونُ فيهم مثلُ من أرسلتَ به إلىَّ فيملاكون غيره . قال : فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، ذلك لأنَّه لم يرك . قال : فسرَّيَ عنه ، ثم قال : حسدني عليك ، فأراد أن أقتلك .

قال الشعبيُّ : قدِمْتُ على عبدِ الملك ، فما رأيتُ أحسن حديثاً منه إذا حدثَ ، ولا أحسنَ إنصافاً منه إذا حدثَ ، ولا أعلمَ منه إذا خولِفَ ، وأخطأتُ عنده في أربعٍ : حدثني يوماً بخديث ، فقلتُ : أعدهُ عليَّ يا أمير المؤمنين ، فقال : أمّا علمتَ أنه لا يُستعادُ أميرُ المؤمنين ؟ وقلت له حينَ أذنَ لي عليه : أنا الشعبيُّ يا أميرَ المؤمنين . فقال : ما أدخلناك حتى عرفناك . وكتبتُ عنده رجلاً فقال : أمّا علمتَ أنه لا يُكْتَبُ أحدٌ عند أمير المؤمنين . وسألته أنْ يُكْتَبِيَ حديثاً . فقال : إنّا نُكْتَبُ ولا نَكْتَبُ .

لما أخذ الحجاجُ الشعبيَّ - وكان خرج عليه مع ابنِ

الأشعث - قال : يا شعبيُّ ، ألمْ أرفعْ مِنْ قَدْرِكَ ،
وبلغتُ بك شرفَ العطاء ، وأوفدتُك على أمير المؤمنين ،
ورضيتُك جليساً لي ومحدثاً ؟ قال : بلى ، أصلح اللهُ
الأميرَ . قال : فما أخرجك مع ابنِ الأشعثِ تقاتلني على
غير دين ولا دنيا ؟ فأين كنتَ مِنْ هذه الفِتنَةِ ؟ فقال :
أصلح اللهُ الأمير ، وأوحشَ الجنابُ ، وأحزنَ بنا
المنزلُ ، واستشعرنا الخوفَ ، واكتحلنا السهر ، وفقدنا
صالحِ الإخوان ، وشملتنا فتنةٌ لم نكن فيها بررةٌ أتقياءُ ،
ولا فجرةٌ أقوياءُ . فضحك الحجاجُ ، وعفا عنه .

قال الشعبيُّ : مَنْ أَمِنَ الثَّقَلَ ثَقُلَ .

أَسْمَعَ رَجُلَ الشَّعْبِيِّ كَلَاماً ، وَعَدَّدَ فِيهِ خِصَالاً
قَبِيحَةً - وَالشَّعْبِيُّ سَاكِتٌ - فَلَمَّا فَرَّغَ الرَّجُلُ مِنْ كَلَامِهِ ،
قَالَ : وَاللَّهِ لِأَغْيَظَنَّ مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا . إِنْ كُنْتَ صَادِقاً ،
فَغْفَرَ اللَّهُ لِي ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَغْفَرَ اللَّهُ لَكَ .

قيل : يا أبا عامر : وَمَنْ أَمْرُهُ بِهَذَا ؟ . قال : الشيطانُ

وقال ابن شبرمة : مَنْ بِالْعِ فِي الخُصُومَةِ أَسِيمٌ ،

وَمَنْ قَصَرَ نَخِصِمٌ .

وقال: من لَزِمَ العَفْصَافَ هانت عاياه مَوْجِدَةٌ الماوك .
 دخل رجلٌ على عيسى بن موسى بالكوفة فكلمه ،
 وحضر عبدُ الله بنُ شُبْرَمَةَ فأعانه ، وقال : أصلحك
 اللهُ . إنَّ له شرفاً ، وبيتاً وقدَماً . فقيل لابنِ شبرمة :
 أتعرّفه ؟ قال : لا . قالوا : فكيف أثبتت عليه ؟
 قال : قلتُ ؛ إن له شرفاً ، أي : أذُنَيْنِ ومَسْكِينِ ،
 وبيتاً يأوي إليه ، وقدماً يطأ عليها .

وقال له رجلٌ : صنعتَ إلى فلان ، وصنعت ، فقال :
 اسكت ، فلا خيرَ في المعروفِ إذا أُحصِيَ . وكان إذا
 وُلِدَ له غلامٌ يقول : اللهمَّ اجعله بَرّاً تَقِيّاً ، واجعل
 لِدَّتِهِ في بلدِهِ .

قيل : بينا رقبَةُ بنُ مَصْقَلَةَ القاضي في حلقةٍ إذ
 مرَّ رجلٌ غليظُ العُنُقِ ، فقال له بعضُ جلسائه : يا أبا
 عبدِ اللهِ ، هذا الذي ترى مِن أعبِدِ الناسِ . فقال رقبَةُ :
 لأرى لهذا عُنُقاً قاسماً وقدَتهَا (١) العبادةُ .

(١) وقدَّتها : من معاني وقده : سكنه ، وتركه عليلاً .. والمراد :
 أن العبادة لم تؤثر عليه بدليل أن عنقه مازالت بمثابة وغير مستقرة .

قال : فمضى الرجلُ ، ثم عاد قاصداً إليهم ، فقال
رجلٌ لرقبةَ : يا أبا عبد الله ، أخبرهُ بما قلت ؛ لا تكون
غيبتهً . قال : نعم . أخبرهُ حتى تكون نائمةً .
وكان رقةٌ يقول : أيُّ مجلسٍ المسجدُ لو كان عليكَ
فيه إذنُ !

خاصم رجلٌ خالدَ بنَ صفوانَ (١) إلى بلال ، فقضى
للرجلِ عليه . فقام خالدٌ وهو يقولُ :

* سحابةٌ صَيْفٍ عن قليلٍ تَنْقَشِعُ *

فقال بلالُ : أما إنها لا تنقشع حتى يصيبك منها
شُؤْبُوبُ (٢) بَرْدٍ . وأمر به إلى الحبس .

فقال خالد : علامَ تحبسُنِي ؟ فو الله ما جنيتُ
جنايةً . فقال بلال : يخبرنا عن ذلك بابٌ مُصَمَّمٌ ،
وأقيادٌ تُقالُ ، وقيَمٌ يقالُ له : حفصٌ .

قال بلال : إذا رأيتَ الرجلَ لجُوجاً مَمارياً ، معجباً
برأيه ، فقد تمت خسارتهُ .

(١) خالد بن صفوان : هو أحد بخلاء العرب .

(٢) شؤبوب برد : الدفعة من المطر ، والدفعة من كل شيء .

كان إياسُ بنُ معاويةَ بنِ قرّةَ (١) صادقَ الظنِّ ،
لطيفاً في الأمور ، وتولّى قضاءَ البصرةَ في أيامِ عمرَ بنِ
العزيز . واختصم إليه رجلان في مُطَرَفِ خَزٍّ وأنبجانيٍّ (٢) ،
فادّعى كلُّ واحدٍ منهما المُطَرَفَ الخَزِّ أنه له ، وأنَّ
الأنبجاني الآخر . فدعا إياس بمشط وماء ، فبلَّ رأسَ
كلِّ واحدٍ منهما . ثم قال لأحدهما : سرِّح رأسك .
فخرج في المشطِ غفرُ المطرف (٣) ، وفي مشط الآخر غفرُ
الأنبجاني . فقال : يا خبيثُ ؛ الأنبجاني لك . فأمر . فدفع
المطرف إلى صاحبه .

استودعَ رجلٌ رجلاً من أمناء إياسٍ مالا ، وخرجَ
الرجلُ إلى مكة . فلما رجع طالبه بالمال فجحدته ،
فأتى إياساً فأخبره ، فقال إياس : عليم أنك أتيتني ؟
قال : لا . قال : فنازعته عند أحد ؟ قال : لا . لا يعلم أحدٌ

(٣) هو إياس بن معاوية بن قرّة المزني الليثي ، وكنيته أبو وائلة .
يضرب بذلكه المثل .

(٢) الأنبجاني : ثوب من الكتان ونحوه وليس غالي القيمة .

(٣) غفر المطرف : يقال : غفر الثوب غفراً : ثار زئبره .

والمطرف : الثوب والمعنى : ظهر غبار الثوب .

أحدٌ بهذا . قال : فانصرف ، واكتسبُ أمرِك ثم عدُّ إليَّ بعدَ يومين . فمضى الرجل ، ودعا إياسُ أمينته ذلك ، فقال : قد حضرَ مالٌ كثيرٌ ، وأريد أن أصيرَه إليك أتخصَّصنَّ منزلكَ ؟ قال : نعم . قال : فأعدَّ موضعاً للجمال ، وقوماً يحملونه . وعاد الرجلُ إلى إياس ، فقال له : انطلقْ إلى صاحبك ، فاطلبْ مالكَ . فإن أعطاكَ فذاك ، وإن جحدكَ فقلْ له : إنني أخبرُ القاضي . فأتى الرجلُ صاحبه ، فقال : مالي ، وإلاَّ أتيتُ القاضي ، وشكوتُ إليه ، فدفَعَ إليه ماله ، ورجعَ الرجلُ إلى إياس فأخبره ، وجاء الأمينُ لموعيدِهِ ، فزجره إياسُ وقال : لقد بانَ يا خائنُ .

قال إياسُ لِقوم من أهل مكة : قدمنا بلادكم ، فعرفنا خياركم ، وشراركم قالوا : وكيف عرفكم ؟ قال : كان معنا أخيارٌ ، وأشرارٌ نعرفُهم ، فلحقيق كلُّ جنسٍ بجنسه .

كان إياسُ يقول : الخبُّ (١) لا يخدعني ، ولا يخدع ابنَ سيرين ، ويخدع الحسن ، ويخدعُ أبي .

(١) الخب : المخادع الغاش .

أخذَ الحكمُ بنُ أيُّوبَ (١) إياسَ بنَ معاويةَ في
ظنينةَ الخوارج ، فقال له الحكمُ : إنك خارجيٌ منافقٌ ،
وأوسعهُ شتماً . ثم قال له : إيتني بكتفيل . فقال :
أكتفلُ أيُّها الأميرُ . فما أحتدُّ أعرف منكَ بي . قال :
وما علمي بك وأنا من أهل الشام ، وأنتَ من أهل
العراق ؟ فقال له إياس : ففيمَ هذه الشهادةُ منذُ اليوم ؟
فضحككَ وخلتني سبيله .

كان ابن أبي ليلى وليَ القضاء لبني أمية ، وبعدهم
لبني العباس . وقيل : هو أولُ من تولّى قضاءَ بغداد .
وقيل : بل أولُ من تولّاها من القضاة شريك .

وقال سفيان بن عيينة : شهد محمد بن عبد الرحمن
ابن الأسودِ عند ابن ليلى بشهادة ، فتوقّف في شهادته .
قال ابن عيينة : فناظرت ابن أبي ليلى في ذلك ، وقلت
له : أني لك بالكوفة رجلٌ مثله ؟ ؟ فقال : هو كذلك ،
إلا أن الذي شهد به عظيمٌ ، والرجل فقيرٌ . قال : فأعجبني
هذا من قوله .

(١) هو الحكم بن أيوب الشقي عامل الحجاج .

وأخذ على ابن ليلي رجلٌ من جلسائه كلمةً ،
فقال له ابن أبي ليلي : أهد إلينا من هذا ما شئت .
وكان يقول : أخذ ركم الثقات (١) .

دعا المنصور ابن أبي ليلي ، فأرادَه على القضاء ،
فأبى ، فتوعده إن لم يفعل . فأبى أن يفعل ، ثم إن غداء
المنصور حضر ، فأتي فيما أتى بصحفة فيها مثالُ رأس .
فقال لابن أبي ليلي : خذ أيها الرجلُ من هذا . قال ابنُ
أبي ليلي : فجعلتُ أضربُ بيدي إلى الشيء ، فاذا وضعته
في فمِّي سال ؛ لا أحتاجُ إلى أن أمضغه . فلما فرغ
الرجلُ جعلُ يلحسُ الصحفةَ . فقال لي : يا محمدُ .
أتدري ما كنتُ تأكلُ ؟ قلتُ : لا - والله - يا أميرُ
المؤمنين . قال : هذا مخُ النسيان (٢) معقودٌ بالسكر
الطبرزد (٣) . وتدري بكم تُسومُ هذه الصحفةُ علينا ؟

-
- (١) المراد أنه لا يلبق أن يثق الإنسان بغيره ثقة مطلقه ، بل يأخذ
كلامه بحرص وتأمل وتشكيك حتى يثبت صدقه .
(٢) النسيان : جمع (نون) وهو الخوت .
(٣) السكر الطبرزد : الطبرزد : السكر ، معرب ، كأنه نحت من
نواحيه بالفأس .

قلت : لا ، يا أميرَ المؤمنين . فقال : تقوُّمُ بثلاث مائة
وبضعةَ عشر . أتدري : لِمَ ألحسُها ؟ هذه صحيفةُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنا أطلبُ البركةَ بذلك .
فلما خرجَ ابنُ أبي ليلى من عنده رفعَ رأسه إلى الربيع
فقال : لقد أكل الشيخُ عندنا أكلةً لا يفلحُ بعدها أبداً .

فلما كان عَشِيَّيْ ذلك اليوم راح ابنُ أبي ليلى إلى
المنصور ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، فكرتُ فيما عرضتَ
عليّ ، فرأيتُ أنه لا يسعُنِي خِلافُكَ . فوالاهُ القضاءَ .
ثم قال للربيع : كيف رأيتَ حدسي ؟

رُوي عن العباس بن محمد (١) أنه قال : لما أرادَ
المنصورُ شريكَ بنَ عبد الله عليّ القضاءَ قال : أريدُ
أن تكلمَ أميرَ المؤمنين ليُعَفِّسِي فقالت له : إنَّ أبا جعفر
إذا عزمَ أمراً لم تُردَّ عزمائهُ . قال : فلما قام ، وأقرَّه
على القضاءِ قلتُ له : إنَّ أميرَ المؤمنين المهديَّ ألينُ عريكةً
من الماضي . فقال : أما الآنَ فلا ، فإني أخشى بشماتةِ
الآعداءِ .

(١) هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس : أخو المنصور .

قال بعضُ أصحاب الحديث : سألتُ شريكاً عن النبيذ ،
فقال لي : أمّا أنا فلا أتركه حتى يكون أسوأ عملي .

وسئل عن أبي حنيفة (١) ، فقال : أعلمُ الناس بما
لا يكونُ ، وأجهلُهم بما يكونُ .

ودخل على المهديّ فقال له : يا شريكُ ، بلغني
أنّك فاطميّ . فقال : أتحبُّ فاطمةَ ؟ أعرّ الله من
لا يحبُّ فاطمةَ . فقال المهديّ : آمين . فلما خرج شريكُ
قال المهديّ لمن عنده : لعنه الله ، ما أظنُّه إلا عسافي .
وقال له يوماً : أيُّنا أشرفُ : نحن أم ولدُ عليّ ؟
فقال شريك : هات أمّاً مثلَ فاطمة حتى تُساويهم في
الشرف .

ولما دعاه المهديّ إلى القضاء قال له : لا أصلحُ لذلك .
قال : ولمّ ذاك قال : لأتني نساءٌ . قال : عليك بمضغ

(١) الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه ، الإمام الفقيه ،
الكوفي ، أدرك بعض الصحابة وكان عالماً ، زاهداً ، عابداً ، ورعاً تقياً ،
دائم التضرع إلى الله . وقد أبى أن يتولى القضاء على الرغم من إلحاح
الخلفاء عليه في ذلك حتى حبس من جراء امتناعه . ومذهبه يعتنقه الكثير من
المسلمين . توفي سنة ٥١٥ هـ .

اللَّبَان (١) . قال : لِي حَدِيدٌ . قال : قد فرض لك أمير المؤمنين فالْمُودَجَّةَ (٢) توقرك . قال : لِي امرؤ أقضي على الوارد ، والصادر .

قال : اقضِ عَلَيَّ ، وعيى والدي . قال : فاكفني حاشيتك . قال . قد فعلتُ .

فكانت أول رقعة وردت عليه خالصة جارية المهدي . فجاءت لتتقدم الخصم ، فقال : وراءك مع خصمك مِراراً . فأبَت . فقال : وراءك ياخنساء (٣) قالت : يا شيخ ، أبت أحق .

قال : قد أخبرتُ مولاك ، فأبى عليَّ . فجاءت لِي المهدي تشكو لِيه . فقال لها : الزمي بيتك ، ولا تعرّضي له .

(١) اللبان - بضم اللام : نبات من الفصيلة البخورية يفرز صمغاً ويسمى الكندر .

(٢) الفالوذج : والفالوذ : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، وتصنع الآن من النشا والماء والسكر ، وهو معرب .

(٣) بالخناء : الخن : قبح ريح الفرج . والخناء : التي لم تختن . وقيل : الخن : التنن .

قال ابن أبي ليلى إلى قوله : ليست من الإيمان .
وقال : كيف أجزى شهادة قوم يزعمون أن الصلاة
ليست من الإيمان .

وكان ابن شُبْرُمَةَ يقول : لَأَنْ أُسْتَعْمِلَ خَائِئِثًا
بصيرًا بعمله أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُسْتَعْمَلَ مُضِيئًا لَا يُبْصِرُ
العمل .

ودخل سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْمَنْصُورِ - وَالْمَصْحُفُ
فِي حِجْرِهِ ، وَعَيْنَاهُ تَهْمَلَانِ (١) - فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ .
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : يَا سَوَّارُ ، أَلَا مَرَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ !
هَدَمْتُ دِينِي ، وَذَهَبْتُ بِأَخْرَجِي ، وَأَفْسَدْتُ مَا كَانَ مِنْ
صَالِحِ عَمَنِي . قَالَ سَوَّارُ : فَانْتَهَزْتُهَا فُرْصَةً ، وَطَلَبْتُ
ثَوَابَ اللَّهِ فِي عِظَّتِهِ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ جَدِيرٌ
بِالْبُكَاءِ ، حَقِيقٌ بِطُؤْلِ الْحُزَنِ مَا أَقَمْتَ فِي الدُّنْيَا . وَقَدْ
اسْتَرَعَاكَ اللَّهُ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَاسْتَحْفَظَكَ أَمْوَالَهُمْ ؛
يَسْأَلُكَ عَمَّا عَمِلْتَ فِيمَا اسْتَرَعَاكَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعْلَمَكَ فِي
كِتَابِهِ ، فَقَالَ « (يَوْمَئِذٍ يَتَصَدَّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا

(١) عيناه تهملان : هملت : فاضت وسالت .

أعمالهم . فمن يعمل ميثقالَ ذرّةٍ خيراً يره . ومن
 يعمل ميثقالَ ذرّةٍ شراً يره) (١) . فإزداد بُكاءً ،
 وقال : ((يا ليتني مبت قبلَ هذا وكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا)) (٢) .
 ثم قال يا سوارُ إني أعالجُ نفسي ، وأعاتبها منذ وَايْتُ
 أمورَ المسلمين على حَمَلِ الدَّرّةِ على عُنُقِي ، والمشِي
 في الأسواقِ على قَدَمِي ، وأن أسدَّ بالجريش (٣) من الطعامِ
 جوعتي وأواري بأخشن الثوبِ عورتِي ، وأضعَ قدرَ
 من أراد الدنيا ، وأرفعَ قدرَ من أراد الآخرةَ ، وسعى لها ،
 فلم تُطعني ، وعصتني ، ونفرتُ نفوراً شديداً .

قال سوارُ لا تحشمها يا أمير المؤمنين صعبَ الأمور ،
 ولا تحملها ما لا تُطيق ، وألزمها أربعَ خصالٍ تسامُ
 لكَ دنياكَ وآخرتُك : أقِمِ الحدودَ واحكُمِ بالعدلِ ،
 واجبِ الأموالَ من وجوهها ، واقسمها على أهلها بالحقِّ .
 خاصمَ عبدُ الله بنُ عبدِ الأعلى الكريزيُّ (٤) مولَى

(١) سورة الزلزلة : ٦ - ٨ .

(٢) سورة مريم : ٢٣ وأولها : « فأجاءها المخاض ... » .

(٣) الجريش : دقيق فيه غلظ . والمعنى الطعام الخشن .

(٤) هو عبد الله بن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز ،

القرشي .

له في أرض إلى سوار - وكان جدُّه أُقطعها جدّه - . فقال
سوارُ : إني لأرغبُ بك عن هذا ؛ تُنازعهُ في أرض
أقطعها جدُّك جدّه ؟ فقال الكريزيُّ : الشحيحُ أغدرُ من
الظالم . فنكس سوارُ طويلاً ، ثم رفع رأسه ، فقال :
اللهمَّ ارددْ على قريش أخطارها .

دعا الرشيدَ أبا يوسفَ القاضي (١) ليلاً فسأله عن
مسألة ، فأفتاه . فأمر له بمائة ألف درهم . فقال : إن
رأى أميرُ المؤمنين أن يأمر بتعجيلها قبل الصُّبح . فقال :
عجلوها له . فقيل : إن الخازنَ في بيته ، والأبواب
مغلقةٌ . فقال أبو يوسف : وقد كنت في بيتي والدُّروبُ
مُغلقةٌ ، فحين دعيتُ بي فُتِّحت .

وقال له الرشيدُ : بلغني أنَّك لا ترى لبسَ السَّوادِ (٢)
فقال : يا أمير المؤمنين . ولِمَ ؟ وليس في يدي شيءٌ أعزُّ
عليَّ منه . قال : ما هو ؟ قال : السَّوادُ الذي في عيني .

(١) القاضي أبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ، ولد سنة
٥١١٣ هـ . وهو من أهل الكوفة ، وكان صاحباً للإمام أبي حنيفة ، وقد
أخذ عنه الفقه وما يتعلق به . وقد توفي سنة ١٨٢ هـ .

(٢) كان شعار العباسيين لبسهم العمامة السوداء ، تشبهاً بما فعله
النبي عليه السلام في بعض غزواته .

وسئل مرة عن السواد ، فقال : النور في السواد .
يريد سواد العين .

وكان خالد بن طليق الخزاعي قاضياً ، فاختصم
إليه اثنان ، فكان أحدهما كلما أراد أن يتكلم غمزه
الشرطي ألا يتكلم . فلما كثر ذلك عليه قال : أيها
القاضي ، أمتضي على غائب ؟ فقال : لا . فقال : أنا
غائب إذا لم أترك أن أتكلم .

وكان خالد تياًهاً صليفاً (١) ، وقال يوماً لمحمد بن
سليمان - مع محائه وشرفه وثروته - نحن وأنتم في
الجاهلية كهاتين . وجمع بين إصبعيه .

كان عبيد بن ظبيان قاضي الرقة ، فجاءه رجل
واستعده على عيسى بن جعفر ، وكان الرشيد إذا ذك
بالرقة فكتب ابن ظبيان إلى عيسى أمّا بعد أطال الله
بقائه الأمير وحفظه وأتم نعمته عليه . أتاني رجل فذكر
أن له على الأمير خمسمائة ألف درهم . فإن رأى الأمير -

(٢) الصلف : الصلف مجاوزة القدر في الظرف والادعاء فوق
ذلك تكبر .

أعزّه الله - أن يحضر مجلس الحكم ، أو يُوكّل وكيلا
يُنظر عنه فعل .

ودفع الكتاب إلى الرجل ، فأتى باب عيسى ، فدفع
كتابته إلى الحاجب ، فأوصله إليه ، فقال له : كُـلْ
هذا الكتاب !! فرجع إلى القاضي فأخبره . فكتب إليه :
أبقاك الله وحفظك ، وأتمّ نعمته عليك . حضر رجل
يفال له فلانُ بنُ فلانٍ وذكر أن له عليك حقّاً ، فصر معه
إلى مجلس الحكم ، أو وكيالك إن شاء الله .

تقدم رجل إلى أبي نخازم ، وقدّم أبادُ يطالبه بدين
له عليه . فأقرّ الأبُ بذلك . فأراد الابنُ حبس أبيه بالدين .
فقال له أبو نخازم : هل لأبيك مالٌ ؟ قال : لا أعلسه .
قال : فمُـمّد كم دايـنـتـه بهذا المال ؟ قال : منذ كذا وكذا .
قال . فقد عرضتُ عليك نفقة أبيك من وقتِ المُداينة .
فحبس الابن ، وختّى عن الأب .

وكان إسماعيلُ بنُ إسحاق (١) قاضياً للمعتمد بمدينة

(١) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي ،
فقيه مالكي المذهب جليل التصانيف ، .

السلام (١). فدخل على الموفقِ ، فقال له : يا إسماعيلُ :
ما تقول في هذا النبيدِ ؟ فقال له : أيها الأميرُ ، إذا أصبح
الإنسانُ وفي رأسه منه شيءٌ ، قال ماذا ؟ قال الموفق :
يقولُ : أنا مخمورٌ . قال : فهو كاسمه .

قدم البلاذريُّ (٢) إلى الحسنِ بنِ أبي الشَّواربِ في
دين عليه ، فادَّعى غريمه مائتي دينار . فذكر البلاذري
معاملةً بينهما . وعادة جرت بالنظيرة . فقال له القاضي :
أنظيره . فقال : لم أطأ به إلا وقد علمت الساعة نعمته .
فقال البلاذري : صدق أيها القاضي ، إنني من الله نفي
نعم ، لا أقومُ بشكرها ، أولها : نعمةُ الإسلام ، وهي
التي لا تعادلها نعمةٌ ثم نعمةُ العافية — وهي أفضلُ النعم

(١) مدينة السلام : بغداد .

(٢) البلاذري : هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري أبو
الحسن ، وتيل أبو بكر ، من أهل بغداد ، مات في أيام المتمد على الله ،
في أواخرها ، وأهم كتبه فتوح البلدان .

بعدها - وما يُقضى من هاتين الدين . فقال القاضي لغريمه : انصرف ، ورحُ إليّ . فراح إلى القاضي ، فأعطاه عنه مئتي دينار .

كان يحيى بن سعيد الأنصاري^(١) قاضياً للرشد ، وكان خفيف الحال وكان له مجلسٌ من السوق . فلما ولي القضاء ، وارتفع شأنه لم يترك مجلسه في السوق . فقيل له في ذلك ، فقال : من كانت له نفسٌ واحدةٌ لم يغيّرهُ الإقتارُ ، ولا المالُ .

كان البرقيّ عفيفاً ، صالحاً ، وولي قضاء مدينة السلام أيام المعتمد ، وكان قد ولاه قبل ذلك يحيى بن أكرم . فقيل له : ولّيت البرقي القضاء وهو رجلٌ من أهل السواد ؟

فقال يحيى : ألم تسمع قول الله تعالى : « وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بِلِسَانٍ قَوْمِهِ » (٢) .

(١) هو يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري البخاري أبو سعيد ، قاض ، من أكابر أهل الحديث ، من أهل المدينة ولي القضاء بالمدينة زمن بني أمية .
(٢) سورة إبراهيم : ٤ .

قال بعضهم : رأيتُ البرقيَّ يوماً وهو يقرأ علينا شيئاً من حديث سفيان فقال له رجل كان معنا يا أبا العباس . فقام إليه البرقي ، وضرب لحيته ، وقال له : أنا قاضٍ مُدْ كذا وكذا سنةً !! تقولُ : هيا يا أبا العباس . وكان أبو العيناء (١) يقول : كان أحمدُ بنُ أبي دُوادٍ إذا رأى صديقه مع عدوّه قتل صديقه .

وقال أبو العيناء : ما رأيتُ مثل ابن أبي دُوادٍ من رجلٍ قد مُكِّن في الدنيا ذلك التمكين ، كنتُ أراهُ في مجلسٍ سقفه غير مُخَرَّجٍ ، جالساً على مسح (٢) وأصحابه معه يتدَرَّن (٣) القميصُ عليه فلا يبدُّ له ، حتى يعاتب في ذلك ، ليست له همةٌ ولا لذةٌ من لذات الدنيا إلا أن يحمل رجلاً على منبر ، وآخر على جِذْع .

وقال له المعتصم في أمر العباس بن المأمون : يا أبا عبد الله ؛ أكرهُ أن أحبسَه ، فأهتكه وأكرهُ أن أدعَه

(١) أبو العيناء هو : محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان من بني حنيفة أهل اليمامة ، وكان ضريراً وهو ممن اشتهر بالمجون ، وله نوادر وحكايات مستطرفة .

(٢) جالساً على مسح : المسح بكسر الميم : الكساء من الشعر .

(٣) يتدَرَّن القميص : درن الثوب : أصابه الدرن ، وهو الوسخ ،

أو تلتخ .

فأهمّته . فقال له ابن أبي دُوَادٍ : الحبسُ - يا أمير المؤمنين - فإن الاعتذار خيرٌ من الاغترار .

وكان الأَفْشِينُ (١) يحسدُ أبا دُلف (٢) ، ويبغضُهُ للعربيةِ ، والشجاعةِ والجُودِ ، فاحتال عليه حتى شَهِد عليه بخيانةٍ فجلس له ، وأحضره ، وأحضر السيَافَ لقتله . وبلغ ذلك أحمد بن أبي دُوَادٍ ، فركب مع من حضره من عُدُوِّه . ودخل على الأَفْشِينِ وقد جيء بأبي دلف ليُقتل . فوقف ، ثم قال : إني رسولُ أمير المؤمنين إليك بالأخبارِ حدثاً حتى تحمله إليه مسلماً . ثم التفت إلى العُدُوِّ ، فقال : اشهدوا أنني أديتُ الرسالةَ والقاسمُ حيٌّ مُعافى . وخرج فلم يَسْقُدْ الأَفْشِينُ عليه .

وصار ابنُ أبي دُوَادٍ من وقته إلى المعتصم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد أديتُ عنك إلى الأَفْشِينِ رسالةً لم تقبلها لي ، لا أعتدُّ بعمل عمَلته خيراً منها ، ولاني لأرجو

(١) حيدر بن كاس من أجل قواد المعتصم .

(٢) أبو دلف : القاسم بن عيسى .

لك يا أمير المؤمنين بها الجنة . وخبره الخبر ، فصوب رأيه ،
وأمر بالإفراج عن أبي دلف .

وكان أحمد بن أبي دُواد بعد ذلك يقرظُ أبا دلف
ويصفهُ للمعتصم ، فقال له : يا أبا عبد الله ؛ إن أبا
دلف حسنُ الغناء ، جيّدُ الضربِ بالعود . فقال : يا
أمير المؤمنين ، القاسمُ في شجاعته وبيته في العرب يفعلُ
هذا !! .

ثم أحبّ المعتصمُ أن يسمعهُ ابنُ أبي دُواد . فقال له
يوماً : يا قاسمُ ، غنّني . فقال ، والله ما أستطيع ذلك —
وأنا أنظرُ إلى أمير المؤمنين — هيبَةً وإجلالاً . قال : فاجلس
من وراء ستارة . ففعل وغنى .

وأحضر ابن أبي دُواد ، وأجلسه وقال : كيف
تسمعُ هذا الغناء ؟ . قال : أميرُ المؤمنين أعلمُ به ، ولكنّي
أسمعُ حسناً . فغمز غلاماً ، فهتَكَ الستارة ، فإذا بو دلف .

فلما رأى أبو دلف ابن أبي دُواد وثب قائماً ، وأقبل
على ابن أبي دُواد ، فقال : إني أُجبرتُ على هذا ه
فقال : يا ماجنُ . لولا دُرْبَتُكَ في الغناء ؛ من أين

كنت تأتي مثل هذا ؟ هبك أجبرت على أن تُغني ،
مَنْ أجبرك على أن تُحسن ؟ .

قال الحسنُ بنُ وهب : شكرتُ أبا عبد الله أحمد
ابن أبي دواد على شيء كان منه . فقال لي : لا أخرجك
اللهُ ، ولا إيماناً إلاَّ أن نعرف ما لنا عند الأصدقاء :
وتخطى بعضُ بني هاشم رقاب الناسِ عند ابن أبي
دواد ، فقال : يا بُنيَّ ، إن الأدب ميراث الأشراف ولستُ
أرى عندك من سلفك ميراثاً . فاستحسن كلامه
كلُّ من حضر .

قال الواثق لأحمد بن أبي دواد في رجل حميلٍ إليه
من بعض النواحي : قد عزمتُ على ضرب عنقه . فقال :
لا يحيل لك يا أمير المؤمنين . قال : فأضربه بالسياط .
قال : ظهروُ المسلم حمي (١) إلا من حدَّ . قال له :
أنت أبدا تعترضُ عليَّ . قال : يا أمير المؤمنين ؛ أخافُ
عليك العامةُ . قال : وما عسى العامةُ تفعلُ ؟ قال :
أقولُ يا أمير المؤمنين ولا تغضبُ . قال : قلْ .
قال : إذا رأوك قد جُرت في الحكم ؛ أخلوا بيدك

(١) الحمى : ما يجب حمايته . والمعنى : لا يحل عقوبة المسلم الا
بسبب تنفيذ حد من حدود الله .

فَأَقَامُوا عَنْ مَجْلِسِيكَ ، وَاجْلَسُوا غَيْرَكَ . قَالَ : فَأَمْسَاكَ
الرَّوَائِقُ ، وَلَمْ يَحْرُ جَوَابًا (١) ، وَزَالَ الْمَكْرُوهُ عَنْ
ذَلِكَ الرَّجُلِ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ : مَوْتُ الْأَحْرَارِ أَشَدُّ مِنْ ذَهَابِ
الْأَمْوَالِ .

وَقَالَ : الشَّجَاعَةُ شَجَاعَةٌ فِي الْقَلْبِ ، وَالْبَحْلُ
شَجَاعَةٌ فِي الْوَجْهِ .

قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ شُهْرَةَ : ذَهَبَ الْعِلْمُ إِلَّا غُبَّرَاتٍ
فِي أَوْعِيَةٍ سَوَاءٍ (٢) .

* * *

(١) أفحم فلم يجد ما يجيب به .
(٢) المعنى : لم يبق منه إلا القليل الذي لا ينتفع به ؛ لأنه عند أناس
غير حسي الخلق .

الباب التاسع

كلامُ الحَسَنِ البَصْرِيِّ (١)

كان الحجاجُ يقولُ : أخطبُ الناسُ صاحبُ العمامةِ
السوداءِ بينَ أخصاصِ (٢) البصرةِ ؛ إذا شاءَ تكلمَ ،
وإذا شاءَ سكتَ . يعني « الحسن » .

كتبَ إليه عُمرُ بنُ عبد العزيز : أنْ أعنِّي ببعضِ
أصحابك . فكتبَ إليه الحسنُ : أما بعد . فإنه من كان
من أصحابي يريد الدنيا فلا حاجةَ لك فيه ، ومن كان
يريد الآخرةَ فلا حاجةَ له فيما قبيلك ، ولكن عليك
بأنوي الإحسانَ فإنهم إن لم يستحقوا استحيوا ، وإن لم
يستحيوا تكرموا .

(١) الحسن البصري هو : أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار
البصري ونشأ الحسن بوادي القرى ، وتلقى الفصاحة عن أعرابه ، وكان
من سادات التابعين وكبرائهم بارعاً في الفقه ، معروفاً بالورع والزهد
والعبادة . وهو شيخ واصل بن عطاء الله رأس المعتزلة . وكانت وفاته
بالبصرة سنة ١١٠ هـ في خلافة هشام بن عبد الملك .

(٢) أخصاص البصرة : المفرد خص ، وهو بيت من شجر أو
قصب ، والبيت يسقف بخشب .

وقال : كُنْ في الدنيا كالغريب الذي لا يجزَعُ
من ذُلِّها ولا يشارك أهلها في عزِّها . للناس حالٌ وله
حالٌ أخرى ، قد أهَمَّتْه نفسه ، وعملٌ لما بعدَ الموت ؛
فالناسُ منه في عافية ، ونفسهُ منه في شُغْلٍ .

ذكروا أنه سمع رجلاً يقولُ : أهَلَسَكَ اللهُ
الهُجْرَةَ فقال : إِذْ نَسْتُو حِشْسُ (١) فِي الطَّرْقِ .

قال أعرابيٌ للحسن : عَاشَنِي دِينًا وَسُوطًا (٢) ،
لَا ذَاهِبًا شَسْطُوطًا ، وَلَا هَابِطًا هَبُوطًا .

فقال الحسنُ : لئن قُلْتُ ذلك ؛ لِنَ خَيْرِ الْأُمُورِ
لِأَوْسَاطِهَا .

وقال له رجل : لِنِي أَكْرَهُ الْمَوْتَ . قال : ذاك
أَنْكُ أَنْحَرَّتْ مَالِكََ وَلَوْ قَدَمْتَهُ لَسَرَّكَ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ .

وقال : اقْدَعُوا (٣) هَذِهِ النُّفُوسَ فَلِنِهَا طُلْعَةٌ ،
وَاعْصُوهَا فَلِنِكُمْ إِنِ اطْعَمْتَهُمَا تَنْزِعَ بِكُمْ إِلَى شَرِّ
غَايَةٍ ، وَحَادِثُوهَا بِالذُّكْرِ فَلِنِهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ (٤) .

(١) المراد أنه لن يجد من يؤنسه لكثرة من يهلك بسبب الفجورة .

(٢) الوسوط : المتوسط ، والجمع وسط .

(٣) قدعه : منعه وكفه . والمعنى امنعوها وحدوا من نوازعها .

(٤) الدثور : دثور القلوب : إخماء الذكر منها .

وقال الحسنُ : لا تزُولُ قدمُ ابنِ آدمَ حتى يُسألَ
عَن ثلاثَ : شبابه : فيم أبلاه ؟ وعمره : فيم أفناه ؟
وماله : من أين اكتسبه ؟ وفيم أفقه ؟

ورأى رجلاً يكيدُ (١) بنفسه فقال : إن امرأاً هذا
آخرهُ بلخيرٌ أن يزهدَ في أوله ، وإن امرأاً هذا أوله بلخدير
أن يخافَ آخره .

وقال : بعُ دنياك بأخترتك ترُبُحُهما جميعاً ، ولا تبعُ
أخترتك بدنياك فتخسرهُما جميعاً .

وقال : مَنْ أيقنَ بالخلفِ جادَ بالعطية .

وقال : مَنْ خافَ اللهَ أخافَ اللهُ منه كلُّ شيءٍ ،
ومَنْ خافَ الناسَ أخافهُ اللهُ من كلِّ شيءٍ .

وقال : ما أعطِيَ أحدٌ شيئاً من الدنيا إلا قيل لهُ :
نخذهُ ومثله من الحرصِ .

قال الحسنُ : إن قوماً جعلُوا تواضعَهُمْ في ثيابِهِمْ ،
وكبرَهُمْ في صدورِهِمْ حتى لصاحبُ المدرعةِ في مدرعتهِ
أشدُّ فرحاً من صاحبِ المُطرفِ (٢) بمُطرفه .

(١) هو يكيد بنفسه كيداً : يجود بها .

(٢) المطرف ، بضم الميم وكسرها : واحد المطارف ، وهي أردية

من خبز مربعة لها أعلام ،

قيل لخالد بن صفوان : مَنْ أبلغ الناس ؟ قال :
الحسنُ البصريُّ لقوله : فضح الموتُ الدنيا . لو عقل أهلُ
الدُّنيا خربت الدنيا .

وقال : أهينوا الدنيا فوالله لأهنا ما تكونُ حين
تُهينونها .

وقال له رجلٌ : ما تقول في الدنيا ؟ قال : حلالها
حسابٌ ، وحرامها عذابٌ . فقال له : ما رأيتُ أوجز
من كلامك . فقال الحسنُ : بل كلامُ عمرَ بن عبد العزيز
أوجزُ من كلامي . كتب إليه بعضُ عمَّالِ حِمصَ (١) :
أما بعد : فإنَّ مدينةَ حِمصَ قد تهامت ، واحتاجت إلى
إصلاح . فكتب إليه عمرُ : حصنها بالعدل ، ونقِّ
طرقها من الجور . والسلامُ .

قال الحسن لفرقد (٢) : يا أبا يعقوب . بلغني أنك
لا تأكل الفالوذج . قال : يا أبا سعيد . أخافُ ألاَّ

(١) حمص : مدينة وسط سوريا .

(٢) فرقد : هو فرقد السبخي النصراني ، وكنيته أبو يعقوب .

أُوْدِي شُكْرَهُ . قال : يا لِكُفْعُ ! ! وهل تُؤدِّي شُكْرَ
الماءِ الباردِ .

وسَمِعَ رجلاً يشكو عاتةً به إلى آخر . فقال : أمّا
إِنَّكَ تشكو مَنْ يرحمك إلى مَنْ لا يرحمك .
وقيل له : مَنْ شرُّ الناس ؟ قال : الذي يرى أنّه
خيرُهم .

وقال : قد ذمَّ اللهُ الثَّقَلَيْنِ في القرآن بقوله « (فإذا
طَعِمْتُمُ فانتشروا) » (١)
وقال : الدنيا كلُّها غمٌّ ، فما كانَ فيها من سرور
فهو ربحٌ .

وقال : إن الله - جل ثناؤه - لم يَأمرْ نبيّه عليه السلامُ
بمشاورة أصحابه لحاجة منه إلى آرائهم ، ولكنّه أحبّ
أن يُعائمه ما في المشورة من البركة .
ويروى عنه أنه قال منذُ دهر ندعو الله فنقولُ :
اللهم استعملْ علينا أختيارنا فأعظمْ بها مصيبةً ألا يُستجاب

(١) سورة الأحزاب : ٥٣ وأوطأ « يأبى الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » .

لنا ، وأعظمُ من ذلك أن يكون استُجيبَ لنا فيكون
هؤلاءِ خيارنا .

وذكر الدنيا فقال : المؤمنُ لا يجزعُ من ذلِّها ولا
يُتأسفُ في عزها .

وقال : أربعُ قواصمٍ للظهور : إِمَامٌ تُطِيعُهُ وَيُضِلُّكَ ،
وزوجةٌ تَأْتُمُّهَا وتَحْزِنُكَ ، وجارٌ إِنْ عَلمَ خَيْرَ أَسْرَهُ ، وإن
عَلمَ شَرًّا نَشَرَهُ وَفَقْرٌ حَاضِرٌ لا يَجِدُ صَاحِبَهُ عِنْدَ شَارِدٍ (١) .

ووصفَ الأَسواقَ ، فقال : الأَسواقُ مَوائِدُ اللهُ
مَنْ أَتَاهَا أَصَابَ مِنْهَا .

وقال : من عمل بالعافية فيمَنَ دونه رُزقٌ بالعافية
مِمَّنْ فَوْقَهُ .

وقيل لهُ : وكيف رأيتَ الوُلاةَ يا أبا سَعِيدٍ ؟ قال
رَأَيْتَهُمْ يَبْسُتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ (٢) آيَةً يَعْبُثُونَ . وَيَتَخَذُونَ
مِصَانِعَ لَعَالِهِمْ يَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشُوا بِطَشُوا جَبَارِينَ (٣) .

(١) الشارد : النافر . والمراد لزوم الفقر لصاحبه .

(٢) الريح - يكسر الراء : المرتفع من الأرض .

(٣) انظر الآيات ١٢٨ - ١٣٠ من سورة الشعراء .

وكان يقولُ : ذمُّ الرجلِ نفسهُ في العلانية مدحٌ لها في السرِّ .

وقال : مَنْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَخْفُفْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَكْرَأً مِنَ اللهِ بِهِ فَقَدْ أَمِنَ مَخْوْفًا ، وَمَنْ ضَيَّقَ اللهُ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرْجُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نَظْرًا مِنَ اللهِ لَهُ فَقَدْ ضَيَّعَ مَا مَوْلَاهُ .

وقال : لِمَنْ مِنْ عَظِيمِ نِعَمِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ أَنْ نَحَاقَ لَهُمُ النَّارُ يَحْوِشُهُمْ (١) بِهَا إِلَى الْجَنَّةِ .

وقال لرجلٍ : كَيْفَ طَلَبْتُكَ لِلدُّنْيَا ؟ قَالَ شَدِيدٌ .
قال : فَهَلْ أَدْرَكَتَ مِنْهَا مَا تُرِيدُ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَهَلْهُ
الَّتِي تَطْلُبُهَا لَمْ تَدْرِكْ مِنْهَا مَا تُرِيدُ فَكَيْفَ بِالَّتِي لَا تَطْلُبُهَا ؟
وقال : ابْنُ آدَمَ أُسِيرُ الْجُوعِ ، صَرِيحُ الشَّبَعِ .

وَذَكَرَ يَوْمًا الْحِجَاكَ فَقَالَ : أَتَانَا أُعَيْمِشُ أَخَيْفِشُ (٢)

(١) يقال : حاش الصيد يحوشه : جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحباله .

(٢) أخيفش : تصغير الأخفش ، وقد يكون الخفش علة ، وهو

الذي يبصر الشيء بالليل ، ولا يبصره بالنهار .

والأعيش : تصغير الأعمش ، والعيش ألا تزال العين تسيل الدمع ،

ولا يكاد الأعمش يبصر بها .

له جُمَيْمَةٌ* (١) يُسْرِجُهَا فَأُخْرِجَ لَنَا لِمَامًا* (٢) قِصَارًا ،
والله ما عرق فيها عِنانٌ* في سبيل الله . فقال : بايعوني .
فبايعناه* ثم رقى هذه الأَعْوَادَ ينظر إلينا بالتصغير ،
وننظرُ إليه بالتعظيم ، يأمرنا بالمعروف ويحتمبه* ، وينهانا
عن المنكر ويرتكبه* .

وسئل عن قوله تعالى : « (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْدِيهِمْ* ثَمَنًا قَلِيلًا) » (٣) ما الثمنُ القليلُ ؟
قال : الدنيا بخلافها .

وقال : الدنيا تطلبُ الهاربَ منها ، وتهربُ من الطالبِ
لها ، فإن أدركتِ الهاربَ منها جرحته* ، وإن أدركها
الطالبُ لها قتلته* .

وقال : رُبُّ هالكٍ بالثناء عليه ، ومغرورٍ بالسترِ
عليه ، ومستدرجٍ بالإحسانِ إليه* .

-
- (١) والجميمة : تصغير الجمة ، وهو مجتمع شعر الرأس .
(٢) اللام : جمع لمة وهي شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .
والمة (بضم اللام) : الصاحب أو الأصحاب في السفر .
(٣) سورة آل عمران : ٧٧ .

وقال : إِنْ لَمْ تُطْعَمِكَ نَفْسُكَ فِيمَا تَحْمِلُهَا عَلَيْهِ
مَمَا نَكَرَهُ فَلَا تُطْعَمُهَا فِيمَا تَحْمِلُكَ عَلَيْهِ مَمَا تَهْوَى .

وقال تَشَبَّهَ زِيَادٌ بِعَمْرٍ فَأَفْرَطَ ، وَتَشَبَّهَ الْحِجَاجُ
بِزِيَادٍ فَأَفْرَطَ ، وَأَهْلَاكَ النَّاسَ .

وقال : الْمُؤْمِنُ لَا يَسْخِيفُ (١) عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ،
وَلَا يَأْتِمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ .

وقال لهُ بَعْضُ الْجُنْدِ فِي زَمَنِ نَبِيِّ أُمِّيَّةٍ : تُرَى أَنْ
أَتَّخِذَ أَرْزَاقِي أَوْ أَتْرُكَهَا حَتَّى أَتَّخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ؟ . قال : مُرُّ فَخِذِ أَرْزَاقِكَ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَعَالِيسُ .

وكتب إلى أخيه له : أما بعدُ : فإن الصديق أمانةٌ ،
والكذب خيانةٌ ، والإنصاف راحةٌ ، والإلحاح وقاحةٌ ،
والتواني إضاعةٌ ، والصحة بضاعةٌ ، والحزم كياسةٌ ،
والأدب سياسةٌ .

وقال : يابن آدم . اصحب الناس بآي خُلُق شئت
يصحبوك بمثله .

(١) الحيف : الظلم والجور .

وقال : الرجالُ ثلاثةٌ ، رجلٌ بنفسه ، وآخر بلسانه
وآخر بماله .

وقال له رجلٌ : لي بُنيَّةٌ وأنها تُخطبُ . فمَسَّنْ
أزواجُها ؟ قال : ؛ وجَّها ممن يتقي الله فإنَّ أحبَّها أكرمُها ،
وإن أبغضها لم يُظلمها .

وقال : كنا في أقوامٍ يخزنونُ ألسنتهمُ ، ويُسْفِقونُ
أوراقهمُ ، فقد بقينا في أقوامٍ يخزنونُ أوراقهمُ (١) ،
وينفقونُ ألسنتهمُ .

وكتب إلى عُمَرُ بن عبدِ العزيز . أمَّا بعدُ : فكأنتك
بالدنيا لم تكن ، وكأنتك بالآخرة لم تنزل .

وقيل له في أمير قَدِيمِ البصرة ، وعليه دينٌ قد
قضاهُ . فقال : ما كان قطُّ أكثرَ ديناً منه الآن .

وقال : ينادي مناد يوم القيامةِ : من له عَسَلَى اللهُ
أجرٌ فليقمُ ، فيقومُ العافونُ عن الناسِ . وتلا قوله
تعالى : « فمن عفا ، وأصلح فأجره على الله (٢) » .

(١) الأوراق : جمع ورق ، وهو المال .
(٢) سورة الشورى : ٤٠ . وأولها « جزاء سيئة سيئة مثلها » .

اجْتاز نَخَاسٌ^(١) مع جارية به . فقال أتبيعها ؟
قال : نعم . قال : أفترضى أن تقبض ثمنها الدرهم
والدرهمين حتى تستوفي ؟ قال : لا : قال : فإن الله
عزَّ وجلَّ قد رضي في الحُور العين بالفلسِ والفلسين .
وقيل له : ما بالُ الناس يُكرمون صاحب المال ؟
قال : لأن عشيقهم عنده .

وكان بلالُ بن أبي بُردة أكلوا . فقال الحسنُ فيه :
يتكىء على شماليه ويأكل غير مآله ، حتَّى إذا كظَّه
الطعامُ يقولُ : ابغُوني هاضوماً . ويلك ! ! وهل
تهضم إلا دينك ! !

وكان الحسنُ إذا دخل نَحْتَهُ^(٢) تنحى عن مكانه له ،
ويقول : مرحبا بمن كفى المونثة ، وستر العورة .
ومن كلامه : مسكينُ ابنُ آدم ، مكتومُ الأجل
والعبال ، أسيرُ الجوع والشَّبع .

(١) النخاس : تاجر الرقيق .

(٢) النحت : كل ما كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها ، وكذلك زوج

البنات وزوج الأخت . والمراد هنا : زوج البنات أو الأخت .

ونظر إلى جنازة قد ازدحم الناسُ عليها ، فقال :
مالكمُ تزدحمون ؟؟ ها هي تلك ساريتُهُ (١) في المسجد .
اقعدوا تحتها ، واصنعوا ما كان يصنعُ حتى تكونوا مثله .
وقال لشيخ في جنازة : أتُرى أن هذا الميِّت لو رجع
إلى الدنيا يعملُ عملاً صالحاً ؟ قال : نعم . قال له :
إن لم يكن ذلك فكُنْ أنت ذلك .

ونظر إلى قصورِ المهالبة ، فقال : يا عجباً رفعوا
الطين ، ووضعوا الدين ، وركبوا البراذين ،
واتخذوا البساتين ، وتشبهوا بالدهاقين (٢) « فذرهم
في غمرتهم حتى حين (٣) » .

وكان يقول في دعائه : اللهم إننا نعوذُ بك أن نملَّ
معافاتك . فقيل له في ذلك .

فقال : أن يكون الرجلُ في خفض عيش فتدعوهُ نفسهُ
إلى سفَر .

(١) السارية : الاسطوانة أو العمود الذي يقام عليه المسجد .

(٢) الدهاقين : المفرد : دهقان : رئيس القرية ، ورئيس الإقليم .

(٣) سورة المؤمنون : ٥٤ .

ودخل إلى مريض قد أبلّ من عنته ، فقال له :
إنّ الله ذكرك فاذكّره . وأقالك (١) فاشكّره .

ويقالُ : إنّ أوّل كلامه أنّه صلّى يوماً بأصحابه ،
ثم انفل ، وأقبل عليهم ، فقال : أيها الناسُ ، إنّي
أعظُكُمْ ، وأنا كثيرُ الإسراف على نفسي ، غيرُ مصلح
لها ، ولا حامِلُها على المكروه من طاعة ربّها . قد بلوتُ
نفسي في السراء والضراء ، فلم أجِدْ لها كثيرَ شكر
عند الرّجاء ، ولا كبيرَ صبر عند البلاء ، ولو أنّ الرجل
لم يعظُ أخاه حتّى يحكم أمر نفسه ، ويكمل في الذي
خلق له من طاعة ربّه لقلّ الواعظونُ الساعون إلى الله
بالحثّ على طاعته ، ولكن في اجتماع الإخوان واستماع
حديث بعضهم من بعض حياة للقلوب ، وتذكير من
التّسيان . أيها الناسُ إنّما الدنيا دارٌ من لادار له ، وبها
يفرحُ من لاعتقل له ، فأنزّلوها منزلتها . ثم أمسك .

(١) أقالك فاشكّره : يقال : أقلته البيع إقالة : قبلت فسسخه للبيع .

والمعنى : أنقذك بقدّم شكرك له .

ولمَّات أخوهُ بكى ، فقيل له : أتبكي يا أبا سعيد ؟
فقال : الحمد لله الذي لم يجعل الحزن عاراً على يعقوب (١)
وقال : إذا خرجت من منزلك فلقيت من هو أسنُّ
منك فقل : هذا خيرٌ منِّي عبد الله قبلي ، وإذا لقيت
من هو دونك في السنِّ فقل : هذا خيرٌ منِّي عصيتُ
الله قبله . وإذا لقيت من هو مثلك فقل : هذا خيرٌ
منِّي أعرفُ من نفسي مالا أعرفُ منه .

وكان يقولُ : يا عجباً لقومٍ قد أمروا بالزاد ، وأوذتوا
بالرحيل ، وأقام أولهـم على آخرهم . فليست شعري
مالذي ينتظرون ؟

ونظر إلى الناس في مصلى البصرة يضحكون ،
ويلعبون في يوم عيد ، فقال : إنَّ الله — عزَّ وجل —
جعل الصوم مضماراً لعباده ليستبقوا إلى طاعته ، ولعمري
لو كشف الغطاء لشغل محسنٌ بإحسانه ، ومسيئٌ
بإساءته عن تجديده ثوب ، أو ترطيل شعر (٢) :

(١) يشير إلى بكاء يعقوب عليه السلام حزناً على يوسف وأخيه
حتى ابيضت عيناه .

(٢) رطل شعره : ليته بالدهن وكسره وثناه .

وكان يقول : اجعل الدنيا كالتنظرة تجوزُ عليها
ولا تعمِّرْها .

وقال : تلقى أحدهم أبيض بضاً يملخُ في: (١) الباطل
مَلَخاً ، يَنْفُضُ مَدْرُوبِهِ (٢) ، ويضربُ أَصْلَرِيه ، يقولُ
هَذَاذَا فاعْرِفُونِي . قد عرفناك ، فمَتَمَّتْكَ اللهُ ومَتَمَّتْكَ
الصَّالِحُونَ .

وقال : نِعِمُّ اللهُ أَكْثَرُ من أن تُشْكِرُ إلا ما أَعَانَ عليه .
وذَنُوبُ ابنِ آدَمَ أَكْثَرُ من أن يَسْلَمَ منها إلا ما عَفَا عنه .
وكان يقولُ : ليس العَجَبُ مِمَّنْ عَطَبُ كَيْفَ عَطَبُ ؟
إنما العَجَبُ مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا ؟

وكان يقولُ : حَادِثُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ فَإِنَّهَا سَرِيعَةٌ
الدُّثُورُ ، واقْدَعُوا هَذِهِ الْأَنْفُسَ فَإِنَّهَا طَائِعَةٌ (٣) ،
فإنَّكُمْ إلا تَقْدَعُوهَا تَنْزِعَ بِكُمْ إلى شَرِّ غَايَةٍ .

(١) يملخ في الباطل : الملمخ - كالمنع : السير الشديد ، والتردد في
الباطل وإكثاره .

(٢) المذروان : فرعا الأليتين ، والمتكبين ، وطرفا كل شيء .
والمراد بهما هنا فرعا المتكبين . ويقال ذلك للرجل إذا جاء باغيا يتهدد .

(٣) طلعة : كثيرة التطلع إلى الشيء .

وقال لمطرف (١) بن عبد الله بن الشيخير : يامطرفُ ،
عظُّ أصحابك . فقال مطرفُ : إني أخافُ أن أقولَ مَلا
أفعلُ . فقال الحسنُ : يرحمك اللهُ وأيتنا يفعلُ مايقولُ ؟
يودُّ الشيطانُ أنه ظفرُ بهذهِ منكم ، فلمْ يأمرُ أحدٌ
بمعروف ، ولم يته عن منكر .

وكان يقولُ : ما حاجةُ هؤلاءِ ، السلطانُ إلى الشرطِ .
فلمَّا ولي القضاةَ ، كثرُ عليه الناسُ فقال : لا بُدَّ
للنَّاسِ مِن وزعةٍ (٢) .

وكان يقولُ : لسانُ العاقلِ مِن وراءِ قلبه فإن
عرض له القولُ نظر ، فإن كان له أن يقولَ قال ، وإن كان
عليه القولُ أمسك ، ولسانُ الأحمقِ أمامَ قلبه فإذا عرض
له القولُ قال عليه أو له .

وقال : أو لم يُصب ابنُ آدمُ إلا الصحة والسلامة
لأوشكا أن يرداه إلى أرذلِ العمرُ فحدثَ بذلك محمدُ بنُ

(١) هو مطرف بن عبد الله بن الشيخير بن عوف .. كان فقيها ،
وكان لوالده عبد الله صحبة ، وكان مطرف من أعبد الناس وأنسكهم .
وقد توفي سنة ٥٨٧ هـ .

(٢) وزعة : جمع وارع ، وهو الحابس العسكر الموكل بالصفوف .

جعفر فأعجبه ، وقال : سبحان الله ما أعجب كلام
العرب وأشبهَ بعضه ببعض ؟؟ والله لكأنَّ النَّمْرَ بن
تَوَلَّيبَ (١) سمع هذا . فقال :

يسرُّ الفتى طولُ السَّلَامَةِ جاهداً
فكيفَ ترى طولُ السَّلَامَةِ يفعلُ ؟
وقال حُمَيْدُ بنُ نُورٍ (٢) .

* وحسبُك داءً أنْ تصحَّ وتسلِّما *

وكان يدعو ويقولُ : اللهم أعطنا قوةً في عبادتك ،
وبصرآ في كتابك ، وفهماً في حكمك ، وآتنا كِفَافَيْنِ (٣)
مِنْ رَحْمَتِكَ . بِيَضِّ وَجْوهِنَا بنُورِكَ ، واجعلْ
راحتِنَا في إقامتِكَ ، واجعلْ رَغبتِنَا فيما عندَكَ مِنْ
الخيرِ . اللهم إِنَّا نعوذُ بِكَ مِنَ العجزِ والكسلِ ، والمهرَمِ ،
والجُبْنِ ، والبُخلِ . اللهم إِنَّا نعوذُ بِكَ مِنَ قُسُوبِ

(١) هو النمر بن تولب بن أقيش ، شاعر ، مقل ، مخضرم أدرك
الجاهلية ، وأسلم فحسن إسلامه ،
(٢) صدر البيت :

(*) أرى بصري قد راينني بعد صحة * وحميد بن نور شاعر مخضرم

(٣) الكفل : النصيب .

لا نخشع ، وأذنبفس لا تشيع ، اللهم إنا نعوذُ بكَ أنفسنا
وأهلينا وذرائبنا من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

وقال : إِنَّمَا تَعَطُّ مُسْتَرْتَشِدًا لِيَفْهَمَ ، أو جاهلاً
ليَتَعَلَّمَ ، فأَمَّا مَنْ وَضَعَ سَيْفَهُ وَسَوْطَهُ وَقَالَ : احذرنِي
فَمَا لَكَ وَلَهُ ؟

وقال : إِنَّ قَوْمًا لَبِسُوا هَذِهِ الْمِطَافَةَ الْعِتَاقَ ،
وَالْعِمَامَةَ الرَّقَافَ ، وَأَوْسَعُوا دُورَهُمْ ، وَضَيَّقُوا
قُبُورَهُمْ ، وَأَسْمَنُوا دَوَابَّهُمْ ، وَأَهْزَلُوا دِينَهُمْ ، طَعَامُ
أَحَدِهِمْ غَضْبٌ ، وَخَادِمُهُ سُخْرَةٌ ، يَتَكَيءُ عَلَى شِمَالِهِ ،
وَيَأْكُلُ مِنْ غَيْرِ مَالِهِ ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَتْهُ الْكُظَّةُ ،
قَالَ : هَلْمِي يَا جَارِيَةَ هَاضُومًا ، وَيَلِك !! وَهَلْ تَحْطُمُ
إِلَّا دِينَكَ ؟ .. أَيْنَ مَسَاكِينِكَ ؟ أَيْنَ يَتَامَاكَ ؟ أَيْنَ مَا أَمْرَكَ
اللَّهِ بِهِ . أَيْنَ ؟ أَيْنَ ؟ .

ورأى رجلاً يشي مشيةً منكراً . فقال : يَخْلُجُ (١)
فِي مَشِيهِ خَلَجَانِ الْمَجْنُونِ . لِأَنَّهُ فِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ
لَقَمَةٌ ، وَالشَّيْطَانُ لِعَبَةٍ .

(١) يخلج في مشيه : يضطرب .

كان أبو الحسن اسمه يساراً ، واسم أمه خيرة ،
 مولاة لأم سلمة أم المؤمنين ، وكانت خيرة ربّما
 غابت فيبكي الحسن فتمطيه أم سلمة ثديها تعلقه به ،
 إلى أن تجيء أمه فدرّ عليه ثديها . فيرون أن تلك
 الحكمة ، والفصاحة ، من بركة ذلك . ونشأ الحسن
 بوادي القرى (١) .

وشكا إليه رجل ضيق المعاش ، فقال : ويحك !!
 أهاهنا ضيق أو سعة إنسا الضيق والسعة أمامك .

وقال : اولاً قصبه رحيم الناس ما قامت الدنيا .

وقال : يا بن آدم : إنما أنت عدد أيتامك إذا
 مضى يوم مضي بعضك .

وتذاكروا عنده أمر الصحابة . قال الحسن :
 رحمهم الله ، شهدوا وغبنوا وعلموا وجهلنا ،
 وحفظوا ونسينا . فما أجمعوا عليه اتبعناه ، وما
 اختلفوا فيه وقفناه .

وقال : حق الوالد أعظم وبر الوالدة ألزم .

(٣) وادي القرى : مكان قريب من المدينة ، ولد به الحسن البصري .

وقال : عاشرُ أهلِكَ بأحسنِ أخلاقِكَ ؛ فإن
الثَّوَاءَ فِيهِمْ قَلِيلٌ (١) .

وقال : السُّؤَالُ نِصْفُ الْعِلْمِ ، وَمُسَدَّارَاهُ النَّاسِ
نِصْفُ الْعَقْلِ ، وَالْقَصْدُ فِي الْمَعِيشَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ . وَمَا
عَالَ مُقْتَصِدٌ .

وقال : خَفِيَ اللَّهُ خَوْفًا تَرَى أَنْتَ لَوْ أَتَيْتَهُ بِحَسَنَاتٍ
أَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَقْبَلْهَا مِنْكَ وَارْجُ اللَّهَ رَجَاءً تَرَى أَنْتَ
إِنْ أَتَيْتَهُ بِسَيِّئَاتٍ أَهْلَ الْأَرْضِ غَفَرَهَا لَكَ .

وقال : مَا اسْتَوْدَعَ اللَّهُ رَجُلًا عَقْلًا إِلَّا اسْتَنْقَذَهُ
بِهِ يَوْمًا مَا .

وقال : الْمُؤْمِنُ لَا يَحْزِنُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا
يَأْتُمُّ فَيَسِنُ وَيَحِبُّ .

ودخل إليه أمردٌ حسنُ الوجهِ : فالتفت إلى
أصحابه ، فقال : لقد ذكرني هذا القتي الحور العين .
ووليد له غلامٌ فقال له بعضُ جلسائِهِ :

(١) الثَّوَاءُ فِيهِمْ قَلِيلٌ : الإقامة بينهم قصيرة .

بارك الله لك في هيبته ، وزادك في نعمته . فقال الحسن :
الحمد لله على كل حسنة ، ونسأله الزيادة من كل
نعمة ، ولا مرجحاً بمن إن كنت مُقِلاً أنصِبتني ،
وإن كنت غنياً أذهلني لا أرضى بسعبي له سعياً ،
ولا بكدي عليه في الحياة كدّاً ، حتى أشفق عايبه بعد
وفاقي من الفاقة ، وأنا في حال لا يصل إلي من هممه
حزنٌ ، ولا من فرحه سرورٌ .

وقال : عز الشريفة أدبه ، وعز المؤمن استغناؤه
عن الناس .

وقال : العام في الصغر كالنقش على الحجر ،
وفي الكبر كالرقم على الماء .

وقال : ما أنعم الله على عبد نعمة إلا وعليه
فيها تبعه إلا سليمان فإن الله قال : « هذا عطاؤنا
فامنن أو أمسك بغير حساب » (١) .

(١) سورة ص ٣٩ .

وقال : لا أبالك ، إن لم تكن حليماً فتحلّم فإنه
قلّ رجل يتشبهه بقوم إلاّ أو شك أن يكون منهم .

وقال : لا تشترين عداوة رجل بمودة ألف رجل .
وقيل أهلك فلان فجأة . فقال : لو لم يهلك
فجأة لمرض فجأة .

وقال : من زهّد في الدنيا ملكها ، ومن رغب
فيها عبدّها .

قال له رجل : يا أبا سعيد ، ما تقول في الغناء ؟
قال : نعم الشيء الغنى تصل به الرّحيم ، وتفكّ به
العاني ، وتفسّس به عن المكروب .

قال : لست عن هذا أسألك ، إنما أسألك
عن الغناء . قال : وما هو أتعرف منه شيئاً ؟ قال :
نعم : قال : فهانئ : فاندفع بعيني ، ويأسوي
شديقيته ، ومنحريته ، ويكسر عينيته : قال :
فبهت الحسن ، وجعل يعزّب عنه بعض عقله
حتى فعل كما فعل الرجل بتحريك عينيته ،

وَكَسَّرَ حَاجِبِيهِ ، ثُمَّ قَالَ لَمَّا تَنَبَّهَ مِنْ سِنْتِيهِ : أَمْسِكْ
بَاهُنَا ، قَبِّحَ اللَّهُ هُمْدَا ، مَا كُنْتُ إِلَّا نِي حُلْمٍ .

قَالُوا : وَلِيَّ الْحَسَنُ الْقَضَاءُ فَمَا حُمِدَ . يَرِيدُ
أَنَّهُ لَوْ حُمِدَ لِإِنْسَانٍ فِي وِلَايَةِ أَوْ قَضَاءٍ لِحَمِيدِ الْحَسَنِ هـ

وَقَالَ : يَا بَنَ آدَمَ تَعَفَّفْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَكُنْ
عَابِدًا ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ مِنْ الرِّزْقِ تَكُنْ
غَنِيًّا . وَصَاحِبِ النَّاسِ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُصَاحِبُوكَ بِهِ
تَكُنْ عَدْلًا ، وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ فَإِنَّهُ يُمِيتُ
الْقَلْبَ . لَقَدْ كَانَ قَبْلَكَ أَقْوَامٌ جَمَعُوا كَثِيرًا ،
وَأَمَلُوا بَعِيدًا ، وَبَنَوْا شَدِيدًا ، فَأَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُورًا ،
وَمَسَاكِنُهُمْ قُبُورًا ، وَأَمَلْتُهُمْ غُرُورًا .

وَقَالَ : يَا بَنَ آدَمَ لَا تُجَاهِدِ الطَّلَبَ (١) جِهَادَ
الغَالِبِ ، وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى الْقَدَرِ اتُّكَّالَ الْمُسْتَسْلِمِ ؛

(١) الطلب : الجري والسعي وراء الرزق ، والمراد : لا تحاول
الإلحاح في الحصول على طايتك .

فإنَّ ابتغاءَ الفضلِ مِنَ الشَّرِّةِ (١) ، والإجمالَ
في الطَّلَبِ مِنَ العِفَّةِ ، وليستِ العِفَّةُ بدافعةٍ رزقاً ،
ولا الحرصُ بِجالبِ فضلاً ، وإنَّ مِنَ الحرصِ اكتسابَ
الإثمِ .

(١) الشرة : شرة الشباب : حرصه ونشاطه .

الباب العاشر

نُكِّتَ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخَةِ

خَطَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى الْعِظَةِ قَامَ إِلَيْهِ
 رَجُلٌ مِنْ آلِ صُوحَانَ (١) . فَقَالَ : مَهْلًا مَهْلًا ،
 تَأْمُرُونَ فَلَا تَأْتَمُرُونَ ، وَتَسْنَهُونَ وَلَا تَنْتَهُونَ ،
 وَتَعْظُونَ وَلَا تَسْعَظُونَ . أَفَنَقْتَدِي بِسِيرَتِكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ
 أَمْ نُنْطِيعُ أَمْرَكُمْ بِالْأَسْنَتِكُمْ ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ : اقْتَدُوا
 بِسِيرَتِنَا فَأَنْتِ ؟ وَكَيْفَ ؟ وَمَا الْحِجَّةُ ؟ وَمَا النَّصِيرُ
 مِنْ اللَّهِ بِاقتداءِ سيرةِ الظَّالِمَةِ الفَاسِقَةِ ، الجَوْرَةِ الَّذِينَ
 اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا (٢) ، وَعبيدَهُ خَوَلًا (٣)

(١) آل صوحان : ينسبون إلى صعصة بن صوحان بن حجر بن
 الحارث العبدي من سادات عبد القيس من أهل الكوفة كان خطيباً بيتاً
 عاقلاً له شعر .

(٢) اتخذوا مال الله دولا : جمع دولة بالضم ، أي جعلوه متداولاً
 بينهم ، مرة لهذا ومرة لهذا .

(٣) خولا : الخول : ما أعطاك الله من النعم - محرّكة - والعبيد
 والإماء وغير ذلك من الحاشية ، وهو يطلق على الواحد والجمع والذكر
 والأنثى .

وَلِإِنْ قُلْتُمْ : اِقْبَلُوا نَصِيحَتَنَا ، وَأَطِيعُوا أَمْرَنَا ،
فَكَيْفَ يَنْصَحُ لغيره مَنْ يَعْشُ نَفْسَهُ . أَمْ كَيْفَ
تَجِبُ الطَّاعَةُ لِمَنْ لَمْ تَثْبِتْ عِنْدَ اللَّهِ عِدَالَتَهُ ؟ وَلِإِنْ
قُلْتُمْ خُذُوا الْحِكْمَةَ مِنْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهَا ، وَاقْبَلُوا
الْعِظَةَ مِمَّنْ سَمِعْتُمُوهَا فَعَلَامَ وَلَيْسِنَاكُمْ أَمْرَنَا ،
وَحَكْمَتِنَاكُمْ فِي دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ
فِينَا مَنْ هُوَ أَنْطَقُ مِنْكُمْ بِاللُّغَاتِ ، وَأَفْصَحُ بِالْعِظَاتِ ؟
فَتَحَلُّحَلُوا (١) عَنْهَا أَوْلَاً ، فَأَطْلِقُوا عِقَالَهَا ، وَخَسَمُوا
سَبِيلَهَا يَبْتَدِرُ لِإِثْمِهَا آلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهِمُ الدِّينَ شَرَّدْتُمُوهُمْ فِي الْبِلَادِ ، وَفَرَّقْتُمُوهُمْ
فِي كُلِّ وَادٍ ؛ بَلْ تَثْبِتُ فِي أَيْدِيكُمْ لِانْقِضَاءِ الْمُدَّةِ
وَبُئْسَ وَغِ الْمُهْلَةُ ، وَعِظْمُ الْمَحْنَةِ . لِيَنْ لِكُلِّ قَائِمٍ قَدْرًا
لَا يَعْدُوهُ وَيَوْمًا لَا يَخْطُوهُ ، وَكِتَابًا بَعْدَهُ يَتْلُوهُ
«لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ، وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا» (٢) .

(١) أي تحولوا .

(٢) سورة الكهف : ٤٩ .

« وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » (١) .
قال ثمَّ أَجْلِسَ الرَّجُلُ فطَلِبَ فَلَمْ يُوَجَدْ .

قال يونس (٢) : قلت للخليل (٣) : ما بالُ
أصحابِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم كأنهم بنو
أمٍّ وإخوة ، وعيليُّ كأنَّه ابنُ علة (٤) فقال لي : من
أين لكَ هَذَا السُّؤال ؟ فقلت : أريد أن تجيبني . قال
عاليُّ أن تكتُم عليَّ ما دمتُ حيًّا . قلت : أجلُ .
قال : تقدّمهم إسلاماً ، وبندهم شرفاً ، وفاقهم علماً ،
ورجحتهم حانئاً ، وكمّان أكثرتهم زهداً ، فخرسوه
والناسُ إلى أشكاليهم أميل .

سُئِلَ أحمدُ بنُ حنبلٍ (٥) عن قول الناس :

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ وأولها : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات

(٢) هو يونس بن حبيب من أعلام النحاة في العصر العباسي .

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض ، وصاحب

كتاب العين وكتاب الخليل .

(٤) العلة : الضهرة

(٥) هو الإمام أبو عبيد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي

الأصل . ولد ببغداد في شهر ربيع الأول سنة ٨١٦ هـ . وكان إمام المحدثين .

عليّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ . فَقَالَ : هَذَا صَحِيحٌ لِأَنَّ
النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِعَلِيٍّ : « لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ
وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ » وَالْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ وَالْمُنَافِقُ
فِي النَّارِ .

* * *

الباب الحادي عشر

كلامُ الخوارج (١)

مِنْ كَلَامِ أَبِي حَمْزَةَ (٢) : تَقْوَى اللَّهِ أَكْرَمُ
سَرِيرَةً ، وَأَفْضَلُ ذَخِيرَةً ، مِنْهَا ثِقَةٌ الْوَائِقِ ،
وَعَلَيْهَا مِقْتَةُ الْوَامِقِ . لِيَعْمَلَ امْرُؤٌ فِي فِكَكَكَ تَقْوِيَهُ وَهُوَ
رُخِيٌّ (٣) اللَّسْبَبِ ، طَوِيلُ السَّبَبِ ، وَلِيَعْرِفَ مَمَدَّ
يَدِهِ ، وَمَوْضِعَ قَدَمِهِ ، وَيَحْتَدِرَ الزَّلِيلَ وَالْعَلِيلَ
الَّتِي تَقْمَطَعُ عَنِ الْعَمَلِ . رَحِيمَ اللَّهِ عَبْدًا آثَرَ التَّقْوَى ،
وَاسْتَشْعَرَ شِعَارَهُمَا وَاجْتَنَنِي ثِمَارَهَا . بَاعَ دَاوَرَ
النَّفْسِ بَدَارَ الْآبِدِ . الدُّنْيَا كَرُوضَةٌ اعْتَمَّ مَرْعَاهَا ،

(١) الخوارج : هم أتباع أقدم الفرق الإسلامية . وترجع أهميتهم إلى
أقوالهم ، في نظرية الخلافة ، وفي الإسلام الصحيح ، وهل يكون بالإيمان
والعمل ؟ وقد ترتب على معتقدتهم هذا قيامهم بثورات محلية عكرت صفو
السلام في الدولة الإسلامية .

(٢) أبو حمزة هو : يحيى بن المختار بن عوف بن سليمان بن
مالك الأزدي السليبي البصري ، فائز فتاك ، من الخطباء القادة .

(٣) المراد : وهو في مقتبل عمره .

وأعجبت مَنْ يَرَاهَا ، تَمُجُّ عروقُهَا الثَّرَى ، وتَنْطَفُ (١)
 فروعها النَّدَى ، حتَّى إذا بَلَغَ العُشْبُ لِإِنَاهُ (٢) ، وانْتَهَى
 الزُّبْرُجُ (٣) مَتْنَهَا ، ضَعْفَ العَمُودُ ، وذَوَى العُودُ ،
 وتَوَلَّى مِيزَانَ مَالَا يَعود ، فَحَمَّتِ الرِّيحُ الوَرَقَ ،
 وفَرَّقَتْ مَا اتَّسَقَ ، « فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَدْرُوهُ الرِّيحُ
 » وَكَانَ اللهُ عَلَيَّ كَمَلٌ شَيْءٌ مُقْتَدِرًا » (٤)

كان شبيب (٥) يقولُ : الليلُ يَكْفِيكَ الحَبَانَ
 وَنِصْفَ الشُّجَاعِ .

أَتَيْتِ الحِجَابُ بِامْرَأَةٍ مِيزَانَ الخَوَارِجِ ، فَقَالَ لِيَمَنْ
 حَضَرَ : مَا تَرَوْنَ فِيهَا ؟ قَالُوا : اقْتُلْهَا . فَقَالَتْ :

(١) تنطف فروعها : تنطفت : تفرمت ، ووصيفة منطفة أي
 مقرطة .

(٢) بلغ إناه : - ويكسر - بلغ غايته أو نضجه وإدراكه .

(٣) انتهى الزبرج متناه : الزبرج - بكسر الزاي - الزينة من
 وشي أو جوهر .

(٤) سورة الكهف : ٤٥ .

(٥) شبيب الخارجي هو : شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني ،
 أبو الضحاك من أبطال العالم ، وأحد كبار الثائرين على بني أمية ومات غرقاً .

جُلُوساً أُخِيكَ خَيْرٌ مِّنْ جُلُوسَاتِكَ : قال : وَمَنْ أُخِي ؟ قَالَتْ : فِرْعَوْنُ : لَمَّا شَاوَرَ جُلُوسَاءَهُ فِي مُوسَى « قَالُوا أَرْجِيهِ وَأَخَاهُ وَأَبْنَعْتُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ » (١) فَأَمَرَ بِقَتْلَيْهَا .

مرَّ رجلٌ من الخوارج بدارِ ثُبَيٍّ ، فقال : مَنْ هَذَا الَّذِي يَبْقِمُ كَفِيلاً ؟

أخذ ابنُ زيادٍ ، ابنَ أديَّةَ (٢) : أَخَاهُ بِلَالٍ ، ففُتِحَ يَدَيْهِ ، وَرَجُلِيهِ ، وَصَلَبَهُ عَلَى بَابِ دَارِهِ فَقَالَ لِأَهْلِهِ وَهُوَ مُصَابُوبٌ : انظروا إِلَيَّ هُوَلاءِ الْمُؤَكَّدِينَ بِي فَأَحْسِنُوا لِي بِهِمْ فَلَهُمْ أَضْيَافُكُمْ .

أُتِيَ عَتَّابُ (٣) بِنُورِ رِقَاءٍ بامرأةٍ من الخوارج فقال لها : يا عدوةَ اللهِ ، ما دعائكِ إِلَيَّ الخروجِ ؟ أَمَا سَمِعْتِ اللهُ تَعَالَى يَقُولُ :

(١) سورة الشعراء : ٣٦ .

(٢) عروة بن أديّة هذا هو الذي قتله عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان

فيمت قتل من الخوارج سنة ٥٥٨ هـ .

(٣) هو عتاب بن ورقاء الرياحي .

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا
وعلى الْمُحْصَنَاتِ جُرْثُ الدُّيُولِ
فقالت : يا عدوَّ الله ، أخرجني قلةً معرفتك بكتاب الله .

خُطْبَةُ قَطْرِيِّ بْنِ الْفُجَاءَةِ (١)

أمَّا بعدُ : فإني أحذرُكم الدنيا فإنها حلوةٌ خَضِرَةٌ ،
حَفَّتْ بالشهواتِ وراقتْ بالقليلِ ، وتَحَبَّبَتْ لِعَاجِزَةٍ ،
وخلبتْ بالآمالِ ، وتزيَّنتْ بالغرورِ ولا تدومُ
حَبْرَتُهَا (٢) ، ولا تُؤمِّنُ فجيعةُها ، غرارةٌ ضرارةٌ ،
وحائلةٌ زائلةٌ ، وناقصةٌ بائدةٌ ، أكالةٌ غوالةٌ ،
لا تعدُّو — إذا تناهت إلى أُمْنِيَةِ أَهْلِ الرَغْبَةِ فِيهَا ، والرِّضَا
عنها — أنْ تكونَ كما قال اللهُ تعالى : « كما أنزلناهُ
من السماء ، فاختلطَ به نَبَاتُ الأَرْضِ فأصْبَحَ هَشِيمًا
تذروه الرياحُ وكانَ اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقْتَدِرًا (٣) » .

(١) هو أبو نعامة قطري بن الفجاءة ، واسمه جعونة بن مازن بن
يزيد ، والفجاءة أمه وكان أطول الخوارج أياما وأحدهم شوكة وكان شاعرا
جوادا وخطيبا مشهورا وقد توفي سنة ٥٧٨ هـ .

(٢) الخيرة : النعمة .

(٣) سورة الكهف : ٤٥ . وأولها « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا » .

مع أن امرأ لم يكن منها في حبرة (١) إلا أعقبته
 بعدها عبدة ، ولم يلق من سرائها بطناً إلا منحتة
 من ضرائها ظهراً ، ولم تظله غيمته رخاء إلا هطلت
 عليه مزنة بلاء ، وحريرة إذا أصبحت له منتصرة ،
 أن تسمي له خاذلة متكررة ، وإن جانب منها
 اعتد وذب واحملواي أمر عليه منها جانب وأوبى (٢) .

وإن أتت امرأ من غضارتها ورقاً أرهقته من
 نوائبها تبعاً ولم يمس منها امرؤ في جناح أمن إلا
 أصبح منها على قوادم خوف . غرارة ، غرور ما فيها ،
 فانية فان من عايتها . لاخير في شيء من زادها
 إلا التقوى . من أقل منها استكثر مما يؤمنه ، ومن
 استكثر منها استكثر مما يؤمنه (٣) ويظيل حزنه ،
 ويبكي عينه ، كم واتق بها فجعته ، وذي طمأنينة
 إليها قد صرعته ، وذي احتيال فيها قد خدعتة ، وكم

(١) الخبرة : البهجة والنضارة .

(٢) أوبى : أي صار فيه الوباء فهو مسهل من أوبأ .

(٣) يوبق : يهلك .

ذِي أَبْهَةٍ فِيهَا قَدْ صَيَّرْتَهُ حَقِيرًا ، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتَهُ ذَلِيلًا ، وَمِنْ ذِي تَاجٍ قَدْ كَبَّرْتَهُ لِلْيَدِينِ ، وَلِلْفَمِّ .

سُلْطَانُهَا دُؤْلٌ ، وَعَيْشُهَا رَنْقٌ (١) وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ ، وَحُلُوهَا صَبِيرٌ (٢) ، وَغَدَاؤُهَا سِمَامٌ ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ (٣) ، وَقَطَافُهَا سَلْعٌ (٤) ، حَيْثُهَا بَعْرَضٍ مَوْتٌ ، صَحِيحُهَا بَعْرَضٍ سَقَمٌ ، مَنِيْعُهَا بَعْرَضٍ اهْتِضَامٌ .

مَتَلِكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَسَالِمُهَا مَسْكُوبٌ ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ (٥) ، مَعَ أَنَّ وِرَاءَ ذَلِكَ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ ، وَهَوْلَ الْمَطْلَعِ ، وَالْوَقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ الْحُكْمِ الْعَدْلِ « لِيَعْجِزِيَّ الدِّينَ أَسَاعُوا بِمَا عَمَلُوا وَيَعْجِزِيَّ الدِّينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٦) » .

أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ

(١) عيشها رنق : كدر .

(٢) حلوها صبر : الصبر ككتف : عصارة شجر مر .

(٣) أسبابها رمام : واهية .

(٤) وقطافها سلع : السلع - بتحريك اللام - شجر مر .

(٥) محروب : مسلوب .

(٦) سور النجم : ٣١ .

أَعْمَاراً ، وَأَوْضَحَ مِنْكُمْ آثَاراً ، وَأَعَدَّ عَدِيداً ، وَأَكْثَفَ
جُنُوداً ، وَأَشَدَّ عُنُوداً .

تُعَبِّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعْبِيدٍ ، وَآتَرُوهَا أَيَّ لِإِثَارٍ ،
وَضَعَمْتُمْ عَنْهَا بِالْكُفْرِ وَالصَّغَارِ فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا
سَمَحَتْ لَكُمْ نَفْساً بِنَفْسٍ ، أَوْ أَغْنَتْ عَنْكُمْ فِيمَا قَدْ
أَهْلَكْتَهُمْ بِخَطْبٍ ؟ بَلْ قَدْ أَرْهَقْتَهُمْ بِالْفَوَاحِ ،
وَضَعَضْتَهُمْ بِالنَّوَابِ ، وَعَقَرْتَهُمْ بِالْفَجَائِعِ . وَقَدْ
رَأَيْتُمْ تَنْكِبُوهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا ، وَآتَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا ،
حِينَ ظَنَمْتُمْ عَنْهَا إِفْرَاقَ الْإَبَدِ إِلَى آخِرِ الْمُسْتَدِ (١) .
هَلْ زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا السَّعْبَ ، وَأَحْلَسْتَهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ،
أَوْ نَوَّرْتَهُمْ إِلَّا الظُّنْمَةَ أَوْ أَعْقَبْتَهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ؟
أَفَهَذِهِ تُؤَثِّرُونَ أُمَّ عَلَى هَذِهِ تَحْرِيصُونَ ؟ أَمْ إِلَيْهَا
تَطْمِئِنُّونَ ؟

يَقُولَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « مَنْ كَانَ يُرِيدَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُبْخَسُونَ (٢) » . فَبَيْتُ الدَّارِ لِمَنْ أَقَامَ فِيهَا .

(١) آخر المسند : المراد الدهر يقال لا آتية أبد المسند أي أبداً .

(٢) سورة هود : ١٥ .

فاعلموا - وأنتم تعلمون - أنكم تار كؤها لا بُدَّ ،
 فإنَّما هي كما وصفها اللهُ باللَّعب ، واللَّهو . وقد قال
 اللهُ تعالى : « أَتَيْبُونَ بِكُلِّ رَيْعٍ آيَةٌ تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ
 مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ
 جِبَارِينَ » (١) .

ذكر الذين قالوا : « مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً (٢) »
 ثم قال : حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رَكِبَانًا ،
 وَأُنزِلُوا فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وجعل اللهُ لهم من الضَّرِيحِ
 أَجْنَانًا (٣) ، ومن التُّرَابِ أَكْفَانًا ، ومن الرُّفَاتِ جِيرَانًا ،
 وهم جيرةٌ لا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، ولا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا .
 إنْ خَنَصُوا لَمْ يَنْفَرِحُوا ، وإنْ قَحَطُوا لَمْ يَقْنَطُوا .
 جَمِيعٌ وهم آحاد ، جيرةٌ وهم أبعادٌ ، مُتَنَائِمُونَ
 لا يزورون ولا يزَارُونَ .

(١) سورة الشعراء : ١٢٨ - ١٣٠ .

(٢) سورة فصلت : ١٥ « فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
 وَقَالُوا مِنْ أَشَدِّ مَنَا قُوَّةً » .

(٣) الأجنان : جمع جنين ، وهو الستر والمراد القبر .

حُلُمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهْلَاءُ قَدْ مَاتَتْ
أَحْقَادُهُمْ ، لَا يُخْشَى فِجْجُهُمْ ، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ ،
وَكَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « فَمَلَأْكَ مَسَاكِنَهُمْ لَمْ تَسْكَنْ
مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (١) » .
وَاسْتَبَدَّوْا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا ، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا ،
وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً ، فَفَارَقُوْهَا كَمَا
جَاءَهَا حُمْفَةٌ ، عُرَاةٌ ، فُرَادَى . غَيْرَ أَنْ ظَلَعْنَاهَا
بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ ، وَإِلَى خَالِدِ الْأَبَدِ . يَقُولُ
اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ
وَعَدًّا عَلَيْهِمْ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (٢) » .

فَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمْ اللَّهُ ، وَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ ،
وَاعْتَصِمُوا بِحَبِيبِهِ . عَصَيْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَرَزَقْنَا
وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ .

قَالُوا : لَمَّا أُخِيذَ (أَبُو) بَيْهَسَ (٣) الْخَارِجِيُّ ،

(١) سورة القصص : ٥٨ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) هو أبو يهيس هيصم بن جابر الضبي الخارجي وأتباعه يسمون
البيهسية إحدى فرق الخوارج .

وَقَطِيعَتُ يَدَاهُ ، وَرَجُلَاهُ ، تُرَاكُ يَتَمَرَّغُ فِي التُّرَابِ .
فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ : هَلْ أَحَدٌ يُفْرِغُ عَلَيَّ دَأْوِينَ ؟
فَإِنِّي احْتَلَمْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ . هَذَا إِنْ كَانَ صَادِقًا فَهُوَ
عَجِيبٌ ، وَإِنْ كَانَ قَالَهُ اسْتِهَانَةً بِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ
أَعَجَبٌ .

قال بعضهم : سمعتُ أبا بلال في جنازة وهو يقول :
أَلَا كُلُّ مَيْتَةٍ ظَنُونٌ (١) إِلَّا مَيْتَةَ الشَّجَّاءِ . قالوا :
وما مَيْتَةُ الشَّجَّاءِ ؟ قالَ : امرأةٌ أخذها زيادٌ فقطعَ
يدينها ، ورجليها ، فقبل لها : كيف تريينَ يا شجَّاءُ ؟
قالتُ : قد شغلني هولُ المطلِّعِ عن برِّدِ حديدِ يديكم .
قال الحجاجُ لامرأةٍ من الخوارج : اقرئي شيئاً من
القرآن . فقالتُ : « إذا جاء نصرُ الله والفتحُ ، ورأيتَ
الناسَ » يخرجون (٢) « فقالتُ : ويعحك يدخلكون .
قالتُ : قد دَخَأُوا ، وأنتِ تُخْرِجُهُمْ .

(١) كل مَيْتَةٍ ظَنُونٌ والمراد كسل مَيْتَةٍ تدل على ضعف الميت إلا
هذه المرأة الخارجية .

(٢) سورة النصر : ٢ ، ١ .

وقال الحجَّاجُ لِأُخْرَى : لِأَحْصِدْ نَبْكَمُ حَصْدًا .
قَالَتْ : أَنْتِ تَحْصِدُ ، وَاللَّهِ يَزْرَعُ ، فَانظُرِي أَيْنَ
قُدْرَةُ الْمُخْلُوقِ مِنْ قُدْرَةِ الْخَالِقِ ؟

رَأَتْ أُخْرَى مِنْهُمْ رَجُلًا بَصَافًا فَقَالَتْ إِنِّي لِأَرَى
وَجْهَهَا لَمْ يُؤْتَرُ فِيهِ وُضُوءُ السَّبْرَاتِ (١) .

كَانَ شَيْبُ الْخَارِجِيِّ (٢) يُسْعَى لِأُمِّهِ : فَيَسْأَلُ :
قُتِلَ : فَالَا تُصَدِّقُ ، إِلَى أَنْ قِيلَ لَهَا : غَرِيقَ
فَوَلَّوْتِ ، وَصَدَّقَتْ : فَتَقِيلُ لَهَا فِي ذَلِكَ . فَقَالَتْ
لِنَبِيِّ رَأَيْتُ حِينَ وَلَدْتُهُ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نَارًا فَعَلِمْتُ
أَنَّهُ لَا يُطْفِئُهُ إِلَّا الْمَاءُ .

وَقَفَ رَجُلٌ عَلَى أَبِي بِيْهَسَ وَقَدَّ أَمْرًا بَقَطَعَ
يَدَيْهِ وَرَجَالِيَةً فَقَالَ : أَلَا أَعْطَيْكَ خَسَاتِيمًا تَسْتَحْتَمُ بِهِ ؟
فَقَالَ لَهُ أَبُو بِيْهَسَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ إِنْ كُنْتَ مِنْ
العَرَبِ فَأَنْتَ مِنْ هَذِيلَ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنَ العَجَمِ فَأَنْتَ
بَرْبَرِيٌّ . فَسَمِعِلَ عَنَّهُ إِذَا هُوَ مِنْ هَذِيلَ وَأُمُّهُ بَرْبَرِيَّةٌ .

(١) السبرات : جمع السبرة - بفتح السين ، وهي الغداة الباردة .

(٢) هو شيب بن يزيد الخارجي صاحب الشيبية .

أتى رجلٌ من الخوارج الحسنَ البصري ، فقال له : ما تقولُ في الخوارج قالَ : همُ أصحابُ دُنْيَا ، وقالَ : ومن أين قلتَ وأحدَهُم يمشي في الرمح حتى ينكسر فيه ، ويخرج من أهله وولده ؛ فقال الحسنُ : حدثني عن السلطان أيمتُك من إقامَةِ الصلاة ، وإيتاءِ الزكاة ، والحجِّ والعُمرة ؟ قالَ : لا : قالَ : فأراهُ إنَّما منعتك الدنيا فقالت .

نزل رجلٌ من الخوارج على أخٍ له منهم في استتارةٍ من الحجَّاج ، وأرادَ صاحبُ المنزل سُخُوصاً إلى بلدٍ آخرَ لحاجةٍ له ، فقالَ لامرأته : يا زرقاءُ أوصيكِ بضيفي هَذَا خيراً . وتعمدَ لوجهته . فلمَّا عَادَ بَعْدَ شَهِرٍ قالَ لَهَا : يا زرقاءُ . كيفَ رأيتِ ضيفنَا ؟ قالتُ ما أشغَلَهُ بالعمى عن كُلهُ شيءٍ . وكانَ الضيفُ أطبَقَ عينه فلم ينظرُ إلى المرأةِ والمنزلِ إلى أنْ عَادَ زَوْجُهَا .

اجتمعَ ثلاثةٌ من الخوارج فعقد اثنانِ ليوأحيد ، وخرجوا يمشونَ خلفه ياتمسون شيئاً يركبهُ ،

فجعلَ الاثنان يتلاحيان (١) ، فالتمتَ إليهما وقالَ :
ما هذِهِ الصَّوْضَاءُ الَّتِي أَسْمَعُهَا فِي عَسْكَرِي ؟؟

كَبَّرَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَهَرَمَ حَتَّى لَمْ يَكُنْ بِهِ نَهْوُصٌ ،
فَأَخَذَ مَنْزِلًا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، فَكَلَّمَا جَاءَ مَطَرٌ
وَابْتَلَّتْ الْأَرْضُ أَخَذَ زُجَاجًا ، وَكَسَّرَهَا ، وَرَمَاهُ
فِي الطَّرِيقِ ، فَإِذَا مَرَّ إِنْسَانٌ وَعَقَّرَ (٢) رِجْلَهُ الزُّجَاجُ
فَقَالَ الْخَوَارِجِيُّ مِمَّنْ وَرَاءَ الْبَابِ ، لَأَحْكُمَنَّ إِلَّا لَيْلَةً
ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا مَجْهُودِي .

الْقِسِيِّ رَجُلٌ بَعْضَ الْخَوَارِجِ بِالْمَوْقِفِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ (٣)
فَقَالَ لَهُ : مَنْ حَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِمَّنْ أَصْحَابِكُمْ ؟
فَقَالَ : مَا حَجَّ غَيْرِي . فَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا بَاهَى اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَتَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِشِقِّ مُحْمَلِيهِ ؟

أَحْضَرَ الْحِجَابُ رَجُلًا مِمَّنْ الْخَوَارِجِ ، فَمَنَّ عَلَيْهِ ،
وَأَطْلَقَهُ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، قَالُوا لَهُ : إِنَّ اللَّهَ

(١) يتلاحيان : لجاه يلحره : شتمه .

(٢) عقر الزجاج : أي جرحه ، والعقر : الجرح .

(٣) أي يوم عرفة آخر النهار ، وهو يوم التاسع من ذي الحجة .

مَخْلُصُكَ مِنْ يَدِهِ لِيَزِيدَكَ بَصِيرَةً فِي مَذْهَبِكَ ،
فَلَا تُقَصِّرْ فِي الْخُرُوجِ عَلَيْهِ . فَقَالَ . هَيْهَاتَ . « غَلَّ
يَدَا مَطْلُقُهَا ، وَاسْتَرْقَ رَقَبَةَ مَعْتِقُهَا(١) » .

وكان المستوردُ كثيرَ الصلاةِ شديدَ الاجتهادِ ،
ولهُ آدابٌ محفوظةٌ عنهُ .

كان يقولُ : إذا أفضيتُ بسري إلى صديقي فأفشاء
لَمْ أَلْمَهُ لِأَنِّي كُنْتُ أَوْلَى بِحِفْظِهِ .

وكان يقولُ : لا تَفْشِ إِلَى أَحَدٍ سِرًّا . وَإِنْ كَانَ
لَكَ مَخْلُصًا إِلَّا عَلَى جِهَةِ الْمَشَاوَرَةِ .

وكان يقولُ : كُنْ أَحْرَصَ عَلَى حِفْظِ السِّرِّ صَاحِبِكَ
مِنْكَ عَلَى حَقِّنْ ذَلِكَ .

وكان يقولُ : أَقْبَلُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ عَائِبِ النَّاسِ
مَعْرِفَتَهُ بِالْعِيُوبِ وَلَا يَعِيبُ إِلَّا مَعِيبًا .

وكان يقولُ : الْمَالُ غَيْرُ بَاقٍ فَاشْتَرِ بِهِ مِنَ الْحَمْدِ
مَا يَبْقَى عَلَيْكَ .

(١) غل يدا مطلقها ، واسترق رقبة ممتقها ، غل يدا : أي وضع
فيها الغل واسترق رقبة : أي ملكها بالرق ويضرب لمن يستعبد بالإحسان إليه .

وكان يقول : بَدَلُ المَالِ فِي حَقِّهِ اسْتِدْعَاءٌ لِلْمَزِيدِ
مِنَ الْجَوَادِ .

وكانَ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ : لو مَلَكَتِ الدُّنْيَا
بِحَدِّ أَفِيرِهَا (١) . ثُمَّ دُعِيْتُ إِلَى أَنْ أُسْتَقِيلَ (٢) بِهَا
خَطِيئَةٌ عَلَيَّ لَفَعَلْتُ .

وَلَمَّا أَتَى عبيدُ اللَّهِ بنَ زيادَ بعروَةَ بنِ أديَّةٍ — وكانَ
قد أُصِيبَ فِي سَرِيَّةٍ (٣) للعلاءِ بنِ سُويدٍ فِي اسْتِتارِهِ —
قالَ لَهُ عبيدُ اللَّهِ : جَهَّزْتُ أَخَاكَ عَلِيًّا : فقالَ : وَاللَّهِ
لقد كُنْتُ بِهِ ضَمِينًا وكانَ لي عِزًّا ، ولقد أُرِدْتُ لَهُ ما
أُرِيدُهُ لِنَفْسِي ، فَعَزَمَ عِزْمًا فَمَضَى عَلَيْهِ ، وما أَحَبُّ
لِنَفْسِي إِلَّا المَقامَ وَتَرَكَ الخُروجَ . قالَ لَهُ : أَفَأنتَ عَلَيَّ
رأِيهِ ؟ قالَ : كُنَّا نَعْبُدُ رَبًّا واحِدًا . قالَ أَمَّا لِأَمْثَلَنَ بِكَ .
قالَ فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مِنَ القِصَاصِ ما شِئْتُ . فَأَمَرَ بِهِ

(١) بجذافيرها : جمع حذفور أو حذفار ، وهو أعلى الشيء
وناحيته والمراد جميعها .

(٢) استقبل خطيئة علي : أطلب الصفح عن خطيئة حسبت علي .

(٣) السرية : القلعة من الجيش .

فَقَطَعُوا يَدَيْهِ وَرَجُلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ
أَفْسَدَتْ عَلَيَّ دُنْيَايَ وَأَفْسَدَتْ عَلَيْكَ آخِرَتُكَ .

وفي كتاب لنافع بن الأزرق (١) كتبه إلى قَعْدَةِ
الْخَوَارِجِ : وَلَا تَطْمَسُّنَا إِلَى الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَرَارَةٌ ، مَكَّارَةٌ ،
لَذَّتْهَا نَافِذَةٌ ، وَتَعِيمُهَا بَائِدٌ . حُفَّتْ بِالشَّهْوَاتِ اغْتِرَارًا ،
وَأُظْهِرَتْ حَبْرَةٌ ، وَأَضْمَرَتْ عِبْرَةٌ ، فَلَيْسَ لِأَكْلِ
مِنْهَا أَكْلَةٌ تُسْرَهُ ، وَلَا شَرْبَةٌ تُؤْنِقُهُ إِلَّا دَنَا بِهَا دَرَجَةٌ
إِلَى أَجْلِهِ ، وَتَبَاعَدَ بِهَا مَسَافَةٌ مِنْ أَمَلِهِ . وَإِنَّمَا جَعَلَهَا اللَّهُ
دَارًا لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا إِلَى النَّعِيمِ الْمَقِيمِ ، وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ ،
فَلَنْ يَرْضَى بِهَا حَازِمٌ دَارًا ، وَلَا حَكِيمٌ بِهَا قَرَارًا ،
فَاتَّقُوا اللَّهَ ، «(وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)» (٢)
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتَى هُدًى .

ولما حاربهم المهلب بسلي ، وسليري (٣) فُتِّتِلَ

١) نافع بن الأزرق هو: نافع بن الأزرق الحنفي صاحب فرقة
الأزراق من الخوارج .

٢) سورة البقرة : ١٩٧ .

٣) في معجم البلدان : سلي وسليري، - بكسر السين وتشديد اللام
فيهما وقصر الألف كذلك : جبل بمناذر من أعمال الأهواز .

رئيسهم : ابن الماخور (١) اجتمعوا على الزبير بن علي من بني سليط ، وبايعوه ، فرأى فيهم انكساراً شديداً ، فقال لهم : اجتمعوا . فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه - ثم أقبل عليهم فقال : إن البلاء للمؤمنين تمحيضاً وأجرٌ ، وهو على الكافرين عقوبةٌ وخزبي ، وإن يُضربَ منكم أميرُ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خائف . وقد أصبتم فيهم مسلمَ بن عُبَيْسٍ ، وربيعاً الأجدم ، والحجاجَ بن باب ، وحرثة (٢) ابنَ بدر ، وأشجيتهم بالمهلب ، وقتلتم أخاه المعارك . والله يقول لأخوانكم من المؤمنين : « (إنَّ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَادَاوُلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) » (٣) فيوم سأتى كان لكم بلاءٌ وتمحيصاً، ويوم سولاف (٤) كان لهم عقوبةٌ ونكالاً . فلا تُغْلِبَنَّ عن الشُّكْرِ

(١) عبيد الله بن الماخور أمير الخوارج وكانوا يسمونه أمير المؤمنين وقد قاتله المهلب بن أبي صفرة بجيش كبير قتل فيه ابن الماخور هذا وسبعة آلاف معه .

(٢) هو حرثه بن بدر الفزاري ، كان ذابيان وجهارة وكان شاعراً عالماً بالأخبار والألقاب .

(٣) سورة آل عمران ١٤ .

(٤) سولاف - بضم أوله وسكون ثانيه وآخره فاء قرية في غربي

دجيل من أرض خوزستان .

في حينه . والصَّبْرُ في وقته . وثقوا بأنكم المستخلفون في
الأرض والعاقبة للمتقين .

ولما استردَّ مصعبُ المهلبَ من وجَّه الأزارقة ،
وولاه الموصلَ (١) شاور الناسَ فيمن يستكفيه أمرَ
الخواارج ، قال قومٌ ، " ولَّ عبيدَ الله بنَ أبي بكره .
وقال قوم : ولَّ عمرَ (٢) بنَ عبيدِ الله بنِ معمر .
وقال قوم : ليس لهم إلا المهلبُ فأردده إليهم .

كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنْ الْخَوَارِجِ قَالَ بَعْضُهُمْ :
فَرَأَيْتَهُ يَحْدُثُ قِنَادِيلَ الْمَسْجِدِ بِالْحَصَى ، فَيَكْسِرُهَا
فَقُلْتُ لَهُ : مَا تَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَنَا - كَمَا تَرَى -
شَيْخٌ كَبِيرٌ ، لَا أَقْدِرُ لَهُمْ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذَا ،
أَغْرَمْتُهُمْ قِنْدِيلًا ، قِنْدِيلَيْنِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

(١) الموصل : إحدى مدن العراق تقع في الشمال .

(٢) عمر بن عبيد الله بن معمر : ولاء مصعب بن الزبير قتال الخوارج
بمد المهلب بن أبي صفرة .

وهذا مُخْتَصَرُ عماله الصَّاحِبِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَسَمَاهُ
(الكَشْفُ عَنْ مَنَهِجِ أَصْنَافِ الْخَوَارِجِ)

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على النبي محمد ،
وآله أجمعين . سألت أنْ أذكرَ لكَ ألقابَ طوائفِ
الخوارج ، وذرواً من اختلافها . وأنا أثبتُ ما يحضر
حفظي . على أنْ هذه الألقابَ تجمع أصولاً ، وفروعاً :
فربَّ طائفةٍ لحقها لقبٌ ثم تفردتْ من جملتها فريقٌ
فلحقهم لقبٌ آخر .

والذي يجمعهم من القول تكفيرُ أميرِ المؤمنين (١) -
صلواتُ الله عليه - وتكفيرُ عثمانَ ؛ وإنكارُ الحكَمينِ (٢)
والبراءةُ منهما ، وممن حكَمهما أو تولَّى أحداً ممن
صوبَهما . وأولُ من حكَمَ بصفينَ عروةُ بنُ حُدَيْرٍ :
أنحوُ أبي بلالِ مرداس ، وقيل عاصمُ المحاربي ، وأولُ
من تشرى (٣) رجلٌ من يشكُر ، وكان أميرُهم - أولُ

(١) هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) الحكمان هما : عمرو بن العاص ، وأبو موسى الأشعري .

(٣) تشرى : تفرق : أو لعله صار من فرقة المحكمة التي لقتب أنفسها

الشرأة فيكون معنى تشرى : حكم .

ما اعتزلوا - عبد الله بن الكواء ، وأمير قتلهم شبت
ابن ربي ، ثم بايعوا لعبد الله بن وهب الراسي .

ذكر ألقاب فرقتهم مع جمل من مذاهبهم

الأزارقة : أصحاب نافع بن الأزرق (١) ، ويروون
من القعدة .

النجدية : أصحاب نجدة (٢) بن عامر الأسدي .
تولى أصحاب الكباير من الخوارج إذ لم يصيروا .
ومن أصر منهم فهو مشرك عندهم .

الإباضية : أصحاب عبد الله بن إباض التميمي .
فأما عبد الله بن يحيى الإباضي المنقب بطالب الحق
فهو منسوب إليهم . ومعه خرج أبو حمزة الخارجي .
الصفريّة : أصحاب زياد بن الأصغر . وقيل
أصحاب عبد الله الصفار

(١) هو نافع بن الأزرق الحنفي رئيس جماعة الأزارقة . وكانت
الخوارج قبله على رأي واحد لا يختلفون إلا في الشيء والشاذ .
(٢) هو نجدة بن عامر الأسدي الحروري الحنفي من بني حنيفة من
بكر بن وائل .

العَطْوِيَّةُ : أصحابُ عطيةَ بنِ الأسودِ الحنفيِّ من المنكرينَ عاصي نافع .

العَجَّارِدَةُ : أصحابُ عيدِ الكَرِيمِ بنِ عجرد ، وهم عَطْوِيَّة ، إلا أنهم يوجبونَ دُعَاءَ الأطفالِ عند بُلوغهم والبراعةَ منهمُ قبيلَ ذلك .

الميمُونِيَّةُ : ميمونٌ هذا عيدٌ لعيدِ الكَرِيمِ بنِ عجرد . ويقولُ بالعدلِ ويترى قتلَ السُّلطانِ خاصَّةً ، ومنَ رَضِيَ ظُلْمَهُ ، وأَعَانَهُ دُونَ سائرِ النَّاسِ ويَحْكَمِي عَنْهُمْ أنَّ التَّزْوِجَ بيناتِ الإبنِ وبناتِ البناتِ ، وبناتِ بناتِ الأختواتِ وبناتِ بني الإخوةِ جائزٌ ، وأنَّ سُورَةَ يوسُفَ ليستَ منَ القرآنِ ، وأكثَرُ مَنْ بسجِسْتانَ ميمُونِيَّةٌ ، وعَجَّارِدَةٌ . وقيلَ ميمونٌ رجلٌ منَ أهْلِ بَلَخِ .

الخَلْفِيَّةُ : يقولونَ بِالْحَبْرِ (١) ، ويخالفونَ الميمُونِيَّةَ فِي العَدْلِ .

(١) أي أن الإنسان مجبور على كل ما يأتيه من خير وشر وليس له اختيار في أفعاله .

الحمزِيَّة : أصحابُ حمزة بن أدرك . يقولون .
بِالعَدَل . وله فارقوا الخليفة .

الخازِمِيَّة : وهم الشعبية أصلهم عجاردة ، وهم
أصحابُ شُعيب يقولون : إنَّ الوِلاية والعداوة صفتان
في ذات القديم . وهم مجبِرة .

المعلومية : من الخازميَّة يقولون : مَنْ لم يعلم
اللهَ بجميع أسمائه ، وعرفه ببعضها فهو عارفٌ به .

المجهولية يقولون : مَنْ لم يعلم الله عز وجل بجميع
أسمائه فهو جاهلٌ به .

الصَلَمِيَّة : عَجاردةٌ أصحابُ عثمان بن أبي
الصَّامِت : يقولون : إذا استجابَ الرجلُ للإسلام
برِثنا من أطفالهم حتى يُدركوا .

التَّعالبة : عجاردةٌ ، وصاحبهم ثعلبةٌ ، خالفَ عبد
الكريم بن عجرد فيما قاله في الطفل .

الأخْنَسِيَّة : أصحابُ ، الأخنس يحرمون البنات ،
والغيلة ويتفقون عمَّن في دار التثنية حتى يعرفوه .

العَبْدِيَّة : رأوا أَخَذَ زَكَاةَ أَمْوَالِ عِبِيدِهِمْ إِذَا
اسْتَعْتَنُوا ، وَإِعْطَاهُمْ إِذَا افْتَقَرُوا .

الشَّيْبَانِيَّةُ أَصْحَابُ شَيْبَانَ بْنِ سَلَمَةَ .

الزِّيَادِيَّة : أَصْحَابُ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

العُشْرِيَّة : وَهِيَ الرَّشِيدِيَّة ، كَانُوا يَرُونَ فِيهَا اسْتِثْنَاءً
بِالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ نِصْفَ الْعَشْرِ ، وَخَالَفَتِ الزِّيَادِيَّةَ فِي
لِيَجَابِهَا الْعُشْرَ .

المَكْرُمِيَّة : أَصْحَابُ أَبِي مَكْرَمٍ . قَالَتْ : تَارِكُ
الصَّلَاةِ كَافِرٌ . وَمَنْ أَتَى كَبِيرَةً فَهُوَ جَاهِلٌ بِاللَّهِ .
وَقَالَتْ بِالْمُؤَافَاةِ .

* * *

الباب الثاني عشر

الغَطَطُ والتصحيح (١)

قال بعضهم : خَالَفَ تَدَكَّرٌ . فقيل له : إنّما هو
تُدَكَّرُ فقال ؛ : هذا أول الخِلاف .

وقرأ بعضهم في كتاب : أنّ النبيّ عليه السلام بَلَغَ
قُدَيْدًا ، وإنّما بَنَعَ قُدَيْدًا (٢) .

وقرأ آخرَ : أنّه كان يُحِبُّ العَسَلَ يومَ الجمعة ،
وإنّما هو « العُسْلُ » .

وقرأ آخر : أنه كان يكره النَّوْمَ في القَيْدِ ، وإنّما
هو النَّوْمُ .

(١) التصحيح لغة : الخطأ والتحريف هو الخطأ كذلك ، غير أن
بعض الباحثين يرى التصحيح خاصا بالخطأ الناشئ عن نطق الحروف
زيادة أو نقصا . أما التحريف فخاص بالخطأ في حروف الكلمة تقديما أو
تأخيرا أو صورة أو ضبطاً .

(٢) قديد . اسم موضع قرب مكة .

وقرأ آخر : ولا يرث جميل^(١) إلا بشيئة ،
وإنما هو لا يُورثُ جميل^(٢) إلا ببسيئة .

وقال آخر : إذا أردت أن تُنعظ^(٣) فادخلِ
المقابر ، وإنما هو تشعُّظٌ .

وقرأ رجلٌ على ابن مجاهد : بل عَجَسْتِ ،
ويسعجرون^(٤) . فقال : أحسنت ، مع العَجْنِ
يسعجرُ التَّنُور .

كتب صاحبُ الخبر بأصبهان إلى محمد بن عبد الله
بن ظاهر : إن فلانا القائدَ يسابِسُ خرنجيتةً ، ويقعد
مع النساءِ فكتب إلى العامِلِ : ابعث إليَّ بفُسلانٍ وخرنجيته
فصَحَّفَ القارئُ . وقرأ : وجزَّ لِحِيَّتَهُ ، ففعل ذلك
به ، وأشخصته .

-
- (١) هو جميل بن معمر صاحب بيئة التي أغرم بها وشيب بها في
شعره وكان في أيام دولة بني أمية مثالا للقول العذري العفيف .
(٢) الجميل : الذي يحمل من بلده صغيراً ولم يولد في بلد الإسلام .
(٣) أنعظ الرجل : علاه الشبق والرغبة في الجنس الآخر .
(٤) سجر التنور : أحماه . وهو يشير إلى الآية الكريمة « بل عجبت
ويسخرون » .

وكان كافي الكُفأة يكرهُ أن يكونَ في مخاطباتِ
النِّساءِ حراستها ونظرُها وعقائُها ، ويقول : لا يُؤمَنُ
أَنُ يُصَحِّفَ فيقرأ : حراستها ، وعقائُها ، وبظنِّها .

وكان حمادُ الراويةُ (١) لا يقرأ القرآنَ فاستقرىء
فقرأ ، ولم يزلْ إلاَّ في أربعة مواضع : عذابي
أصيبُ به من أساء . وما كان استغفارُ إبراهيم لأبيه إلاَّ
موعدة وعاءها أباه . ومن الشجر وما يغرسون . بل
الذين كفروا في غيرةٍ وشقاق (٢) .

وقد روي أنه صحَّفَ في نيفٍ وعشرين موضعاً
كلها متشابهة وأنا أذكرها جميعاً من بعدُ بإذن الله .

(١) حماد الراوية : هو حماد بن ميسرة . وقيل بن سابور مولى
بني شيبان ، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها
وأنسائها ولغاتها .

(٢) صحة الآيات :

« عذابي أصيب به من أساء » سورة الأعراف : ١٥٦ .

« وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » سورة
التوبة : ١١٤ .

« ومن الشجر وما يغرسون » سورة النحل : ٦٨ .

« بل الذين كفروا في غرة وشقاق » سورة ص : ٢ .

غضب كاتبُ المأمون على غلامه فرماه بالدَّوَاةِ ،
وشجَّه ، فاجما رأى الدَّمَّ يسيلُ قال : صدقَ الله تعالى :
والذين « إذا ما غَضِبُوا هم يَغْمِرُونَ » (١) . فبلغ
ذلك المأمونَ . فأنَّبه . وقال : وباتك ! أما تُحسِنُ أن
تقرأ آيةً مِنَ الْقُرْآنِ ؟ فقال : بلى . واللهِ إني لاقرأ
سِنِ سُورَةِ وَاحِدَةٍ أَلْفَ آيَةٍ (٢) .

قال بعضهم : قرأ عبدُ الله بنُ حنبلٍ في الصَّلَاةِ :
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (٣) .

فتبيل له : أنت وأبوك في طرفي نقيض . زعم
أبوك أنَّ القرآنَ ليس بمخلوق ، وأنت قد جعلت ربَّ
القرآنِ مخلوقاً .

(١) صحة الآية « والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا
ما غضبوا هم يغفرون » سورة الشورى : ٣٧ .

(٢) وجه العجب في هذه الإجابة : أن القرآن ليس فيه سورة عدد
آياتها ألف آية .

(٣) صحة الآية « اقرا باسم ربك الذي خلق » سورة العلق : ١ ببناه
خلق للمعلوم .

وحكِي أَنَّ المَحَامِيَّي (١) المَحْدَث قَرَأَ : وَفَاكِهَةٌ
وَأَبَاً (٢) . فَقِيلَ لَهُ : الأَلْفُ مَفْتُوحَةٌ . فَقَالَ : هُوَ فِي
كِتَابِي مَحْدُوظٌ مُضْبُوطٌ .

وحكِي أَنَّ ابنَ حاتمَ قَرَأَ : فصِيامَ ثلاثةِ أيامٍ في
الحجِّ وتِسْعَةَ إِذَا رَجَعْتُمْ ، تلكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ (٣) .

كان اسمُ أَبِي العَناهيَةِ (٤) « زَيْدٌ » فنَقَشَ عَلَيَّ
خَاتَمَهُ أَيَا زَيْدٍ « ثِقٌ » فَكَانَ النَّاسُ يَتَنَادَوْنَ أَنَّهُ :
أَنَا زَيْدِي .

قال بعضهم : سمعتُ ابنَ شاهينَ المَحْدَثَ في
جامعِ المنصورِ يَقولُ في الحديثِ : نَبِيُّ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) هُوَ القَاضِي أَبُو عبيدِ اللهِ الحَسَنُ بنُ إِسماعيلَ بنِ مُحَمَّدِ الضَّبِّيِّ مِنْ
الثَّقَاتِ لَمْ يَكُنْ أَشَدَّ مِنْهُ فِي عَصْرِهِ مَعَ الصَّدَقِ وَالسُّتْرِ وَالتَّوَثُّقِ . تَوَفِّي بِبَغدَادَ
سَنَةَ ٨٣٣٠ .

(٢) وَصَحَّةُ الأَيَةِ « وَفَاكِهَةٌ وَأَبَا » سُورَةُ عِيسَى : ٣١ .

وَالأَبُ : الكَلَةُ أَوْ المَرعى أَوْ مَا أَنبَتَتِ الأَرْضُ وَالخَضِرُ .

(٣) صَحَّةُ الأَيَةِ « فصِيامَ ثلاثةِ أيامٍ فِي الحِجِّ وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعْتُمْ »
سُورَةُ البَقَرَةِ : ١٩٦ .

(٤) أَبُو العَناهيَةِ هُوَ : إِسماعيلُ بنُ القَاسِمِ بنِ سَويِدِ بنِ كَيسانَ وَوَلَدُ
بِيعِنِ التَّمَرِ سَنَةَ ١٣٠ هـ وَنَشَأَ بِالكُوفَةِ . تَوَفِّي سَنَةَ ٨٢١١ هـ .

عن شقيقِ الخطب . فقال بعض الملاحين : يا قوم ،
فكيف نعملُ والحاجةُ ماسئةٌ ؛ وهو شقيق الخطب .

قال : وسمعتُه مرةً أخرى وهو يفسرُ قوله تعالى :
« (وثيابك فطهر) » فقال : قيل لا تَلْبَسْهَا على غامرة .
وهو لا تلبسها على عَدْرَة (١) .

وكان كيسانُ مستملي ابن الأنباري ، وكان
أعمى القلب ، فَسَمِعَ ابنُ الأنباري وهو يقول :
كيسانُ يسمعُ غيرَ ما أقولُ ، ويكتبُ غيرَ ما يسمعُ
ويقرأ غيرَ ما يكتبُ ، ويحفظُ غيرَ ما يقرؤه .

وحكي عنه أنه كان يكتبُ ما يسمعُ في الخزف ،
ويجمعهُ في حُبِّ ، فاشترى راويةَ ماءٍ فغاطَ السقاءَ
بينَ حُبِّ الماءِ وحُبِّ الخزفِ ، فصبَّ الماءَ في حُبِّ
العِلمِ فرأينا كيسانَ وقد وضعَ يدهَ على رأسِهِ ، وذهب
علمه كالماءِ .

(١) عدرة : العذرة : الغائط وانظر سورة المدثر : ٤ .

وقالوا تقدّمتِ امرأةٌ إلى عمرَ فقالت : أبا غفّسٍ
حفصُ اللهُ لك (١) . فقال : مالك : أغفّرتِ ؟
قالت : صلّعتُ فرقتك .

وروى أبو ربيعة المحدثُ أنّ النبيَّ عليه السلامُ
كان يغسِلُ حصى الحمار . قيل : ولمَ ذاكَ يا أبا
ربيعةَ ؟ قال : كان يُظهِرُ تواضعه بذلك . والخبرُ أنّهُ
« كانَ يغسِلُ حصى الحمار (٢) » .

قال بعضُ المحدثينَ : حدّثني فلانٌ عن فلانٍ عن
سبعة وسبعين ، يريد عن شعبة وسفيان .

كان « يزدًا نفا ذار » فيه لُكنةٌ ، وكان يجعلُ
الحاءَ هاءً ، أملى على كاتبٍ له : والمأصلُ ألفٌ كُـرٌّ .
فكتبها الكاتبُ بالهاء . كما لفظَها ، فأعادَ عليه الكلامَ ،
فأعادَ عليه الكاتبُ الكتابَ ، فلما فطن لاجتماعها على

(١) صحة العبارة أبا حفص غفر الله لك .

(٢) حصا الحمار : الحصيات التي يحذفها الحاج في منى يرمي بها
الحمار الثلاث وهذا الرمي أيام العيد من مناسك الحج .

الجهل ، قال : أنت لا تهسبين تكتب . وأنا لا أهسين
أملي . فاكتب : الجاصل ألف كرت فكتيها بالجيم معجمة .

قالت أمُّ ولدٍ لجرير لبعض ولدها : وقع الجرذانُ
في عجان أمكم . أبدلت الذال دالاً وضمت الجيم ،
وجعلت العجين عجاناً . وإنما أرادت وقع الجرذانُ في
عجين أمكم .

وروى آخر : عمُّ الرجل ضيقُ أبيه (١) . وإنما
هو صنو .

وروى آخرُ : لعين اليهود ، حرمت عليهم الشحومُ
فحملوها . وإنما هو فعجهلؤها (٢) ، أي أذابوها .

وروى بعضهم : أن الحارث (٣) بن ككلة كان
يقولُ الشمسُ تُثْقِلُ الريحَ ، وإنما هو تَنَقُّلُ الريح (٤)

(١) هذا حديث عن النبي عليه السلام . والصنو المثل .

(٢) جمل الشحم : أذابه .

(٣) الحارث بن ككلة من أخصأ اطباء الجاهلية وهو من بني ثقيف
من أهل الطائف رحل إلى أرض فارس وأخذ الطب من جند يسابور . وقد
أدرك الإسلام ، وكان الرسول يأمر من كان به علة أن يأتيه فيستوصفه وقد
توفي سنة ٨١٣ .

(٤) الشمس تنقل الريح يقال تغل يتغل - كفرح يفرح - بمعنى تغير
والمعنى هنا تغير الشمس رائحة الريح .

وقالوا : كان يجلسُ في مقشاة . وإنما هو في مقشاة (١) .

وروا : أنه نُهيَ عن لبس القسيِّ وإنما هو القسيِّ (٢) لضربٍ من الثياب .

وروا : أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى يده سَخْلَةٌ (٣) تبعر . وإنما هو تيسعُرٌ من اليععار . وهو صوتها .

قال بعضهم : قال الرياشي (٤) لي يوما - وقد جئتُ من مجلس ابن أبي الشوارب : أرني ما أملي عليكم ، فأريتهُ ، فدرّ به هذا الحديثُ : آخر ما يجازفُ به المؤمن عرقُ جبّينه .

(١) المقناة : المكان الذي لا تكاد تغيّب عنه الشمس .

(٢) نهى عن لبس القسي وإنما هو القسي وذلك لأن القسي هو الدرهم

النزائف أما القسي فهو جمع قوس آلة النبل .

(٣) السخلة : ولد الشاة .

(٤) الرياشي : هو أبو الفضل العباس بن الفرّج الرياشي اللغوي .

فقال الرياشي : ما أحوج هؤلاء إلى بعض عيانتنا إنما
إنما هو يُحارِفُ ، والحريفُ : الشريكُ ، يقالُ :
فلان حريفُ فلان ، أي شريكه ومُحاسبه .

وقال بعضهم : حضرتُ رجلاً من الكبراء ، وقد
قرأ في المصحف : يا عيسى ابنَ مريم اذكرني نعمتي
عليك وعلى والديك (١) .

وقرأ بعضهم : والعاديات ضبِحاً (٢) .

وقال آخر : فكذبوهما فتغدرنا بثالث (٣) .

وقيل : إنَّ سليمانَ بنَ عبد الملك كتب إلى عامله
عسى المدينة : أخصِ المخنثين . يريدُ : عُدَّهم .

فقرأ الكاتب : اخص ، فَخَصَّاهُمْ .

ومنهَّـنْ أَخَجَلَهُ التَّصْحِيفُ في مجالس الخلفاء
أحمدُ بنُ أبي خالد وزير المأمون ، فإنَّه حضرَ مجلسه

(١) صحة الآية : « إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك

وعلى والدتك » سورة المائدة : ١١٠ .

(٢) صحة الآية « والعاديات ضبِحاً » سورة العاديات : ١ .

(٣) صحة الآية « فكذبوهما فعزنا بثالث » سورة يس : ١٤ .

للمظالم يقرأ عليه القصص ، وكان فهماً ، فمرت به قصة مكتوبٌ عليها : فلان البريدي (١) ، فقرأها : البريدي فقال المأمون أبو العباس جاثعٌ . هاتوا له ثريدةً . فقدمت إليه ، وأكثرهه على أكلها ، وغسل يده ، وعاد إلى أن تصفح القصص ، فمرت به قصة مكتوبٌ عليها : فلان الحمصي (٢) فقرأها : الحمصي . فقال المأمون : كان غداً أبي العباس غير كاف ، لا بد للثريدة من أن تتبع بخبيصة (٣) ، فقدمت إليه ، وأكلها .

* * *

(١) البريدي : أي صاحب البريد .

(٢) الحمصي : منسوب إلى حمص إحدى مدن الشام .

(٣) الخبيصة : طعام يصنع من التمر والسمن .

ونذكرُ الآنَ بعضَ ما أُخِذَ على العلماءِ
مِنَ التَّصْحِيفِ

قالَ كَيْسَانُ : سمعتُ أبا عبيدةَ ينشدُ (١) :

ما زالَ يَضْرِبُنِي حتَّى خَزَيْتُ له

وحالَ من دُونَ بَعْضِ البَغِيَةِ الشَّفَقُ (٢)

قالَ : فقلتُ خزيتَ خزيتَ ؟ ؟ ، وضحكتُ ،

فغضِبَ وقالَ : فكيفَ هوَ ؟ قلتُ : إنَّما هو خذيتُ .

قالَ : فأنخزلَ ، وما أحرارَ جواباً .

وروى أيضاً أبو عبيدةَ أبياتَ لقيطِ (٣) في يومِ جبلةَ

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولى بني تيم بن قريش . ولد سنة ١١٠ هـ وهو أجمع سائر الرواة لعلوم العرب وأخبارهم وأنسابهم ، وله مؤلفات كثيرة .

(٢) البيت لأبي شجرة . والتصحيف في خزيت . والرواية : خذيت بمعنى خضعت .

(٣) لقيط بن زرارة من أشرف تميم وفرسانها وقد قتل في يوم جبلة بعد أن تم النصر فيه لعيس وعامر على تميم وخطفان .

يا قوم قد حرقتموني باللثوم
 ولم أقاتل عامراً قبل اليوم
 سيان هذا والعيناق والتثوم
 والمشرب البارد في ظل الدوم
 وقال يعني في ظل نخل المقل (١) : فقال الأصمعي :
 قد أحال ابن الحائك لأنه ليس بنجد دوم . وجيلة
 بنجد ؛ وإنما الرواية في الظل الدوم ، أي الدائم .
 وروى الأصمعي بيت أوس بن حنجر (٢)
 أجون تدارك ناقتي بقرى لها
 وأكبر ظني أن جونا سيفعل
 فقال ابن الأعرابي : صحف الدعى ؛ وإنما هو
 تدارك ناقتي بقرابها . أي ما دمت أطمع فيها . وفي
 مثل للعرب : « القراب بقراب أكيس » (٣) .

(١) المقل : ثمر الدوم .

(٢) أوس بن حنجر ، من نمر أحد بطون تميم من فحول الشعراء
 الجاهليين .

(٣) المثل لجاهل بن عمر المازني . ومعنى القراب : الغمد .

وروي بيوت الحارث بن حلزة (١) .

عَنْتًا بِاطْلَاَ وَظَانِمًا كَمَا تُعْنَى

ز عن حَجْرَةَ الرَّبِيعِ الطَّبَّاءِ

وقال : العَنْزَةُ : الحَرْبَةُ يُسْتَحْرُ بِهَا . فَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو

عَمْرُو وَقَالَ : إِنَّمَا هُوَ تُعْتَسَرُ ، مِنَ الْعَتِيرَةِ وَهِيَ ذَيْبِحَةٌ

الصَّمَمِ (٢) .

وروي بيت الحطيئة :

وَعَرَّرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنْذَكَ لَاتِنِي بِالضَّيْفِ تَأْمُرُ

وقال أبو عمرو : إِذَا صَحَّفْتُمْ فَصَحَّفُوا مِثْلَ

تصحيفه وإنما هو لابن "بِالضَّيْفِ تَأْمُرُ" .

وروي بيت عنبرة (٣) :

(١) الحارث بن حلزة بن بكر بن وائل ، اشتهر بمعلقته التي أولها :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوِيْلٍ مِنْهُ الثَّوَاءُ

(٢) ومعنى البيت : إنكم تأخذوننا بدتب غير تآكما كانت العرب إذا

وجب عليها نذر في شائها ذبحت الطباء مكانها ، فتظلمها بذلك . والتصحيح

ظاهر بين تعنز وتعار .

(٣) هو عنبرة بن شداد العبسي نسبة إلى عبس من قيس وهو من الشعراء

الفرسان الشجعان .

وَأَخَّرُ مِنْهُمْ أُجْرَرْتُ رُمَحِي
وَفِي الْبَجَلِيِّ مِعْبَلَةٌ وَقِيْعُ

فَقَالَ كَيْسَانُ لَهُ : إِنَّمَا هُوَ فِي الْبَجَلِيِّ - بِإِسْكَانِ
الْجَيْمِ - مَنْسُوبٌ إِلَى بَجَلَةَ بَطْنِ مِ بْنِ سُلَيْمٍ
وَرُوِيَ لَدَى الرُّمَّةِ (١) :

عَيْنٌ مَطْحَلْبَةٌ الْأَرْجَاءُ طَامِيَةٌ
فِيهَا الضَّمَادُ وَالْحَيْتَانُ تَصْطَخِبُ

فَقِيلَ : هُوَ يَصْطَخِبُ ، لِأَنَّ الْحَيْتَانَ لَا تَصْطَخِبُ ،
وَلَا صَوْتٌ لَهَا .

وَرُوِيَ لِرُؤْيَا :

« شَمَطَاءُ تَسْبُوي الغَيْظَ حِينَ تَرَامُ »

فَقِيلَ : لِإِنَّمَا هُوَ تَسْبُوي : أَيِ تَجْعَلُهُ بِمَنْزَلَةِ الْبِوِّ (٢)

(١) ذُو الرَّمَّةِ : هُوَ غَيْلَانُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ نَهَيْسٍ مِنْ مِضَرٍ وَيَعُدُّ مِنَ الشُّعْرَاءِ
الْمُتَمِيمِينَ وَصَاحِبَتِهِ مِيَّةُ بِنْتُ مِقَاتِلِ الْمُنْقَرِي .

(٢) الْبِوُّ وَالدُّ النَّاقَةُ ، وَجِلْدُ الْإِبْرَارِ يُحْشَى تَبْنًا أَوْ تَمَامًا فَيُقْرَبُ مِنْ أُمِّ
الْفَعِيلِ فَتَمَطَّفُ عَلَيْهِ فَتَدْرُ .

زوى أبو عمرو بن العلاء بيت امرئ القيس (١)
تأوَّبني دائي القديمُ فغَلَسَا
أحاذرُ أن يشتدَّ دائي فأنكَسَا

فقال أبو زيد : هذا تصحيفٌ لأنَّ المتأوَّب لا يكونُ
مغَلَسًا في حالٍ واحدةٍ لأنَّ غَلَسَ : أتى في آخر الليل ،
وتأوَّبَ جاءَ في أوَّلِهِ ، وإنما هو مغلَسًا ، أي اشتدَّ
وبرح .

وروى المفضلُ للمخبل (٢) :

وإذا ألمَّ خيالها طرقتُ
عيني فماعة شؤونها سَجَمُ

(٣) وامرؤ القيس أشهر شعراء الجاهلية وقد توفي بالحدري سنة ٥٤٠ هـ
قبيل ميلاد الرسول .

(٣) المفضل الضبي بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبي ، أبو
العباس أديب نحوي لغوي عالم بالشعر وأيام العرب ، من أهل الكوفة
لزم المهدي العباسي وعمل له الأشعار المختارة المسماة (المفضليات) وقد
ولد سنة ١٦٨ هـ .

فقال له خالف^١ : لِئَسْمَا هُو طُرْفَتُ عَيْسِنِي .
فرجع عنه .

• • •

(٤) خالف الأحمر : هو خالف بن حيان وقد أخذ الأسمي وسائر
أهل البصرة عنه ، وكان له قوة عجيبة على تمييز الأشعار وتعيين أصحابها .

هذه حروف وكلمات من المصحف
الذي يستعمله الناس عمداً لا سهواً

كتب أبو تمام (١) الطنّائي رُقعةً إلى محمد بن عبد الملك
ابن صالح يسأله فيها مُحالاً، وكتب على عنوانها
« حبيب »

فأخذه محمد ونقطه « خبيث » .

ورفع آخر رُقعةً إلى محمد بن عبد الله بن طاهر (٢) ،
وعليها « حريثُ بنُ الفارس » وكان اسمَ الرجل ، فجعلته
محمد « خريثَ في الفرائس » وكتب تحته : « بِئسما
فعلت » .

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطنّائي ، واد بمنهج في بلاد الشام
وجاء مصر صغيراً فجالس الأدباء بجامع عمرو ، فأخذ عنهم وتعلم ، وكان
فلّناً فهما بالشعر .

(٢) هو الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي نائب
بغداد . كان جواداً ، جيد الشعر . مات بالحواليق سنة ٢٢٣ هـ .

وَقَفَ رَجُلٌ عَلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَقَالَ : أَعْتَسِرُ .
أَخْرَجُ ، أَبَادِرُ . فَقَالَ الْحَسَنُ : كَلَبُوا عَلَيْهِ ؛ مَا كَانَ
ذَلِكَ . يَرِيدُ السَّائِلُ : أَعْتَمَانُ أَخْرَجَ أَبَا ذَرٍّ ؟

وَمَنْ تَصْحِيفُ مُحَمَّدَ بْنَ طَاهِرٍ : مَتَمَّاسِمِل . يَرِيدُ :
مَنْ مَلَّ مَلَّ .

وَقَالَ الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا لَطِبَّاسِخٍ لَهُ فَارْسِي : حَسَابَتَا
رَشِيد . فَقَالَ : زَيْنُ نَبِيد .

أَرَادَ الْمُعْتَصِمُ : جَاءَ شَتَيْتَ رَسِيد ، أَي أَدْرَكَ غُلْمَاؤُكَ .
وَقَالَ الْآخَرُ : رَسِيد ، أَي أَدْرَكَ .

وَقَالَ الْمُتَوَكَّلُ يَوْمًا لِيَحْيَى بْنِ مَاسُوِيَةَ : بَعَثُ بَيْتِي
بِقَصْرَيْنِ . فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : أَخْشَرُ الْغِيَاءِ . أَرَادَ الْمُتَوَكَّلُ :
عَشَّيْتُ فُضْرَنِي . فَأَجَابَهُ ابْنُ مَاسُوِيَةَ بِالْعَلَّاجِ .

» * »

ومن هذا الجنس

حروف وكلمات من المصحف عمداً لا سهواً

الخنصرُ : الحبُّ ضمير . متى ألجُ بيتِ هند ؟ :
ميتُ الحبِّ شهيدٌ . نرجسُ طري : برحَ بي نظري .
بمطرفِ تستري : نمَّ طرْفِي بسري . طسَّتْ حسنٌ :
طبيبي : حبيبي . القبعثري وحلبس (١) : ألفتِ
غثيري وخاليتني . فنعت بتكفيلي : في عينيك قتلي .
وحموه حدتك بشأني : حمير حدتك سباني . نخشاش (٢) :
حبيبٌ خائبي . مِشمشةٌ ثقيلةٌ : من ينتمُ ينبيهه
بقبلة . صينيةٌ حسنةٌ : صبَّ نبيه حبيبه . مخبرةٌ أبوس :
مُحِبٌّ زها يبوس .

(١) القبعثري ، بالقصر : من معانيها : الجمل العظيم ، الفصيل
المهزول - والحلبس - بوزن جعفر : الشجاع ، والأسد ، والملزم للشيء .
(٢) الخشخاش : منوم ، مخدر ، مبرد ، وقشره يفيد في قطع الإسهال .

كاني بيديناك فبعني بـجبتين : كلُّ شيءٍ منك في
 عيني حسنٌ . لبُّ سرجٍ مُضري : ليس ترجمُ ضري .
 مسعودٌ : متى تعود ؟ . الثوبُ يماني بثوب : الثوبُ
 ثم استوت . سعيد بنُ جبير (١) : نبتٌ عند نرجس .
 فروحٌ مُسمسنٌ بحبه : نودٌ جمش (٢) من توحه .
 تحت القبل مِروحةٌ خيش : تحبُّ القبل من وجهه
 حسن . حبش بنُ حنين : حبيبي بت بخير . سكباج (٣) :
 ثيابك (٤) بساخ . كشكيتة : كنتُ نكتة . قانسوة
 خضرا : قلبي يتوهجُ ضرا . المازح مقالٌ يغم : لما
 رحمَ قال : نعم .

* * *

-
- (١) سعيد بن جبير : كان كاتباً وزيراً لأبي بردة بن أبي موسى
 الأشعري يأمر الحجاج الثقفى .
 (٢) الجمش : المغازلة .
 (٣) السكباج : طعام يصنع من اللحم والمرق ، وهو معرب (سكبا)
 بالفارسية ، .
 (٤) الثني : الطاقة والقوة . وباخ : سكن . والمعنى : سكنت قوتك .

الباب الثالث عشر

نوادِرُ من النحو واللحن (١)

سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلاً قرأ ،
فلحنَ . فقال : أرشدوا أناكم .

قال الأصمعيُّ : قلتُ لأبي سَهْدِيَّةَ (٢) : كيف
تقولُ : لا طيبَ إلاَّ المسكُ ؟ قال : فأينَ أنتَ عن العنبرِ ؟
قلتُ : فقلل لا طيبَ إلاَّ المسكُ والعنبرُ . فقال : أينَ أنتَ
عن البانِ ؟ قلتُ : قُلْ لا طيبَ إلاَّ المسكُ والعنبرُ
والبانُ . فقال : فأينَ أنتَ عن أدهانِ (٣) حمير
قال قلتُ : فقل لا طيبَ إلاَّ المسكُ والعنبرُ والبانُ وأدهانِ
حميرَ . قال : فأينَ أنتَ عن فارةِ (٤) الإبلِ صادرةً ؟

-
- (١) النوادر : لون جميل من التعبير الأدبي تفتن فيه الأمم ، ويتبارى
في حلبيته أصحاب الصناعات وكلما كانت النادرة غير مصطنعة ، ولا متكلفة ،
كانت أجلب للسرور ، وأمتع للنفس ، وأجدر أن يتناقلها الأفراد والجماعات .
(٢) أبو مهدية : أعرابي ، صاحب غريب ، يروي عنه البصريون .
(٣) أدهان حمير : نوع من العشب أطيب رائحة من غيره .
(٤) الفارة : المسك . وقد تخفف (الفارة) .

عميلَ بعضُ الشَّحُورِيِّينَ كِتَابًا فِي التَّصْغِيرِ ، وَأَهْدَاهُ
إِلَى رَئِيسِ كَانٍ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ ، فَتَقْصِرَ عَطِيَّتَهُ ، فَصَنَّفَ
كِتَابًا فِي العَطْفِ ، وَأَهْدَاهُ إِلَيْهِ ، وَكَتَبَ مَعَهُ : رَأَيْتُ
بَابَ التَّصْغِيرِ قَدْ صَغُرَ فِي عِنْدِ الوَازِرِ ، وَأَرْجُو أَنْ يُعْطِفَهُ
عَلِيَّ بَابَ العَطْفِ .

سَمِعْتُ الصَّاحِبَ - رَحِمَهُ اللهُ - يَقُولُ : كَانَ سَبَبُ
انْصِلَالِ ابْنِ قَرِيْعَةَ (١) الْقَاضِيِ بِالْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ
أَنَّ ابْنَ قَرِيْعَةَ كَانَ تَسِيْمَ رَحَى لَهُ ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ حِسَابًا ،
فِيهِ دَرَاهِمَانِ وَدِينَقَانِ ، وَحَبَّاتَانِ ، فَدَعَاهُ ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ
الإِعْرَابَ فِي الحِسَابِ .

فَقَالَ : أَيُّهَا الوَازِرُ ، صَارَ لِي مَا تَبْعَا ، فَلَسْتُ أُسْتَطِيعُ
لَهُ دَفْعًا . فَقَالَ : أَنَا أَزِيلُهُ عَنْكَ صَبْرًا ، ثُمَّ اسْتَدْنَاهُ
بَعْدَ ذَلِكَ ، وَقَرَّبَهُ .

قَالَ نَحْوِي لِرَجُلٍ : هَلْ يَنْصَرِفُ إِسْمَاعِيلُ ؟ قَالَ :
نَعَمْ . إِذَا صَبَأَ العِشَاءَ فَمَا قُعُودُهُ ؟

(١) أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَرِيْعَةَ ، قَاضٍ ، مِنْ أَهْلِ بَغْدَادِ .

وحكي أن جماعةً عند محمد بن بحر (١) اختلفوا في بناء سراويل ، فدخل البرقي وقال : فيم كنتم ؟ قالوا : في بناء سراويل . فما عندك فيه ؟ قال : مثل ذراع البكر أو أشد .

قال النوشجان (٢) : حضرت مجلس المبرد ، فسمعنا واحداً يقول : في حرام أصبهان .

فقال أبو العباس : هذا قد شتمك على مذهب قول الله تعالى : « واسأل القرية » (٣) .

سمع ذو الرمة رجلاً يقول : على فُلاان لعنة الله . فقال : لم يرض بواحد حتى شتمها بأخرى . وذلك أنه لما سمع منه مفتوحاً قال أنه أراد التثنية : لعنتنا الله . قيل لرجل كان يكثُر اللحن في كلامه : لو كنت إذا شككت في إعراب حَرَف تخلصت منه إلى

(١) محمد بن بحر الأصفهاني ، وال من أهل أصفهان ، توفي سنة ٣٢٢

(٢) النوشجان : علم فارسي .

(٣) سورة يوسف : ٨٢ . ومعنى اسأل القرية : أي أهل القرية .

غيره . مِنْ غَيْرِ أَنْ تُزِيلَ المعنى عن جهته ، كان الكلامُ واسعاً عليك . فلتقي رجلاً كان مشهوراً بالأدب . فأراد أن يسأله عن أخيه ، ونحشبي أن يلحن في مخاطبته ، فذهب إلى أن يتخلص عند نفسه إلى الصواب . فقال : أخوك ، أخيك ، أخاك ها هنا ؟ فقال له الرجلُ : لا ، لُو ، لي ، ما هو حاضر .

وقف نحوي على صاحب باذنجان ، فقال له : كيف تبيعُ ؟ قال : عشرين بدانق . قال : ما عليك أن تقول : عشرون بدانق ! ! فقدّر أنّه يستزيده . فقال : ثلاثين بدانق . فقال : وما عليك أن تقول : ثلاثون ؟ فما زال على ذلك إلى أن بلغ تسعين . فقال : وما عليك أن تقول : تسعون ؟ فقال : أراك تدورُ على المائتون ، وهذا مالا يكون .

ومر نحوي بقصاب — وهو يسألُ شاةً — فقال : كيف المستطرقُ (١) إلى درب الرّسين ؟ فقال القصابُ : اصبر قليلاً حتى يخرج الكرّشُ ، وأدلك على الطريق .

(١) أي كيف الوصول إلى تجار لحم الرّوس . والرّسون القصابون الذين يعمون لحم الرّأس .

وقدّم نحوي خَصَمًا له إلى القاضي ، وقال له :
لي عليك مائتان وخمسون درهماً .

فقال لخصمه : ماتقول ؟ فقال : أصلح الله القاضي ،
الطلاق لازم له إن كان إلا ثلاثمائة . وإنما ترك
منها خمسين ليُعالم القاضي أنه نحوي .

قدم رجل على بعض الولاة ، فقال له : من أين
أقبلت ؟ قال : من أرض الله قال : وأين تريد ؟ قال :
بيت الله . قال : وممن أنت لا أم لك ؟ قال : من
« تيم » الله . فأمر بوجيء عنقه . فقال : بسم الله .
فقال : اتركوا ابن الخيثة . فاو ترك الرفع وقتاً تركه
الساعة .

قال أبو العيْناء : دخل رجل إلى عليل : فقال له :
لا إله إلا الله ، وإن شئت لا إله إلا الله ، والأولى أحبُّ
إلى سيبويه (١) . فقال أبو العليل : محرمني الله أجره إن
لم يكن مشهدك له أشد علي من موته .

(١) سيبويه : من الموالي ، واسمه أبو بشر عمرو بن عثمان ، نشأ
بالبصرة ، وتعلم الفقه ، ثم طلب النحو حتى برع فيه وألف كتابه الذي
لم يسبق إليه ، وقد اشتهر هذا الكتاب حتى صار لفظ « الكتاب » علماً عليه .
وقد توفي سيبويه سنة ٥١٨٣ .

قال رجلٌ لآخر : «أمرٌ بشيئا» ؟ قال : بتقوى الله ،
وإسقاط الألف .

قال خُذَلَفٌ : قلتُ لأعرابيٍّ : ألقىٰ عليكِ بيئاً ؟
قال : علىٰ نفسيك فألقىٰه .

قال رجلٌ من البجليين لأعرابيٍّ — وأراد مسأله
عن أهله — كيف «أهلك» ؟ .

قال بكسر اللام فقال الأعرابي : صأماً (١) . لأنه
أجابته على فهميه ، ولم يعلم أنه أراد المسألة عن أهله .
سئيل نحويٍّ عن تصغير عبيد الله . فقال : ليس
في سجدي السهو سهو (٢) .

وذكر أن معاوية قال : كيف أبو زياد ؟ فتأوا :
ظريفٌ على أنه يلحن .

فقال : أو ليس ذلك أطرب له ؟ أرادوا اللحن الذي
هو الخطأ . وذهب معاوية إلى اللحن الذي هو الفطنة .

(١) الصلب : قتلة معروفة ، وهي أن يشد الرجل من يديه ورجليه
على جلع .

(٢) يريد أن المصغر لا يصغر ، كما أن الساهي عن سجدي السهو
لا يسجد للسهو .

قالوا : كان سبب عمَل أبي الأسود الدُّؤلي (١) النَّحوَ وهو أول من وضعه ، وقيل إنَّ أميرَ المؤمنين عليّاً - عليه السلام - جعل له مِثْلاً فبنى عليه واحْتِذَاه - أن أبا الأسود سمع رجلاً يقرأ : « إن الله بريء من المشركين ورسولُهُ (٢) » بالخفض . وسمع ابنته تقول : ما أطيبُ الرُّطْب ؟ وهي تُريد التَّعجب ، وظنَّ أنها تريد الاستفهام ، فعسل شيئاً من النَّحو ، وعرضه على أمير المؤمنين عليه السلام . فقال : ما أحسنَ هذا النَّحو الذي أخذتَ فيه . فسُهِبَ نَحْوُوا .

مرَّ الشعبيُّ بناس من الموالي يتذاكرون النَّحوَ ، فقال :
لئنُ أصْلَحْتُمُوهُ لِنَتَكُفُّمُ لِأَوَّلُ من أفسدَه .

وروي أن الحجاجَ قرأ : إنا مِن « المجرمون (٣) »
مُنتَقِمُونَ .

(١) أبو الأسود الدُّؤلي : هو : ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يمر بن جلس ... وهو من وجوه النابغين وفقائهم ومحدثيهم . وهو الأصل في وضع علم النحو وعقد أصوله .

(٢) سورة التوبة : ٣ . وصحة اللفظ رفع رسوله بدلا من الخفض وأول الآية : « وأذان من الله ورسوله ... » .

(٣) صحة الأيد « إنا من المجرمين منتقمون » . سور السجدة : ٢٢ .

وكان محمّد بن° سليمان يقول في خطبته : إن
الله وملائكته(١) يرفع الملائكة . ففعل له في ذلك .
قال : فعزّجوا لها وجهها ، ولم يدع الرّفع .

* * *

(١) صحة الآية : «إن الله وملائكته» بفتح التاء سورة الأحزاب : ٥٦

الباب الرابع عشر

نَوَادِرُ الْمُخْتَنِّينَ (١)

قال بعضهم : شهدتُ مجلساً فيه قينةٌ تغني ، فذهبتُ
تذكَسِفُ صبيحةً شديدةً فانقطعت . فصاحتُ من الخجل :
للصوص اللصوص . فقال لها مُخْتَنِّتٌ كان في المجلس :
والله يازانيةُ ماسرُوق من البيت شيءٌ غير حَلَقِكَ .

استوهب رجلٌ من مُخْتَنِّتٍ في الحمامِ خيطمياً (٢) ،
فمنعته . فقال : سبحان الله ! ! تمنعني الخطمي وقميرٌ
منه بدرهم ؟ فقال المُخْتَنِّتُ : فاحسب حسابك أنت
على أربعة أقمزة بدرهم ، كم يصيبك بلا شيء ؟
قال المتوكل لِعبيادة : ماتقول في تطبيل سَمانِ
المُخْتَنِّتِ ؟ قال : هو حسنٌ ، ولكنّه مثلُ الهَيْضَةِ (٣)
يأتي بأكثر مما يُحتاجُ إليه .

(١) المُخْتَنُّونَ : هم الذين يتشبهون بالنساء ، فيتكسرون في مشيتهم
ويلبنون في أحاديثهم ، ويبالغون في رقتهم .
(٢) الخطمي - بفتح الخاء وكسرهما - ضرب من النبات يفسل به .
(٣) الهَيْضَةُ : معاودة الهم والحزن ، والمرضة بعد المرضة .

سمع آخرُ رجلاً يقولُ : دعنا أجب أربعةَ أنفسٍ ،
وأنفقَ عليهم أربعمئةَ دينار ، فقال : يا ابنَ البَغِيضَةِ
لعنهُ ذبِخْ لهم مُعْتَسِمَتَيْنِ ، وزامرةً ، وإلاَّ فأربعمئةَ
في « أَيْسُ » أنفقَها ؟

قال شيخُ لقرقرَ المخنثِ : أبو مَنْ أنت ؟ قال :
أمُّ أحمد . فديتُك ! !

تاب مخنثٌ ، فلقبه مخنثٌ آخرٌ ، فقال : يا أبا
فلان : أَيْسُ حَسَالُكُ ؟ قال : قد تُبِتُ .

قال : فمن أين معاشُك ؟ قال : بقيتُ لي فضيلةٌ
من الكَسْبِ القديمِ فأنا أتمرُّ لها (١) .

قال : إذا كانت نفقتُك من ذلك الكَسْبِ فالحمُّ
الخنزيرِ طرىٌ خيرٌ من قديدٍ .

رأى عبادةً دابةً مُخَارِقٍ — وهي تُقرمِطُ مَشْهِباً (٢) —
فقال : يامخارقُ بردونُك هذا يمشي على استحياء .

(١) أتمرز : يقال : مزه بمعنى مصه والتمرز : تمصص الشراب
فليلاً قليلاً .

(٢) دابة تفرمط مشيها : القرمطة : مقارنة الخطو ، ومعنى تفرمط
مشيها : تقارب في خطوها . وهذا كناية عن بطء سيرها .

قُدِّمَ إلى عبادة رغيف يابس" ، فقال : هذا نُسِيجٌ
في أيام بني أمية واكنّ بلا طراز .

نَظَرَ مَخْنَثٌ إلى مسجد صغير لطيف ، فقال لآخر :
أما تريدُ هذا المسجد ؟ ما أملهه ، لا يصلحُ والله إلا
أن يُحْمَلَ في السّفَر .

نظر مخنثٌ إلى رجلٍ من ولد أبي موسى الأشعري
يمشي وهو يتبخترُ ، فقال : انظروا إلى مشية من
خدع أباه عمرو بن العاص .

تَقَرَّى (١) مَخْنَثٌ فَاتَى جَبَلَ (٢) لُكَّامٍ عَلَى أَنْ
يَتَعَبَّدَ فِيهِ ، فَأَخَذَ زَادَهُ وَصَعِدَ ، وَسَارَ عَلَى سَهْلٍ ،
فَنَفِدَ زَادُهُ وَجَلَسَ قَدْ أَعْيَا فَرَفَعَ رَأْسَهُ فإِذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْجَبَلِ مَسَافَةٌ ، وَتَطَلَّعَ إِلَى أَسْفَلَ ، فإِذَا هُوَ قَدْ قَطَعَ
أَكْثَرَهُ ، فَنَظَرَ إِلَى الْجَبَلِ وَقَالَ : وَاشْمَاتَنِي بِكَ فِي يَوْمٍ
أَرَاكَ كَالعَيْهَنِ المُنْفُوشِ .

جلس قومٌ في مجلسٍ - ومعهم مَخْنَثٌ - وقال

(١) تقرى : تتبع .

(٢) جبل لكّام - بضم أوله : جبل بالشام .

رجلٌ منهم : أنا أشتهي كشكياً حاميةً ، وضرطاً .
فقال المخنثُ : قَطَعَ اللهُ ظَهْرَ الكَشْكِيَّةِ : ما أُسْرِعَ
ما تَنْفُخُ البَطْنَ !!

لقي مخنث آخر ليودعه ، فقال : أحمدُ اللهُ على
بُعْدِ سَفَرِكَ ، وانقطاعِ أثرِكَ ، وشِدَّةِ ضَرْبِكَ .
فقال له : أنا أستودعك العمسى . والضنسى ، وانقطاع
الرزق من السماء .

وقال مخنثٌ لآخر : أراني اللهُ في وجهك السَّاطورَ ،
وفي عينيَّ الكافورَ ، وفي شقِّ استك النَّاسورَ (١) .

قال علانٌ شِدْقٌ - وكان قبيحاً جداً - مررتُ
بمخنثٍ يعزلُ على حائِطٍ ، فقال لي : مِنِ أينِ أتيتُ ؟
قلتُ : مِنَ البَصْرَةِ . فقال . لا إلهَ إلاَّ اللهُ !! تغيّر
كُلُّ شيءٍ حتى هذا !! كانت القُرودُ تُجلبُ مِنَ
اليَمَنِ . الآنَ تجيءُ مِنَ العِراقِ .

وحجَّ بمخنثٍ فرأى إنساناً قبيحاً يرمي بالحجارة ،
فقال له المخنثُ : بأبي أنت . لستُ أشيرُ عليك أن

(١) والناسور مرض معروف .

تعودُ إلى هذا المكان . قال : ولمَ ؟ أَلستُ مسلماً ؟
قال : بلى ، ولكنْ لا أرى لك أن تبسُخِل على أهل النار
بهذا الوجهِ .

نظرَ مُخَنَّثٌ إلى رجلٍ قصيرٍ على حِمَارٍ صغيرٍ ،
فقال : هُما توأمان .

وقال بعضُ المخنثين : كان لي أستاذٌ مخنثٌ
يقالُ له زائدةٌ ، فمات . فرأيتُهُ في النَّومِ فقلتُ له : ما فعل
اللهُ ربُّكَ بك ؟ قال : أدخلني النار .

قلت : فحسنَ تورُّك (١) فيها ؟

قال : هيها ! انقلبتُ المسألةُ أنا « تورُّ » فِرعون .

ركبَ المتوكِّلُ يوماً زلاًلاً (٢) ومعه جماعةٌ ،
فعصفت الریحُ ، وفزعَ الناسُ . فقال عبادةٌ . يا أميرَ
المؤمنين . أما كُنيزٌ (٣) دُبَّةٌ فإِذه لا يخافُ الغسِقُ . فقال
المتوكِّلُ : وكيفَ ذلك ؟

(١) التور : من معانيه الرسول بين القوم .

(٢) الزلال : نوع من السفن .

(٣) كُنيز : مغن مشهور في عصر المتوكِّل العباسي .

قال : لأنه يسبُحُ على رَقٍّ . وكان كَنِيزٌ مَخْنَثًا آدَرَ (١)
كان بعضٌ وُلد الفضلِ بنِ الربيعِ يَتَخَنَّثُ ، فوَكَل
به أبوه غُلَامًا يَمْنَعُهُ مِن نَتْفِ لِحْيَتِهِ ، فبات ليلة .
فلما أصبح رآه منتوف اللحية ، فقال : أهاكُنْتِي — واللّه —
أين لِحْيَتُكَ ؟ قال .. « (فطاف عليها طائفٌ مِن رَبِّكَ
وَهُمْ نائمون . فأصَبَحْتَ كالصَّرِيم) » (٢) .

أَدْخَلَ مَخْنَثٌ على العُريَانِ بنِ الهيثمِ — وهو أميرُ
الكوفة — فقالوا : إنه يَفْعَلُ وَيَصْنَعُ . فقال له العريانُ :
يا عدوَّ اللّهِ . لمَ تَفْعَلُ هذا ؟ قال : كاذبوا عليَّ —
أيها الأمير — كما كاذبوا عليك . فغضب العريانُ ،
واستوى جانسًا ، وقال : وما قَبِيلَ نَبِيٍّ ؟ قال : يُسَمُّونَكَ
العُريَانَ وعليك عِشرونَ قِطْعَةَ ثِيَابٍ . فَضَحِكَ . وَخَلَدَ .

قال هيثمُ (٣) المَخْنَثُ لِعُمَرَ بنِ أمِّ سلمةَ : إن
فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ (٤) فَسَلِّ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى

(١) وكان آدر : الأدر : من يصيبه فتق في إحدى خصيه .

(٢) سورة القلم : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) هيثم المخنث : أحد المخنثين المعاصرين للرسل صلى الله عليه وسلم

(٤) الطائف من نواحي مكة المكرمة ، وجوها جميل وبها بعض البساتين .

اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَهَبَ لَكَ بَادِئَةَ بِنْتِ غَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ ،
فَإِنَّهَا كَحِجْلَاءُ ، سَمُوْعٌ ، نَجْجَلَاءُ ، خُمُصَانَةٌ ، هَيْسَفَاءُ (١)
إِنْ مَشَتْ تُشَنَّتْ ، وَإِنْ جَلَسَتْ تَدْنَتْ ، وَإِنْ تَكَلَّمَتْ
تَغْنَّتْ ، تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ ، وَتُدْبِرُ بِشِمَانٍ ، فَخُذْ يَمَانَهَا كَالْإِنَاءِ
الْمَكْفَأِ .

فَرَوِي أَنَّ كَلَامَهُ بَلَغَ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَمَنْعَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ .

* * *

(١) خمصانة هيفاء : ضامرة البطن ، دقيقة الخاصرة .

الباب الخامس عشر

نوادِرُ جِحَا(١)

حَكَى الجاحظُ أنَّ اسمه نُوحٌ ، وكُنِيته أبو الغُصن ،
وأنه أُرِي على المِثَّة .

نم أدرك أبنا جعفر ، ونزل الكوفة .

قيلَ لجحا : أتعلمتَ الحسابَ ؟ قال : نعم . فما
يُشكَلُ عليَّ شيءٌ منه . قال له : اقسِمُ أربعةَ دراهمَ
على ثلاثة . فقال : لرجلين درهمان ، درهمان ، وليس
للتالثِ شيءٌ .

وأراد المهديُّ أن يعيِّثَ به فمدَّ عا بالنطع (٢) والسيفِ ،

(١) في كتب الأدب العربي شخصيتان عرفتا بالنوادِر والمَلح . وكل
منهما يسمى جحا : الأولى جحا العربي والثانية جحا التركي ، وقد اختلف
مؤرخو الأدب العربي في إثبات شخصية جحا العربي نظراً لكثرة ما روي عنه
من نوادر تختلف في الزمان والمكان وفي الدلالة على ذكائه الخارق ، أو
على غبائه المفرط ، أو على غفلته وحمقه .

(٢) النطع : بساط من الجلد .

فلما أَوْعِدَ فِي النُّطْعِ ، وَقَامَ السِّبَّافُ عَلَى رَأْسِهِ وَهَزَّ
سَيْفَهُ ، رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ . فَقَالَ : انْظُرْ لَا تُصِيبُ
مِحَاجِمِي (١) بِالسِّبِّافِ ، فَإِنِّي قَدْ احْتَجَمْتُ . فَضَحَكَ
المَهْدِيُّ وَأَجَازَهُ .

ومَاتت لأبيه جاريةٌ حَبَشِيَّةٌ : فَبِعِثَ بِهِ إِلَى السُّوقِ
لِيَشْتَرِيَ لَهَا كَفَنًا ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ حَتَّى أَنْفَذَ غَيْرَهُ ، وَحَمَلَ
الكفنَ ، وَحُمِلَتْ جِنَازَتُهَا ، فَجَاءَ جُمُحًا - وَقَدْ حُمِلَتْ -
فَجَعَلَ يَعْلُو فِي المَقَابِرِ ، وَيَقُولُ : رَأَيْتُمْ جِنَازَةَ جَارِيَةٍ
حَبَشِيَّةٍ ، كَفَنُهَا مَعِي ؟

وَجَمَعَتْ بِهِ بَغْلَةً يَوْمًا ، فَأَخَذَتْ بِهِ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ
الَّذِي أَرَادَهُ ، فَلَقِيَهُ صَدِيقٌ لَهُ . فَقَالَ : أَيْنَ عَزَمْتَ
يَا أَبَا العُصْبَنِ ؟ فَقَالَ : فِي حَاجَةٍ لِلْبَغْلَةِ .

وَمَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ ، فَقَالَ : بَارِكْ اللهُ لَنَا فِي المَوْتِ
وَفِيمَا بَعْدَ المَوْتِ . فَقِيلَ : إِنَّهَا جِنَازَةُ نَصْرَانِيٍّ . فَقَالَ :
إِذْنًا لَا بَارِكْ اللهُ لَنَا فِي المَوْتِ ، وَلَا فِيمَا بَعْدَ المَوْتِ .

(١) المراد بها مكان الحجامة عند جمحا .

وصلتني بقوم ، وفي كُفِّهِ جَرَّوُ كَلْبٌ ، فلما
ركع سقط الحروُ ، وصاح ، وتنهَضَ الناسُ . فالتفت
إيهم ، وقال : إنَّه سَأَوِيُّ (١) عافاكم اللهُ .

وحمل جرةَ خضراءَ إلى السوق يبيعُها . فقالوا :
هي مثقوبةٌ . فقال : ليس تسيلُ ، فإنَّه كان فيها قُطنٌ
لوالدتي . فما سالَ منه شيءٌ .

وأعطاه أبود درهماً يزنُهُ ، فطرحَهُ في الكِفَّةِ ،
وطرحَ في الكِفَّةِ الأُخرى سَنَجَةَ درهمين ، وهو يحسبهما
سَنَجَةَ درهم ، فلم يستويَا ، فطرح سَنَجَةَ الدرهم
على رأس الدرهم ، فكانَ أَقْلٌ ، فطرح حَبَّتَيْنِ أيضاً ،
ثم قال لأبيه : لَبَسَ فِيهِ شَيْءٌ ، وَيَتَقَنَّصُ حَبَّتَيْنِ .

ونظر يوماً إلى السَّمَاءِ ، فقال : ما أَخْبَأَتْهَا بِالْمَطَرِ
لو « كان » متعجِمةً .

ورأوه يوماً في السوق يَعْدُو فقالوا : ما شَأْنُكَ ؟
قال : مرَّتْ بِكُمْ جَارِيَةً رَجُلٍ مَخْضُوبِ اللِّحْيَةِ ؟
واجْتَنَزَ يوماً بَابَ الْجَامِعِ فَقَالَ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرِ ؟

(١) سلوقي : نوع من الكلاب غالي الثمن .

قالوا له : هَذَا مَسْجِدُ الْجَامِعِ . قَالَ : رَحِيمَ اللَّهِ جَامِعاً .
مَا أَحْسَنَ مَا بَنَى مَسْجِدَهُ ؟ ؟

وَذَهَبَتْ أُمُّهُ فِي عَرَسٍ . وَتَرَكْتَهُ فِي الْبَيْتِ ، وَقَالَتْ
لَهُ : احْفَظِ الْبَابَ . فِجَلَسَ إِلَى الظُّهْرِ . فَلَمَّا أَبْطَأَتْ عَلَيْهِ
قَامَ ، فَفَتَحَ الْبَابَ ، وَحَدَّثَهُ عَلَى عَاتِقِهِ .

وَمَاتَتْ نَحْلَتُهُ ، فَقَالُوا : اذْهَبْ ، وَاشْتَرِ لَهَا
حَنْوُطاً (١) . فَقَالَ : أَحْشَى أَلَّا الْحَقَّ الْجِنَازَةَ .

وَتَبَخَّرَ يَوْمًا فَأَحْرَقَتْ ثِيَابَهُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا تَبْخُرْتُ
أَبْدَأَ إِلَّا عُرْيَانًا .

* * *

(١) الحنوط - كصبور : كل طيب يختلط للميت .

الباب السادس عشر

نَوَادِرُ أَشْعَبِ (١)

كان يقول : كلُّني كلبٌ سَوَّءٌ ، يبصبصُ للآضيافِ
وينبجُ أصحابُ الهدايا .

وأشعبُ هذا هو الموصوفُ بالطمع . وقيل له : ما بلغ
مِنْ طمعك ؟ قال : لم تقبلُ هذا إِلَّا وفي نفسك خَيْرٌ
تصنعه بي .

ومِنْ عجيب أخباره أنه لم يمتْ شريفٌ قط من أهل
المدينة إِلَّا استعدى (٢) أشعبُ عليَّ وصيَّته ، أو وارثه ،
وقال له : احلف أنه لم يُوصِ لي بشيء قبل موته .
وقيل له : لقد لقيت رجلاً من أصحاب النبي صلى الله

(١) أشعب : هو أشعب بن جبير . ولد سنة تسع للهجرة ومات في
أيام المهدي ، وكان أليب أهل زمانه عشرة ، وأكثرهم نادرة ، وكان
أقوم أهل دهره لحجج المعتزلة ، وكان من القراء حسني الصوت ، وكان
قد نسك وغزا وروي الحديث عن عبد الله بن جعفر .

(٢) استعدى : استعان ، واستنصر .

عليه وسلم ، فلو حَقَّقْتَ أَحَادِيثَ تَتَحَدَّثُ بِهَا؟ قَالَ : أَنَا
 أَعْلَمُ النَّاسَ بِالْحَدِيثِ . قِيلَ : فَحَدِّثْنَا . قَالَ : حَدَّثَنِي
 عِكْرَمَةُ (١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : خَلَّيْنَا لَمْ نَجْمَعَنَّ
 فِي مَوْمن إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ . ثُمَّ سَكَتَ . قِيلَ لَهُ : هَاتِ ،
 مَا الْخَلَّتَانِ ؟ قَالَ : نَسِي عِكْرَمَةَ لِإِحْدَاهُمَا ، وَنَسِيْتُ
 أَنَا الْآخَرَى .

قال بعضهم : قلت له : لو تحدثت عندي العشيّة ! !
 فقال : أخاف أن يجيء إنسانٌ ثقيلٌ : قلتُ : ليس معنا
 ثالثٌ . فمضى معي . فلما صليتُ دعوتُ بالعشاء ،
 فلم يلبث أن جاء صديقٌ يدقُّ البابَ ، فقل أشعْبُ :
 تُرى قد صرنا إلى ما نكرهه ؟ قال : قلتُ له : عندي
 فيه عشرٌ نحصال لا يُكرهُ منها خَصْلَةٌ ، فإن كرهتَ
 واحدةً لم آذنْ له . قال . هاتِ . قلتُ : أولاهن أنه
 لا يأكلُ . فقال التسعُ الباقيةُ لك . أدخِله .

وكان أشعْبُ لا يُغيبُ (٢) طعامَ سالمِ بنِ عبدِ الله بنِ
 عُمَرَ (٣) فاشتَهَى سالمٌ أنْ يأكلَ مع بناتِهِ . فخرجَ إلى

(١) هو عكرمة بن عمار اليمامي روى الحديث عن طائوس وجماعة .

(٢) لا يغيب : أغب القوم : جاءهم يوماً وترك يوماً .

(٣) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان معاصراً لعمر بن

عبد العزيز رضي الله عنه .

بُستان له ، فجاء أشعب فَحَبِرٌ بالقصة ، فاكتسرى جملاً بدرهم . فلما حاذى حائطَ البستان . وثب ، فصار عليه فغطى سالمٌ بناتِه بثوبه . وقال : بناتي بناتي . فقال أشعبُ : إنك لتعلم « ما لنا في بناتك من حقٍّ وإنك لتعلم ما نريد » (١) .

قيل : بغت أمُّ أشعب ، فضربت ، وحُيقت ، وحملت على بعير يُطاف بها ، وهي تقول : من رآني فلا يزني . فأشرفت عليها ظريفةٌ من أهل المدينة . فقالت لها : إنك لمطاعةٌ ! ! نهانا اللهُ عنه ، فما ندعه ، وندعه لقولك ؟ ؟

كان زياد بنُ عبد الله الحارثي عاصي شُرطة المدينة ، وكان مبخلاً على الطعام فدعا أشعبَ في شهر رمضان ليفطر عنده ، فقدمت إليه في أول ليلة بصائية معتمودة ، وكانت تُعجبه ، ف جعل أشعبُ يسمعُ فيها - وزيادٌ يلمحه - فلما فرغوا من الأكل قال زيادُ : ما أظنُّ

(١) مقتبس من الآية « وقالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك

لتعلم ما نريد » سورة هود : ٧٩ .

أن لأهل السجن إماماً بصائياً بهم في هذا الشهر فأيصال
بهم أشعبُ . فقال أشعبُ : لو غير ذلك - أصلحك
الله - ؟ قال : وما دئو ؟ قال : أحليفُ أي لا أذوقُ
بصائيةً أبداً . فمخجلَ زيادُ ، وتغافلَ عنه .

قال أشعبُ : جاءني جاريةٌ بدينار ، وقالت هذه
وديعَةٌ عندك . فجعلتهُ بينِ ثِنْيِ الفراشِ . فجاءتُ بعد
أيامٍ فقالتُ : بأبي . الدينارَ . فقالتُ : ارفعي الفراشَ .
وخندي ولدهُ . وكنتُ تركتُ لي جَنَبَهُ درهماً .
فتركتُ الدينارَ ، وأخذتُ الدرهمَ وعادتُ بعد أيامٍ فوجدتُ
معهُ درهماً آخرَ ، فأخذتهُ .

وعادت في الثالثة كذلك . فلما رأيتها في الرابعة
بكيتُ . فقالتُ : ما يُهيكِكْ ؟ قالتُ ماتَ دينارُك في
السُّفاسِ . قالتُ : وكيف يكون للدينارِ نِفسٌ ؟ ؟
قالتُ : يا فاسمةُ تصدِّقِين بالولادة ، ولا تصدِّقِين
بالنِّفسِ !!!

سأل سالم بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ أشعبَ عن طمعيه ،
فقال : قالتُ لصبيانِ مرَّةٍ : اذهبوا . هذا سالمٌ قد فتمح

بيت صدقة عمر حتى يطعمكم تمراً . فلمّا احتبسوا
ظننتُ أنه كما قلتُ لهم فغدوتُ في أثرهم .
وقيل له : ما بلغ من طعمك ؟ قال : أرى دُخَانَ
جاري فأتُردُّ (١) .

وقيل له أيضاً : ما بلغ من طعمك ؟ قال : لم أر
اثنين قطُّ يتساران إلا ظننتُ أنهما يأمران لي بشيء .
وقيل أيضاً : ما بلغ من طعمك ؟ قال : ما رأيتُ
عروساً بالمدينة تُزفُّ إلا كنتُ بيتي ، ورششته طمعاً
في أن تُزفَّ إليّ .

ووقف على رجل نحيزُراني - وكان يعمل طبياً -
فقال له : وسعته قليلاً . قال النحيزُراني : وما تُريد
بذلك ؟ كأنك تُريد أن تُشتريه ؟ قال : لا ، ولكن
يشتريه بعضُ الأشرافِ ، فيسهيدي إليّ فيه شيئاً .

* * *

(١) أترد : ترد الخبز فته .

الباب السابع عشر

نَوَادِرُ السُّؤَالِ

قال بعضهم : رأيتُ سائلاً ببغدادَ في الزمَّاتين - وهم أنصَبُ (١) من في الأرض - يسأل ، ويقول : تصدَّقوا عليَّ حبباً وكرامةً لأمير المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب . وليس يلتفتُ إليه أحد ، ولا يُعطيه شيئاً . فلدفتُ إليه درهماً ، وقلتُ في نفسي : إن هذا المسكين لا يعرف هؤلاء ، وبُغضهم لعليٍّ - عليه السلام - فأخذ الدرهمَ منِّي ، وقال : يا صاحبَ الصدقةِ ، إن كنتَ تصدَّقْتَ بها عليٌّ وفي قلبك بُغضٌ لآبي بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وفلانٍ ، وفلانٍ ومعاويةَ نحالِ المؤمنين رديفِ المصطفى ، وكاتبِ الوحيِ فقطعَ اللهُ يديكَ ورجليكَ وأعمى عينيكَ .

قال : فأخذتهُ الدراهمُ من كلِّ جانبٍ ، وبقيتُ أنا متحيراً . ثمَّ مضى فاحفظتهُ . فعلمتُ ما في قلبي . فقال

(١) نسب : احتال .

يا فتى . على رسلك !! عندك أن هؤلاء القرانسة (١)
لا يصدقون عليّ إلاّ بمثل هذه الحيلة .

جاء سائل* إلى قوم فسأهم ، فردّوا عليه ، وألح
عليهم فردّوا . فألح ، فخرج إليه بعضهم فقال : عافاك
الله . أمّا سمعت الردّ ؟ قال : ولكنكم غمتمتوني
فأردف أن أغمتكم يا قرانسة .

أعطي سائل* كسرة صغيرة . فقال : رحم الله من
تمها التهمة .

قال بعضهم : رأيتُ ببغداد مكفوفاً يقول : من أعطاني
حبة سقاها الله من الحوض علىّ يسدّ معاوية . فتبعته
حتى خآوتُ به ، واطمئنته ، وقلتُ : يا كذا (٢) ،
عزّلت أمير المؤمنين عن الحوض . فقال : أردت أن
أسقيهم* بحبة على يد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ؟
لا ، ولا كرامة .

(١) القرانسة : المفرد قرنان : الديوث المشارك في قرينته .

(٢) يا كذا : كناية عن مناداته بلفظ قبيح ..

سأل أبو فرعون رجلاً ، فمنعه . فألحَّ عليه فأعطاه
 فقال : اللهم ائحزننا وإيتناهم . نسألهم إالحافاً ، ويعطوننا
 كثرها ، فلا يُبَارِكُ اللهُ لنا فيها ، ولا يأجرهم عليها .
 وقفت سائل على باب ، فقال : يا أهل الدار . فبادر
 صاحب الدار قبل أن يُسمَّ السائلُ كلامه ، وقال : صنعَ
 اللهُ لك . فقال السائلُ : يا بن البظراء كنتَ تصبرُ حتى
 تسمعَ كلامي عسى جئتُ أدعوك إلى دَعوة .

وقفت أعرابيٌّ سائلٌ على باب ، وسأل . فأجابته رجلٌ :
 ليس ها هنا أحدٌ . قال : إنك لأحدٌ أو جعلَ اللهُ فيك
 بركةً .

قال الجمازُ (١) : سمعتُ سائلاً يقول : مَنْ يعطيني
 حُبباً لأميين : جبريل ومعاوية ؟
 وكان آخر يقول مَنْ يعطيني قطعةً حُبباً لهندِ (٢)
 حماة النبي .

(١) الجماز : هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد عطاء بن ياسر
 وكان من أحلى الناس حكاية وأكثرهم نادرة .
 (٢) هي هند أم معاوية ، وزوج أبي سفيان وقد تزوج الرسول -
 عليه السلام - ابنتها أم حبيبة .

ووقف سائلٌ بباب (المافروخي) عاملِ الآهواز ،
وسأل فأعطوه لقمَةً منْ خُبزٍ ، فسكتَ ساعةً ، ولم
يرح . ثم صحاح ، وقالَ : هذا الدواءُ لِأَيِّ شَيْءٍ
يَنْفَعُنِي ؟ وكيفَ آخِذُهُ ؟

وقف سائلٌ على باب قوم فقال : تصدَّقوا عليَّ فإنِّي
جائع . قالوا : لم نَخْبِزْ بعدُ . قال : فكفَّ سَوِيْقُ ؟
قالوا : ما اشترينا بعدُ . قال : فشريةَ ماءٍ فإنِّي عطشانٌ .
قالوا : ما أتانا السقاء بعدُ . قال : فإيسيرَ دُهْنٍ أضعه على
رأسي . قالوا : ومينَ أينَ لنا الدهنُ ؟ فقال : يا أولادَ
الزَّنى ، فمسا قعودكم ها هنا ؟ قوموا وسألوا معي .

وقف سائلٌ على باب دارٍ فقال : تصدَّقوا عليَّ .
فقالوا جاريةٌ من الدار : ما عندنا شيءٌ نعطيكَ ،
وستبي في المأتم . فقال السائلُ : أيُّ مَأْتَمٍ أعظمُ منْ
مَأْتَمِكُمْ إِذَا لم يكنْ عندكم شيءٌ ؟ ؟

وقف آخر بباب فقال : أوسعوا عليَّ ما رَزَقَكُم
اللهُ فإنِّي في ضيقٍ . فقال صاحبُ الدار : إن كنتَ
في الدهليزِ في ضيقٍ فادخلِ الدارَ فإنه أوسع لك فقال
السائلُ : إِنَّمَا قُلْتُ : تأمر لي بشيءٍ . قالَ : قد أمرتك
أنْ تشتريَ لابني قَلَنْسُوةَ .

* * *

الباب الثامن عشر

نوادِرُ المعلمين

قال بعضهم : مررتُ ببعضِ سِكَكِ البصرةِ وإذ
معاًمٌ قد ضربَ صبيّاً ، وأقام الصبيانَ صمّاً ، وهو
يقولُ لهم : اقرؤوا . ثم جاء إلى صبيٍّ بجانبِ الصبيِّ الذي
ضربه ، فقال : قُلْ لهذا يقرأ ، فإني لستُ أكلّمه .

قال أبو عثمان : كان ابنُ شُهْرمة لا يقبلُ شهادة
المعلم ، وربّما قبلَ شهادة المؤدّب .

وكان يحيى بنُ أكرمٍ أسوأ رأياً فيهم .

وكان السنديُّ بنُ شاهك لا يستحلفُ المكارِي (١) ،
ولا الخائِكَ ، ولا الملائحَ ، ويجعلُ القولَ قولَ المدعيِّ
ويقولُ : اللهم إني أستخيرُك في الحَمّالِ ومعلمِ
الكتّابِ .

(١) المكارِي : الذي يؤجر الناس الدواب يقال كراه مكاراة ،
وكراه : استأجره .

وصفَ بعضهم معلماً فقال : هو أفرهُ الناسِ
وصيفاً(١) ، وأكثرهم رغباً .

قال بعضهم : مررتُ بمعلمٍ وإذا صبيانهُ يلعبون
ويقتتلون ؛ فقلتُ للمعلم : ما بالُ صبيانك ليسوا
يتمرقنون منك !! قال : وأنا أيضاً لستُ أفرقُ منهم .

قال : وقال غلامٌ لأبيه : لا أريد هذا المعلمَ .
فقال له أبوه : ما لهُ ؟؟ قال : يصنحُ بي أمراً عظيماً .
قال : يستخذمُك ؟ قال : أشدَّ من ذلك . قال :
فيضربُك ؟ قال : أشدَّ من ذلك . قال : فيعصفجُك(٢) ؟
قال : أشدَّ من ذلك . قال : فأي شيءٍ ويملكُ يفعلُ بك ؟
قال : يأكلُ غدائي .

قال : كان معلمٌ يُقيمُ الصبيانَ صفتينِ ، ويتكلمُ
صبيين بيديه ، ويقولُ : أربعةٌ وأربعةٌ : ستةٌ . فقلتُ
له : إذا كانَ أربعةٌ وأربعةٌ ستةٌ ، فكيف يكونُ ثلاثةٌ
وثلاثةٌ ؟ قال : صدقت . لم آخذُ جذره .

(١) هو أفره الناس وصيفاً : أخذتهم خادماً .

(٢) يعفج : يلوط .

وكان لأبي دواد المعلم ابنٌ ، فَمَرَضَ ، فلما نَزَعَ
قال : اغسِلوه . قالوا . لم يمتْ بعد . قال : إلى أن
يُفْرَغَ من غَسَله ما (١) قد مات .

وقال شريكُه : تعلم الصبيانَ وعليك قميصٌ
جديدٌ فيسودونه عليك ؟ قال : قد اشتريتُ قطناً ، وقلت
لأهلنا : يغزلون قميصاً خَلَقاً (٢) .

قال : مروتٌ يوماً بمعلمٍ - والصبيانُ يحذفونُ
عينه بالقصب - وهو ساكتٌ فقلت : ويحك !!
أرى منك عجباً . فقال : وما هو ؟ قلتُ : أراك
جالساً والصبيانُ يحذفونُ عينك بالقصب !! فقال :
اسكتْ : ودعهم . فما فرحني والله إلا أن يُصيبَ
عيني شيءٌ ، فأريك كيف أنتف لِحى آبائهم .

كان بمحص معلمٌ يُكنى أبا جعفر يتعاطى علمَ
الحساب ، فصارتُ إليه يوماً امرأةٌ ، فقالتُ : يا أبا جعفر :

(١) هنا لا معنى لها ولعلها زائدة والمراد : إلى أن يتم فضله
يكون قد مات .

(٢) خلقاً : بالياء .

قفيزُ دقيقٌ بشمانيةِ دراهمٍ كم يُصَيَّبُني بأربعةِ دراهمٍ ؟
 فقال لها ، بعد أن فكَّرَ : في هذه المسألةِ ثلاثةُ أقوال :
 أحدهما أن تُعطي الرجلَ أربعةً أخرى ، وتأخذني
 قفيزاً ، والآخر : لك قفيزٌ إلا بأربعةِ دراهمٍ . والثالث :
 تدفعين درهماً درهماً ، وتأخذين مكشوكاً (١) مكشوكاً
 حتى تستوفين (٢) .

وصار إليه ثلاثةُ « روز جارتين (٣) » قد أخذوا
 أجرتهم درهماً فقالوا : يا أبا جعفر ، كيف نقتسم
 الدرهماين ونحن ثلاثةُ ؟ قال : أسقطوا منكم واحداً ،
 وخذوا درهماً درهماً . قالوا : سبحان الله !! كيف
 نسقط أحدهما وقد عميلٌ ؟ قال : فزيدوا واحداً
 وخذوا نصفَ نصفٍ . قالوا : كيف نزيد فينا من لم
 يعمل ويأخذ كراتنا ؟ قال : فخذوا نصفاً نصفاً واشتروا
 بالباقي تمرّاً ، واكلوه .

(١) المكوك - كتثور - : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع .

(٢) في هذه العبارة من الخطأ النحوي ما هو ظاهر ويستوي في ذلك

عبارة المعلم وعبارة السائله

(٣) لفظ فارسي . واعله علم على نوع من العمال

وسألته امرأة ، فقالت : أربعةُ أرطالٍ تمرٍ بدينارهم ،
 كم يُصَيَّبُني بدانقٍ ونصف ؟ ففكَّرَ ساعةً طويلةً .
 وأدخلَ يديه تحتَ ذِيابِهِ ، وجعلَ يحسِبُ بهما ثم
 أخرجَ يديه وقد جمعهما ، وقال : كتلةٌ مثلُ هذه
 كبيرةٌ .

قال بعضهم مررتُ بمعلمٍ وهو جالسٌ وحده ، وليس
 عنده من الصبيان أحدٌ ، فقلتُ له : يا معلِّمُ ، ما فعل
 صبيانُك ؟ فقال : خلفَ الدُّورَ يتصافَعُونَ . فقلتُ :
 أريدُ أن أنظرَ إليهم . فقال : إن كان ولا بُدَّ فغطَّ رأسك ،
 لا يحسبونك أنا فيصنعوك .

قال : ورأيتُ معلِّماً وقد جاء غلامان قد تعاقى
 أحدهما بالآخر ، وقال : يا معلِّمُ ، هذا عضوٌ أذني .
 فقال الآخرُ : واللَّهِ ما عضَضْتُها ، وإنما هو عضوٌ
 أذنِ نفسه . فقال له المعلمُ : يا بنَ الحبيثةِ . صار
 جملاً حتى يعضَّ أذنَ نفسه ؟

وقال : رأيتُ معلِّماً بالكوفةِ — وهو شيخٌ مخضوبُ
 الرأسِ واللَّحيةِ — وهو يجلسُ يبكي فوقفتُ عليه ،

وقلتُ : يا عمّ : مِمَّ تَبْكِي ؟ فقال : سرقَ الصبيانُ
نخبُزي .

قال : وسمعتُ معلِّماً وهو يقرئُ صبيّاً « (وما
أمرُنَا إلا واحدةٌ ككلمحٍ بالبَصْرِ) » (١) والصبيُّ يقولُ :
كأحرمِ بالبَصْلِ فقال له : يا فاعلُ ، أحسبُكَ تشتهي
بصليّةً .

قال : وقرأ صبيٌّ على معلِّمٍ « (الذين يقولون لا تُنفقُوا
على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) » (٢) فقال المعلمُ : من عِنْدِ
أبيك القَرَنَانِ (٣) أُولَى ؛ فإنه كثيرُ المالِ يا بنَ الفاعلةِ ،
هو ذا ؟؟ تُسْزِمُ النبيَّ نفقةً لا تَجِبُ عليه . أعجبتُ
كثرةَ ماله ؟؟

قال : ورأيتُ معلِّماً وقد جاء صبيٌّ ، فصَفَعَهُ صَفْعَةً
مُحْكِمَةً . فقال له المعلمُ : أيُّمَا أَصْلَبُ : هذه أمُ
التي صَفَعْتُكَ أَمْسِ ؟

(١) سورة القمر : ٥٠ .

(٢) سورة (المنافقون) ٧ وأولها « هم الذين يقولون » .

(٣) القرنان : الديوث المشرك في قرينته .

قال : وكان بالمدينة معلّم يُفَرِّط في ضربِ الصبيان ،
ويشتمهم . فلاموه على ذلك ، فسألني أنْ أُقْعِدَ عنده ،
وأشاهدَ حالته معهم ، فقعدتُ عنده ، فإذا بصبيٍّ يقول :
يا معلّمُ : « (وإنَّ عليك اللعنةَ إلى يومِ الدينِ) » (١)
فقال : عليكَ وعلى أبويكَ .

وجاء آخرُ ، فقال : يا معلّم : « (فانخرجُ منها فانك
رجيمٌ) » (٢) قال : ذاكَ أبوكَ الكَشْحَانُ (٣) .

وجاء آخر ، فقال : يا معلّم : « (إني أريد أن
أُنكِحَكَ) » (٤) قال : انكحِ أمّكَ الفاعلةَ .

وقال آخرُ : يا مُعَلِّمُ : « (ما لنا في بَسَنَاتِكَ من
حقٍّ) » (٥) قال : لا ، ولا كرامةَ . فلا يزالُ معهم في
مثلِ هذا وهو يَضْرِبُهُمْ ، وَيُزَنِّيهِمْ (٦) .

(١) سورة الحجر : ٣٥ .

(٢) سورة الحجر : ٣٤ وأولها : « قال ... »

(٣) الرجل الكشخان : الديوث .

(٤) سورة القصص : ٢٧ . وقرأها أنكحك بفتح الهمزة .

(٥) سورة هود : ٧٩ وأولها « قالوا لقد علمت » .

(٦) يزنيهم : يقذفهم بالزنا .

قال : ومررت بمعلمٍ وقد جاء صبي صغير ، فصفحه .
فقلت له : لِمَ تَدَعُ هذا الصبيَّ يَجْتَرِيءُ عليك ؟ فقال :
دَعُهُ فإني أشكوه غدا إلى أبيه .

واستفتح غلامٌ ، فقال : يا معلمٍ «(إن أبي يدعوك)» (١)
فقال : هاتِمٌ (٢) نعلِي . فقال الغلامُ : إنما استفتحتُ .
فقال : قد أنكرت أن يُفلسِحَ أبوك .

قال معلم الغلام : قُلْ «(قد أفلسِح مَنْ زَكَّاهَا .
وقد خاب مَنْ دسَّاهَا)» (٣) . فقال : وقد داس مَنْ
خبَّاهَا . فلم يزل يكرِّرُ ذلك عليه إلى أن أعْيَيْتَهُ العِلْمَةُ .
فقال المعلم : وقد داس مَنْ خبَّاهَا . فقال الغلامُ «(وقد
خاب مَنْ دسَّاهَا)» . فقال المعلم لأبيه : وقد قلتُ لك
إنه لا يُفلسِح .

* * *

(١) سورة القصص : ٢٥ .

(٢) الصحيح نحوا : هاتوا .

(٣) سورة الشمس : ٩ ، ١٠ .

الباب التاسع عشر

نوادِرُ الصَّبِيَانِ

٣٢ قال رجلٌ لابنه : ما أراك تُفْصَحُ أبداً . فقال الابنُ :
إلاَّ أنْ يرزقني اللهُ مؤدباً غيرَكَ .

قال بعضهم : أحضرتُ لتعليمِ المعتزِّ - وهو صغيرٌ -
فقات له : بأيِّ شيءٍ تبدأ اليوم ؟ فقال : بالانصرافِ .

قال بعضهم : رأيتُ أعرابياً يعاتبُ ابناً له صغيراً ،
ويذكرُ حقَّه عليه . فقال الصبي : يا أبتَه إنَّ عَظِيمَ حَقِّكَ
عليَّ لا يُبْطَلُ صغيرَ حَقِّي عليك ، والذي تَمَسَّتْ به
إليَّ أُمَّتٌ بمثله إليك ، ولست أقولُ : إنا سواةٌ ، ولكن
لا يَجْمَلُ الاعتداءُ .

عرباً (١) غلامٌ على قومٍ ، فأراد عمُّه أن يعاقبه ،
ويؤدِّبَه ، فقال له : يا عمُّ : إني قد أسأتُ ، وليسَ
معي عقلي ، فلا تُسيءْ بي ومعك عقلك .

(١) العريضة : سوء الخلق .

ونظر دَمِيمٌ يوماً في المِراةَ ، وكان دَمِيمًا ، فقال :
الحمدُ لله ، خلقتني فأحسنَ خالقِي وصورني فأحسنَ
صورتِي ، وابنٌ له صغيرٌ ، يسمعُ كلامه . فلمَّا خرجَ
سألهُ رجلٌ - كان بالباب - عن أبيه فقال : هو
بالبيتِ يكذبُ على الله .

كان الفتحُ بنُ خاقان - وهو صهبي - بين يدي
المعتصمِ (١) ، فقال له ، وعرضَ عليه خاتمتهُ : هل
رأيتَ - يا فتحُ - أحسنَ من هذا الفصصُ ؟ قال :
نعم : يا أميرَ المؤمنين اليدُ التي هو فيها أحسنُ منه .

وعاد المعتصمُ أباه - والفتحُ صغيرٌ - فقال له : داري
أحسنُ أم دارُ أبيك ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، دارُ أبي
مادمتَ فيه (٢) .

(١) المعتصمُ العباسي : هو ثامن خلفاء العباسيين ببغداد ، ويدعى أبا
إسحاق محمد بن الرشيد بن المهدي وقد حارب الروم وانتصر عليهم ،
وفتح عبورية سنة ٨٢٣ وفي هذا الفتح نظم أبو تمام قصيدته المشهورة . وقد
توفي سنة ٨٢٧ .

(٢) أي في الدار ، والدار مؤنثة وقد تذكر .

قال ابنُ أبي ليلى : رأيتُ بالمدينة صبيًّا قد خرجَ من دار ، وببديه عودٌ مكشوفٌ ، فقلتُ له : غَطِّه لا ذُعِرْتَ . قال : أَوْ يَغْطِّي من اللهِ شيءٌ ؟ لا تَلِفْتُ .

قال البلاذري : أدخِلَ الركاضُ وهو ابنُ أربع سنين إلى الرشيد ليُعجِبَ من فطنته ، فقال له : ما تحبُّ أنْ أهَبَ لك ؟ قال : جميلَ رأيك فلني أفوزُ به في الدنيا ، والآخرة ؛ فأمر له بدنانيرٍ ودراهمٍ فصُبَّتْ بين يديه . فقال : اخترِ الأَحَبَّ إليك . قال : الأَحَبُّ إلى أمير المؤمنين ، وهذا منُ هدّين ، وضربَ يده إلى الدنانير فضحك الرشيدُ ، وأمر أن يُضَمَّ إلى ولده ، ويُجَرَّى (١) عليه .

اجتازَ عمرُ بنُ الخطابِ — رضي الله عنه — بصبيان يلعبون ، وفيهم عبدُ الله ابنُ الزبير فتهاربوا إلاَّ عبدَ الله

(١) يجري عليه : أي يرتب له جناية : أي راتب .

فإنه وقف . فقال له عمرُ : لِمَ لم تُتَفَرِّ مع أصحابك ؟
قال : لم يَكُنْ لي جُرمٌ فأفَرَّ منك ، ولا كان الطريقُ
ضيقاً فأوسَعَهُ عليك .

* = *

الباب العشرون

نوادِرُ للعبيدِ والمَماليكِ

ولى بعض الأُمراءِ سَولىَ بعد غيبةِ طويلةٍ فقال :
أنتِ في الأحياءِ بعد . فقال : وأنا أَسْتَخِيرُ أن أموتَ قبيلِ
مولاي الأَميرِ .

قال الدارميُّ (١) لغلّامه : بآبي أنت وأُمِّي لو كان
العِتقُ مثلَ الطلاقِ لَسَرَرْنَاكَ بوَاحِةٍ (٢) .

اعترض بعضهم غلاماً أرادَ شِراءَه فقال يا غلام :
إِنِ اشْتَرَيْتَكَ تُفْلِحُ ؟ فقال : فإن لم تُشْتَرِ .

قال أبو العيّن : اشْتَرِي للوائقِ (٣) عبداً فصيحاً
من البادية ، فأَتِينَاهُ وجعلنا نكتبُ عنه كلَّ ما يقولُ ،
فلما رأى ذلكَ مِنّا قَآبَ طرفه وقال : « إنَّ تُرابَ
قَعْرِهَا المُلْتَهَبُ » .

(١) هو مستكين الدارمي الشاعر .

(٢) يقصد أن العتق لا يتجزأ ولا ينفذ على مرّات كالطلاق .

(٣) الواثق : هو أحد خلفاء الدولة العباسية .

يقال ذلك للرجل يُسَرُّ الناسُ برؤيته لا نفعهم به
وأصل ذلك : أنَّ الحافرَ يحفرُ فإنَّ خرَجَ الترابُ مُرّاً
علمَ أنَّ الماءَ مِلحٌ وإنَّ كانَ طيباً علمَ أنَّ الماءَ عذبٌ
فَأَنْبَطَ (١) وإذا خرَجَ طيباً انتهبه الصبيان .

اشترى بعضُ الهاشميينُ غلاماً فصيحاً فبلغ الرّشيدُ
خبرهُ ، فأرسلَ إليه يطلبه . فقال يا أميرَ المؤمنين : لم
أشتره إلاّ لك ، فلمّا وقف الغلامُ بين يدي الرّشيدِ قال
له : إنّ مَولَاكَ قد وهبكَ لي . فقال الغلامُ : يا أمير
المؤمنين ما زِلْتُ ولا زِلْتُ .

قال : فسَرُّ . فقال : ما زِلْتُ لك وأنا في ملكه
ولا زِلْتُ عن مِلكه ، فأعجبَ الرّشيدُ به وقدّمه .

قال أبو العيّن : مررت بسوق النخّاسين (٢) بالبصرة ،
فإذا غلامٌ يُنادي عليه ثلاثين ديناراً والغلامُ يساوي
خمسمائة دينار ، فاشتريته وكننت أباي داراً فدفعت إليه
عشرين ديناراً على أن يُنفقها ، فلم أزل أصكُّ عليه

(١) نبط الماء : نبع ، والمراد هنا : استنبت الماء وأخرجه .

(٢) النخاسة : تجارة الرقيق .

حتى أنفقَ نحوَ العشرة . ثم صهكتُ بشيءٍ آخر . فقال لي : فأين أصلُ المال ؟ قلت : ارفعْ ليَّ حسابك ، فرفعَ حساباً بعشرة دنانير . فقلت : فأين الباقي ؟

قال : اشتريت ثوباً مُصمّماً (١) وقطعته . قلت : من أمرك بهذا ؟

قال : إنَّ أهلَ المِرَوَاتِ والأَقْدَارِ لا يعيرون على غلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعودُ زينةً عليهم . قال : فقلتُ في نفسي : اشتريتُ الأَصمعيَّ وابنَ الأعرابيِّ ولم أدِر . وكانت في نفسي امرأةٌ أردتُ تزوجها فقلتُ يا غلامُ فيك خيرٌ . قال : وهل الخَيْرُ إلاَّ فيَّ . فقلتُ له : قد عزمْتُ على كذا . وتزوجتها ودفعتُ إلى الغلامِ ديناراً وقلتُ له : خذْ لنا سمكاً هازبياً (٢) ، فأبطلتُ واشترى مارماهي (٣) فأنكرت عليه خلافي . فقال يا مولاي : فكسرتُ فإذا بقرطُ (٣) يقول : الهازبُ يُولَّدُ السوداءَ والمارماهي

(١) الثوب المصمّم : الذي لا يخالط لونه لون آخر .

(٢) والهازبي : السمك .

(٣) السمك المارماهي : المعروف بالقرموط .

أفلُ غائلةٌ . قلت : لا الذي يُقراط أنت أم جالينوس (١) وأدخلته البيت وضربته عشرةً ، فلما قام أخذني وضربني سبعةً وقال يا مولاي : الأدبُ ثلاثةٌ وسبعةٌ لها قِصاص ، فغاضي ورميته فشججهُ (٢) ، فمضى إلى ابنةِ عمي وقال لها : « الدينُ النصيحةُ » وقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه : « من غشنا فليس منا » . وقال : « مولى القوم منهم » : وأعلمك أن مولاي تزوج واستكثمني ، فلما أعلمته أني مُعرفك ما فعلَ شجني ، فوجهتُ إليّ بنتُ عمي بغليمانٍ ، فبسطحتُ في الدار وضربتُ وسميته النمايح ، فما كان يتهيأ لي كلامه . فقلت : اعتقه ، فلعلاه يمضي عني ، فلزمني ولدٌ بي وقال : الآن وجبَ حقتك عليّ ، ثم إنَّه أرادَ الحجَّ ، فجهزته ، فغاب عني عشرين يوماً ورجعَ فقمت : لم رجعتَ ؟ فقال : قُطِعَ علينا وفكَّرتُ ، فإذا اللهُ جل وعز يقول :

(١) بقراط وجالينوس : من أكابر الأطباء .

(٢) شجني : جرحني في رأسي .

«وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ
سَبِيلًا» (١) .

وكنْتُ غير مُسْتَطِيعٍ وَإِذَا حَقُّكَ أَوْجِبُ عَلَيَّ
فَرَجَعْتُ ثُمَّ إِنَّهُ أَرَادَ الْغَزْوَ فَجَهَّزْتُهُ ، فَلَمَّا صَارَ
عَلَى عَشْرَةِ فَرَاسِخَ بَعَثَ مَا كَانَ لِي بِالْبَصْرَةِ وَخَرَجْتَ
عَنْهَا خَوْفًا أَنْ يَرْجِعَ وَصَرْتُ إِلَى بَغْدَادِ .

قال بعضهم : استعرضتُ غلاماً فقلت له : يا غلام
تحبُّ أن أشتريك . فقال : حتى أسألَ عنك .
أعتق عبدُ الله بنُ جعفر (٢) غلاماً ، فقال الغلامُ :
أكتبُ كما أملي .

قال : فأَمَلِ . قال : اكتبُ : كنتُ بالأَمْسِ لِي ،
فوهبتُك (٣) لِنِ وَهَبَتِكَ لِي . فأنتَ اليومَ واليومَ
صرتَ مثلي فكتبَ ذلكَ واستحسنه وزاده خيراً .

(١) سورة آل عمران : ٩٧ . أو لها « في آيات بيّات مقام إبراهيم » .

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطالب بن هاشم .

(٣) ضمير الرفع يعود على عبد الله بن جعفر .

قال حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقِ الموصلي : كان لأبي غلامٍ
يسْتَقِي الماءَ لمن في داره على بَغْلَيْنِ ، فانصرف أبي يوماً
وهو يَسْرُقُ البغلَ وقد قَرُبَ من الحوض الذي يَصُبُّ
فيه الماء . فقال : ما خبِرَكَ يا فتْحُ (١) ؟ قال : خبيري أَنَّهُ
ليس في الدَّارِ أَشَقَى مِنِّي ومَنك .

قال : وكيف ؟ قال : لَأَنَّكَ تَطْعَمُهُم الخُبْزَ وأنا
أَسْقِيهِم الماءَ ، فضحك منه وقال : فما تحبُّ أن أصنعَ
بك ؟ قال : تعتقني وتَهَبُّ لي هَدين البغليْنِ ، ففعلَ ذلك .

* * *

(١) اسم الغلام .

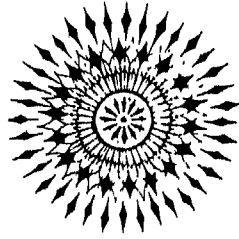
فهارس السفر الثالث

الصفحة	الموضوع
٥	الباب الرابع :
٧	نكت من كلام الحكماء
٤٥	الباب الخامس :
٤٧	جنس آخر من الأدب والحكم وهو ما جاء لفظه الأمر والنهي
٦١	الباب السادس :
٦٣	جنس آخر من الحكم والأمثال والآداب وهو ما كان أوله « من »
٧٥	الباب السابع :
٧٧	في سياسة السلطان وأدب الرعية
٩١	الباب الثامن :
٩٣	نوادير للنساء المواجهين والخواص
٩٧	الباب التاسع
٩٩	نوادير القصص
١١١	الباب العاشر :
١١٣	نوادير القضاة لمن تقدم إليهم
١٢١	الباب الحادي عشر :
١٢٣	نوادير لأصحاب النساء والزناة والزواني
١٢٧	الباب الأول :
١٢٩	كلام زياد وولده
١٣٩	الباب الثاني :
١٤١	كلام الحجاج

الصفحة	الموضوع
١٥٣	الباب الثالث :
١٥٥	كلام الأحنف
١٦٥	الباب الرابع :
١٦٧	كلام المهلب وولده
١٧٣	الباب الخامس :
١٧٥	كلام أبي مسلم
١٧٧	الباب السادس :
١٧٩	كلام جماعة من الأمراء
١٩٣	الباب السابع :
١٩٥	فضول الكتاب والوزراء وتوقيعات ونكت من كلامهم ونوادير لهم
٢١٧	الباب الثامن :
٢١٩	نكت مستحسنة للقضاة
٢٥١٠	الباب التاسع :
٢٥٣	كلام الحسن البصري
٢٧٧	الباب العاشر :
٢٧٩	نكت من كلام الشيعة
٢٨٣	الباب الحادي عشر :
٢٨٥	كلام الخوارج ^١
٣٠٣	مختصر الصحاح في الكشف عن مناهج أصناف الخوارج
٣٠٩	الباب الثاني عشر :
٣١١	الغلط والتصحيح

٣٢٣	بعض ما أخذ على العلماء من التصحيف
٣٢٩	حروف و كلمات من المصحف الذي يستعمله الناس عمداً
٣٣١	حروف و كلمات من المصحف عمداً لا سهواً
٣٣٣	الباب الثالث عشر :
٣٣٥	نوادير من النحو واللحن
٣٤٣	الباب الرابع عشر :
٣٤٥	نوادير المختثين :
٣٥٣	الباب الخامس عشر :
٣٥٥	نوادير ججحا :
٣٥٩	الباب السادس عشر :
٣٦١	نوادير أشعب
٣٦٧	الباب السابع عشر :
٣٦٩	نوادير السؤال
٣٧٣	الباب الثامن عشر :
٣٧٥	نوادير المعلمين
٣٨٣	الباب التاسع عشر :
٣٨٥	نوادير الصبيان
٣٨٩	الباب العشرون :
٣٩١	نوادير للعبيد والممالئك

1997/0/1 土 0...



طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٧

في الاقطار العربية ما يعادل
٤٥٠ ل. ص .

سعر النسخة داخل القطر
٢٢٥ ل. ص .